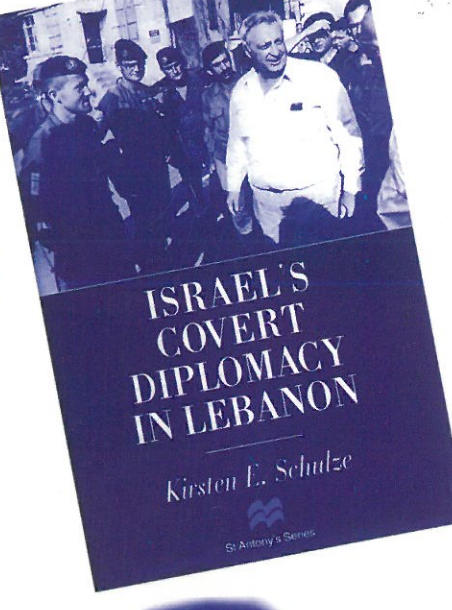
كيرستين شولتزه




# ديبلوماسيّة إسرائيل السرّية في لُبنان

## ١٩٤٨ . ١٩٨٤



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

كيرستين شولتزه

# دبلوماسية إسرائيل السرية في لبنان

ترجمة: انطوان باسيل

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر




شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص.ب. ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان
برقياً: انكلسامس
تلفون: ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)
تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ ـ ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)
E-mail all prints @ Netgate.com.lb.

الطبعة الأولى ١٩٩٨

تصميم الغلاف: عباس مكي
الاخـراج الفنـي: زاهية عاصي

إلى والدي

باتريسيا لوفل شولتزه

وهورست شولتزه

# المحتويات

# لائحة بالمختصرات

CZA ـ الارشيف الصهيوني المركزي.

DFPI ـ وثائق عن السياسة الخارجية الاسرائيلية

FBIS ـ هيئة الاذاعة الاجنبية

IAF ـ سلاح الجو الاسرائيلي

IDF ـ الجيش الاسرائيلي

ISA ـ ارشيف دولة اسرائيل

NARA ـ مديرية الارشيف والسجلات الوطنية

PASC ـ قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني

PLO ـ منظمة التحرير الفلسطينية

PRO ـ مكتب السجلات العامة

UAR ـ الجمهورية العربية المتحدة

* * *

«يجب ألا ندع أنفسنا نسقط ضحية الوهم بأننا نستطيع أن نحقق السلام من خلال الحرب ـ إن سلامنا لن يُحرز إلا بوسائل سلمية».

**موشي شاريت**

# مقدمة

منذ العام ١٩٤٨، وإسرائيل ولبنان يعيشان، بحسب القواعد المرعية، حالا من الحرب، والحدود بينهما مقفلة رسميا . . . لكن في الواقع، فإن انعدام النزاع على طول هذه الحدود يثير الارتياب في أوساط العرب، داخل لبنان وخارجه، بأن هذه الدولة غير صادقة في مواجهة إسرائيل. كما أن الاسرائيليين أنفسهم يودّون أن يتخيلوا لبنان الذي يضمر لهم النية الحسنة[١].

وتشدد النظرة التقليدية الى السياسة الخارجية الإسرائيلية على أن إسرائيل لم تكن مرة مهتمة بالتدخل في جيرانها العرب، وفي شؤونهم الداخلية، أو في الميزان الإقليمي العام. ويذهب أصحاب هذه الحجة إلى أن الدولة اليهودية، خلافا لذلك، كانت متحفظة ومنعزلة بعدما رفضها العالم العربي. لكن، في الواقع، فإن هذه الحجة تذهب إلى القول بأن عدم التدخل في السياسات الإقليمية كانت احدى السمات الأكثر ديمومة في السياستين الصهيونية والإسرائيلية على السواء.

ولم يظهر صانعو السياسة الإسرائيليون لا المقدرة ولا الرغبة الحقيقية في التأثير المباشر على شؤون الدول المجاورة. وينطبق هذا على الساحة السياسية المحلية لكل دولة، وكذلك على التوازن الشامل بين التيارات العربية المحافظة

(١) Michael Hudson, *The Precarious Republic* (Colorado: Westview Press, 1985), p.98.

والراديكالية، أو بين أولئك الذين يناصرون سياسة موالية للسوفيات، أو أخرى موالية للأميركيين[٢].

على عكس هذا التصور التقليدي، سنجادل هنا بأن التدخل في الشؤون السياسية للدول العربية المجاورة كان سمة ثابتة، سواء في سياسات ما قبل الدولة التي اتبعتها الوكالة اليهودية في فلسطين، أو في سياسات دولة إسرائيل. وبدلاً من أن تؤدي العزلة الإقليمية إلى ابتعاد سياسي وانسحاب، أدت إلى تدخل ناشط في السياسات الداخلية للدول العربية المجاورة.

يُعرّف مبدأ التدخل بأنه «عملية تدخل «أو الدخول» أو تكلّف التدخل في أي شؤون بشكل يؤثر في مسارها أو موضوعها»[٣]. وهي تشمل أي عمل، عسكريا كان أو سياسيا، مكشوفا أو سريا، يُنفّذ بقصد تغيير قرارات داخلية أو خارجية. إن هدف مثل هذا التدخل كان إبقاء العالم العربي منقسما لتأمين مصالح إسرائيل. وفي سياق هذه المصالح يمكن تقسيم سياسة إسرائيل إلى شكلين منفصلين من التدخل: الأول، وهو التدخل لدعم حليف للتأثير في السياسات المحلية. والثاني، وهو التدخل في الميزان الإقليمي كوسيلة لتحقيق الهيمنة، وتدخل إسرائيل في لبنان يجمع بين هذين الشكلين. لقد تدخلت الدولة اليهودية لمصلحة حليفها الماروني بهدف تأمين سيطرة مارونية سياسية. علما أن حليفا مارونيا قويا يساهم في هيمنة إسرائيلية على المشرق في مواجهة سوريا.

تشتمل العلاقات الإسرائيلية المارونية على شكلي التدخل الإسرائيلي، وهي بهذه الصفة ستكون محور هذا التحليل. وسوف نقدم الحجج لنثبت بأن استراتيجية إسرائيل السياسية والعسكرية قد استخدمت وسيلة لأغراض الهيمنة اساساً: انشاء شرق أوسط اكثر مؤاتاة للدولة اليهودية. لقد استندت إسرائيل إلى تقديم دعم مباشر أو غير مباشر لقوى معارضة في الدول العربية المجاورة

(٢) Aaron Klieman, 'Zionist Diplomacy and Israeli Foreign Policy', *The Jerusalem Quarterly*, No. 11, Spring 1979.

(٣) C.T. Onions (ed.), *Shorter Oxford Dictionary on Historical Principles*, Vol.1 (Oxford: Clarendon Press, 1944).



بهدف جذب هذه الدول إلى معسكرها. وستظهر هذه الدراسة، وبشكل مواز في الأهمية، أن بعض المجموعات في البلدان العربية لم تكن تهتم بالتعاون مع إسرائيل، فحسب، بل إنها، في الواقع، كانت تتعاون معها منذ عقود، كما ستبرهن على ذلك العلاقات الإسرائيلية المارونية من العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٨٤.

لقد حوفظ على العلاقات الإسرائيلية المارونية والى حد كبير، من خلال اتصالات سرية استمرت حتى أواخر السبعينات، إلى أن أصبحت، في ظل حكومة الليكود من العام ١٩٧٧ حتى العام ١٩٨٤، اكثر علنية مع الدعم المباشر والتدخل العسكري. إن تحليل هذه العلاقة الاستراتيجية، بصفتها تعبيراً عن السياسة الخارجية الإسرائيلية التي تعتمد مبدأ التدخل، يكشف النقاب عن صورة مختلفة للصراع العربي الإسرائيلي. فاستمرار العلاقات غير الرسمية بين الموارنة وإسرائيل لما يزيد على الأربعين عاما، يظهر، من منظار مختلف، حال الحرب الرسمية بين لبنان وإسرائيل، وكذلك عزلة إسرائيل. وأن هذه الاتصالات، التي تمت من خلال الدبلوماسية الإسرائيلية السرية، تظهر بوضوح الانقسامات بين الدول العربية، كما تظهر أيضا أن إسرائيل لم تكن بهذا القدر من العزلة الذي كانت تتصوره عن نفسها والذي صارت، بالتالي، تصوره كما لو كان قائماً، بل على العكس، فقد أتيحت لإسرائيل خيارات للتفاوض، لكنها تخلت عنها لصالح الحلول العسكرية.

ولهذا، فإن العلاقات الإسرائيلية المارونية تطرح أسئلة مهمة تتعلق بطبيعة السياسة الخارجية الإسرائيلية: هل إسرائيل هي بطبيعتها دولة تنتهج مبدأ التدخل، أم أن التدخل استخدم خيارا أخيرا بعدما فشلت كل الوسائل الدبلوماسية، وبعبارات أخرى، هل أصبح التدخل هو المعيار لحل المشكلات على مستوى العلاقات ما بين الدول، وضمن هذا الإطار، هل يشكل لبنان حالة خاصة كونه دولة تسمح لنفسها بأن تكون عرضة للتدخل والسيطرة الأجنبية؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا؟ وأخيراً، هل كانت سياسة إسرائيل الخارجية، في ما يتعلق بلبنان، تدار على مستوى السياسة الواقعية المرتكزة على فرضيات واقعية وعلى فهم لهذا البلد، أم كانت ترتكز على فرضيات

أيديولوجية، وعلى صورة رسمت من دون فهم للوضع برمته، وعلى المبالغة في تقدير قدرات إسرائيل العسكرية؟

كان هدف إسرائيل من التدخل في الشؤون العربية الداخلية إبقاء العرب منقسمين، وبالتالي منشغلين في التحارب بدلا من أن يتوحدوا ضد إسرائيل. مثل هذا التدخل اظهر نفسه، بشكل عام، من خلال الرد على القوى العروبية في خلال الخمسينات والستينات، بالإضافة إلى محاولة التأثير في السياسات الداخلية لبعض الدول العربية منفردة.

وعلى هذا، فإن التدخل ليس انحرافاً عن المعهود في السياسة الخارجية لإسرائيل، بل هو سمة مركزية فيها. فموقع دولة إسرائيل بحد ذاته، والرفض العربي الرسمي للاتصال مع إسرائيل بأي طريقة من الطرق، لم يؤديا إلى إدامة نظرة إسرائيل إلى عزلتها، فحسب، بل حفّزا ايضاً، اجراء محاولات لكسر طوق هذه العزلة عبر التدخل في السياسات العربية بهدف تغيير التركيب الجغرافي السياسي للمنطقة.

لقد كانت علاقات إسرائيل مع لبنان دائما ذات طبيعة مختلفة عن علاقات إسرائيل مع أي دولة عربية في الشرق الأوسط. والمكانة المميزة التي خُصصت للبنان في سياسة إسرائيل الخارجية، من العام ١٩٤٨ إلى العام ١٩٨٤ وحتى يومنا هذا، قد نتجت عن جملة عوامل. وأهم هذه العوامل هو العلاقات اليهودية المارونية زمن اليشوف التي أدت إلى علاقات إسرائيلية مارونية قوية، ونظرة ديفيد بن غوريون، أول رئيس حكومة إسرائيلي، للبنان «كحليف طبيعي» و«الحلقة الأضعف في السلسلة العربية»، وعزلة إسرائيل في المنطقة، وأخيراً، حاجات إسرائيل الأمنية.

يشكل لبنان محور هذه الدراسة عن سياسة التدخل الاسرائيلية نظراً لموقعه الخاص في العالم العربي وفي المخيلة السياسية الإسرائيلية. فمن جهة، يشكل لبنان مثالا على التدخل الاسرائيلي في دول عربية بصفته دولة من ضمن عدة دول عربية تقيم علاقات دبلوماسية سرية مع مسؤولين سياسيين إسرائيليين. ومن جهة أخرى، فإن لبنان حالة خاصة بسبب تركيبته الطائفية التي تجعل منه الدولة العربية الوحيدة التي تتركز فيها السلطة السياسية في أيد غير مسلمة تحديداً.



أضف إلى ذلك، أن صانعي السياسة في إسرائيل نظروا بمعظمهم إلى لبنان على أنه الدولة الأضعف في سلسلة الدول العربية المحيطة. فلبنان بتركيبته المتعددة الأعراق والأديان، وتوجهه الموالي للغرب، والعوامل الفينيقية والفرنسية في تاريخه، كان يعتبر الدولة الأقل عروبة، وانه بالتالي الدولة التي يسهل جعلها حليفة اكثر من اي دولة اخرى غيرها. وبكلام آخر، كان لبنان تلك الحلقة في السلسلة العربية التي يمكن كسرها بالتدخل الإسرائيلي السياسي والعسكري.

ومع ذلك، لم يكن لبنان ضعيفا بالمعنى الأيديولوجي والسياسي، فحسب، بل كان أيضا ضعيفا عسكريا، فلم يكن يملك سوى جيش صغير من دون قدرات بحرية أو جوية يعتد بها. بل أكثر من ذلك، فإن الجيش اللبناني، الذي يعكس تركيبة الدولة الطائفية والاثنية، كان لديه استعداد للتفكك على أسس طائفية في زمن الأزمات. وفي الواقع، فإن لبنان، خلال معظم تاريخه، كان يعتمد على قوى خارجية لاستعادة سيادته ووحدته. وهكذا، فقد كان الدولة الأضعف بين ما يسمى دول «المواجهة». وبحكم كونه كذلك، فإنه كان، ولا يزال، عاجزا عن الدفاع عن نفسه ضد الاعتداءات الإسرائيلية.

زد على ذلك، أن لبنان لم تكن له مصلحة في حرب مع إسرائيل، إذ لم يكن على تناقض حقيقي مع الدولة اليهودية. فالحدود المشتركة بينهما كانت دوما الحدود الدولية التي صُدّق عليها في اتفاق الهدنة الذي عُقد بسهولة في العام ١٩٤٩. وبهذا المعنى، فإن لبنان ليس مؤهلا حتى ليكون دولة مواجهة كاملة المواصفات. وهو، في الواقع، لم يشترك في أي من الحروب العربية الإسرائيلية بعد العام ١٩٤٨، كما أنه لم يلتزم بالقتال من اجل الفلسطينيين. إذ لم تكن للبنان دوافع للقتال، بل على العكس من ذلك، فقد كان لديه دافع للوصول إلى تسوية سلمية تتيح له الانصراف إلى تدبير شؤونه.

إن الضعف المتأصل في موقف لبنان في الشرق الأوسط، سواء بالنسبة إلى موازينه الطائفية الدقيقة أو النقص في قوته العسكرية، قد أحال لبنان إلى مكانة «التابع» الدائم. وبالتالي لم يكن باستطاعته أن يتوصل، علنا، إلى عقد اتفاق مع إسرائيل ويخرج نفسه من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي.

هذا الضعف بدا أكثر وضوحا مع تزايد تدفق اللاجئين الفلسطينيين إلى لبنان في السبعينات. إذ لم يعد باستطاعة لبنان أن يحمي نفسه من التأثير المدمر لسياساته الداخلية التي باتت ذات طابع فلسطيني، أو من القوى الخارجية التي كانت تريد فرض هيمنتها عليه. وبالفعل، فقد أصبح لبنان ساحة المعركة ان للجهود السورية، او للجهود الإسرائيلية الساعية الى بسط الهيمنة على المشرق.

وهذا المدخل الى الهيمنة الذي كان مبدأ التدخل إحدى وسائلها، يعود تاريخه إلى السياسة الأولى للصهيونية القاضية بإقامة تحالف الأقليات. فالصداقة المارونية اليهودية تعود أصولها إلى العشرينات، وقد نمّت الحكومة الإسرائيلية منذ العام ١٩٤٨ هذه الصداقة عبر اتصالات مع شخصيات لبنانية مارونية سياسية ودينية. ووطدت هذه العلاقات بثبات عبر المزيد من المساعدة الإسرائيلية، والمزيد من المطالب المارونية التي بلغت ذروتها في التعاون السياسي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

هذه العلاقة كانت دائما علاقة مزعزعة، تقوم على موقع غير مأمون لكل من هاتين الأقليتين في منطقة يسيطر عليها الإسلام والعروبة. لقد تأثرت هذه العلاقة بالقوة المحركة لتفاعل الطائفة المارونية اللبنانية مع اللبنانيين المسلمين بقدر ما تأثرت بحروب اسرائيل مع الجيران العرب. وبعبارات عامة، فإن مسيحيي لبنان كلما كانوا يتحركون نحو تقارب مع المسلمين، كانوا يبتعدون ايضاً عن إسرائيل، وكلما كان التهديد لحدود إسرائيل يأتي فقط من الجنوب أو الغرب، كانت سياسة الحكومة تنصرف عن الاهتمام بالعلاقة المارونية الإسرائيلية.

ويتطرق هذا الكتاب إلى سياسة إسرائيل حيال الموارنة من العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٨٤. وقد اختيرت العلاقات المارونية الإسرائيلية كموضوع مغاير للعلاقات اللبنانية الإسرائيلية لأسباب واضحة. فالموارنة كانوا أول طائفة شرق أوسطية تفاتح اليهود في فلسطين بمفهوم «تحالف الاقليات». وقد كانوا ايضاً، الطائفة الوحيدة والأهم غير المسلمة، التي لها علاقات واسعة النطاق مع الغرب. وطوال فترة حالة الحرب الرسمية بين البلدين، لم يعمد الجانبان



إلى صياغة هذه العلاقات التي بنيت على اساس الاحساس بما يجمع بينهما، فحسب، بل إلى تنميتها أيضاً.

هذه الدراسة لا ترتبط بعلاقات بين دولتين، أي بين لبنان وإسرائيل، لأن هذه العلاقات لم تكن موجودة، على الأقل ليس على مستوى دبلوماسي رسمي، فالجمهورية اللبنانية لم تعترف قط بشرعية وجود إسرائيل. وحتى وأن لم تكن قد شاركت في أي من الحروب العربية الإسرائيلية منذ العام ١٩٤٨، فإنها بقيت مع ذلك في المعسكر العربي المعادي لإسرائيل. وعوضاً عن ذلك، فإن هذه الدراسة هي دراسة ترتبط فقط بعلاقات إسرائيل مع الموارنة، وسيتم تحليل الجانب الإسرائيلي منها فقط تحليلا عميقا. وإن النظر في سياسات الموارنة حيال إسرائيل هو خارج مجال هذا الكتاب. وفي الواقع ينبغي القول إن الموارنة لم يشكلوا جماعة موحدة ولم تكن لديهم سياسة موحدة. وعندما تستخدم كلمة موارنة في هذا الكتاب فإنها تستخدم كتعبير يشمل مختلف المجموعات والشخصيات المارونية التي اتصلت بممثلين لحكومة إسرائيل في وقت من الأوقات.

انه أيضاً خارج نطاق هذا الكتاب جرى تناول الشيعة والدروز والسوريين والفلسطينيين ما لم تكن الإشارة إليهم ذات صلة بالعلاقات الإسرائيلية المارونية. وهذه الدراسة تركز على طريقة تفكير إسرائيل واستراتيجيتها وسياستها وصنع القرار فيها. ومن الضروري العودة إلى مرحلة اليشوف الإنشائية في الثلاثينات والأربعينات لوضع سياسات إسرائيل في نصابها. كما أن هذه الدراسة ستعالج العلاقات اليهودية المارونية من العام ١٩٢٠ وحتى العام ١٩٨٤، حين أقيمت «سفارة» إسرائيلية في ضبية. لقد شكل اجتياح إسرائيل للبنان في حزيران ١٩٨٢ ذروة التعاون الإسرائيلي الماروني. لكن فشل الاجتياح الإسرائيلي، وموت بشير الجميل في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، وإلغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو في العام ١٩٨٤، كان علامة على التفكك السريع للعلاقات المارونية الإسرائيلية.

ومن خلال مجمل مرحلة العلاقات الإسرائيلية المارونية، من العشرينات إلى الثمانينات، يمكننا تتبع مواضيع تتكرر. وما هو مهم منها لهذا التحليل هو

التالي: تحالف الأقليات؛ مبدأ التدخل؛ عزلة إسرائيل في العالم العربي؛ النزاعات السياسية داخل المؤسسة الإسرائيلية؛ «العامل الفلسطيني»؛ وأخيرا، وليس آخرا، دور الولايات المتحدة.

لقد كان مفهوم تحالف الأقليات محوريا في معظم سياسة إسرائيل الخارجية. انه يدعو إلى إقامة علاقات مع أقليات غير عربية وغير مسلمة في الشرق الأوسط. كما يقضي بدعم أقليات اثنية، مثل الأكراد والدروز أو الموارنة، على أنها أقليات مناوئة ممكنة للأنظمة المعادية لإسرائيل. ثم جرى توسيع هذا المفهوم ليشمل قوى معارضة أخرى ودولا غير عربية مثل تركيا وإيران. لكن الأهم في ذلك كله هو ان المنطلق إلى العلاقات بين الأقليات كان الفرضية القائلة بأن «عدو عدوي صديقي». مثل هذه النظرة المبسطة، في ظروف معينة، كان لا بد من أن تخلق وهماً بوجود مصالح مشتركة حيث لم تكن مثل هذه المصالح موجودة.

من ضمن هذا المفهوم مُنح الموارنة وغيرهم من اللبنانيين المسيحيين مكانة «حلفاء طبيعيين». فقد كانوا الأقرب إلى الطائفة اليهودية في فلسطين من حيث المنظور السياسي والاقتصادي والثقافي. ومثلهم مثل المهاجرين اليهود الجدد، إذ كان للمسيحيين اللبنانيين روابط وثيقة مع شتاتهم، وكانوا يتماثلون مع الغرب اكثر مما يتماثلون مع الشرق الاوسط، وبدوا أنهم أيضا يواجهون المصير نفسه، بحيث أنهم محاطون ببحر عربي إسلامي يزداد عداء لهم. وهكذا اصبح لبنان بالنسبة إلى الكثيرين، من الساسة الإسرائيليين، مفتاحا لمحاولة اقتحام الابواب المؤدية إلى الخروج من العزلة الإقليمية التي ترى اسرائيل نفسها فيها.

ولم يكن ممكناً تحقيق تحالف مع اكبر عدد ممكن من الأقليات الا بواسطة تدخل إسرائيلي مباشر وغير مباشر في الشؤون الداخلية للدول في المنطقة، في حين ان وجهة النظر الإسرائيلية التقليدية في هذا الموضوع كانت أن إسرائيل لم تتدخل قط في النزاعات العربية الداخلية. فإسرائيل منذ انشائها، كانت تعيش في موقع الدولة المدركة لعزلتها.

وعلى الرغم من ذلك ووفق حججنا السابقة، فإن العزلة لا تؤدي



بالضرورة إلى تجانب سياسي، وهي في حالة إسرائيل فقد أدت إلى نتيجة معاكسة. اذ ان رفض العرب قبول إسرائيل لم يؤد إلى إدامة نظرة إسرائيل إلى نفسها كدولة معزولة، فحسب، بل أدى ايضاً إلى جهود لكسر هذه العزلة عبر التدخل في السياسات العربية بهدف تغيير التركيبة الجغرافية ـ السياسية للشرق الأوسط. وهكذا، فإن كل جهد لكسر عزلة الدولة الإقليمية دفعها حتما إلى الاتصال بأي كان ودعمه، وخصوصا القوى المعارضة في البلدان المجاورة، التي يمكنها أن تمهّد الطريق أمام علاقات طبيعية. ولإقامة اتصالات وعلاقات من هذا النوع، إن بواسطة الدبلوماسية أو الإكراه، لجأت اسرائيل إلى التدخل السياسي والعسكري.

غالباً ما جرى إيجاز التدخل الاسرائيلي خطأ تحت شعار «البقاء»[٤]. ففي حالة لبنان تدخلت إسرائيل، بشكل منتظم ومباشر أو غير مباشر، لدعم غَلبة المسيحيين. ومع ذلك، فإن الهدف لم يكن بقاء إسرائيل، فحسب، بل هيمنتها أيضاً.

لكن سياسة إسرائيل، في هذا الموضوع، لم تتم قط في سياق واحد. فقد نشأت مدارس فكرية متعددة داخل المؤسسة الإسرائيلية حول التدخل كاداة للسياسة الخارجية الإسرائيلية. ويمكن تصنيف مدرستين رئيسيتين بالمدرسة الداعية للتدخل والمدرسة المناهضة للتدخل.

فالمدرسة الداعية للتدخل حضت على تدخل فعال واسع النطاق وعلى عمليات سرية. وفي إطار العلاقات المارونية الإسرائيلية لم تبالغ هذه النظرة في تقدير قوة الموارنة واستعدادهم للتعاون مع إسرائيل فحسب، بل حبذت علنا التدخل العسكري لإنشاء دولة مسيحية في لبنان. فقد كانت النظرة إلى القوة العسكرية على أنها وسيلة لإرغام الجيران العرب على القبول بإسرائيل وإقامة السلام. وكان بن غوريون قد عمل على اشاعة هذه المقاربة من العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٦٣، ووجد دعما واسعا داخل المؤسسة العسكرية

(٤) Avi Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics: The Case of Lebanon', in Giacomo Luciani and Ghassan Salame (eds), *The Politics of Arab Integration* (London: Groom Helm, 1988), p.232.

ودائرة الأمن. وقد تبنى صانعو القرار في الليكود نظرة مماثلة في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

أما المدرسة المناهضة للتدخل فقد دعت الى مقاربة أكثر حذرا من الموارنة ولبنان. لقد كانت مترسخة في واقع مجتمع الدولة اللبنانية، وتعي مخاطر وأفخاخ طائفة متميزة بالتقلب في التحالفات والتحالفات المضادة. وكانت تنظر إلى الموارنة على أنهم طائفة تعاني من انقسامات حادة، فضلاً عن أنها غير منظمة تنظيما كافيا وغير قوية، ولا تملك حتى الحافز «لإنقاذ» إسرائيل من عزلتها الإقليمية. وكان المناصر الرئيسي لهذه النظرة موشي شاريت وزير خارجية إسرائيل من العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٥٦. وقد شاطره آراءه عدد كبير من الدبلوماسيين في وزارة الخارجية وما زالوا حتى يومنا هذا.

تميزت السنوات الأولى للسياسة الإسرائيلية بالصراع بين مدرستي التفكير هاتين، فكانت الغلبة فيه عموماً، لمقاربة التدخل او الهيمنة. وتبع ذلك مرحلة من عدم الاهتمام النسبي بالساحة اللبنانية من العام ١٩٦٠ وحتى العام ١٩٧٠. والمرة الوحيدة التي كانت فيها قرارات السياسة الخارجية مستمدة من المدرسة المناهضة للتدخل كانت في ظل حكومة شاريت نفسه من كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٣ وحتى تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، وكذلك في ظل حكومة اسحق رابين من حزيران/ يونيو ١٩٧٤ وحتى حزيران/ يونيو ١٩٧٧. ومع انتصار الليكود في انتخابات ١٩٧٧، أعيد إحياء أفكار بن غوريون ووضعت موضع التنفيذ. وبلغت مقاربة التدخل ذروتها في عملية «سلامة الجليل» العام ١٩٨٢، وهي عملية كانت للجليل اهمية ثانوية فيها بالمقارنة مع الهدف النهائي القاضي بتغيير التركيبة الجغرافية ـ الاستراتيجية للمشرق وبسط الهيمنة الإسرائيلية على الشرق الأوسط كله.

لقد أدّى الفلسطينيون دوراً مهماً في مسعى إسرائيل للهيمنة. لكن الزعماء الصهاينة الذين واجهوا معارضة الفلسطينيين الشعواء، استطاعوا أن يجاوزوا هذه المعارضة دوما عبر نسج تحالفات مع الدول المجاورة. فعلاقات اليشوف، وبعد ذلك إسرائيل، مع الموارنة لم تكن مختلفة، فقد بنى اليشوف تحالفه مع الكنيسة المارونية ضد مخاطر الدين الإسلامي الذي يعتنقه معظم الفلسطينيين.



وفي العام ١٩٤٨، خلق إنشاء دولة إسرائيل أيضا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وكان تفاقم هذه المشكلة بسبب عمليات الطرد الاضافية خلال الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية في العام ١٩٦٧، والحرب الأهلية في الأردن عام ١٩٧٠، قد جعل للاجئين الفلسطينيين تأثيراً مباشراً في العلاقات الإسرائيلية المارونية. إذ لم يعد يبقى لهم مكان آخر يذهبون إليه غير لبنان، واصبحوا محشورين بين إسرائيل في الجنوب والموارنة في الشمال. وكان الموارنة ينظرون إلى الفلسطينيين على أنهم خطر يهدد التوازن الديمغرافي في لبنان، وبالتالي سيطرتهم السياسية. وكانت إسرائيل أيضاً، تنظر إليهم على أنهم تهديد سياسي وعسكري، وإذا لم تتصدى له، فإنه سيؤدي إلى إنشاء دولة فلسطينية في الأراضي التي تحتلها اسرائيل. وهكذا فقد شكل الفلسطينيون عامل عدم استقرار لكل من لبنان وإسرائيل، الأمر الذي أدى إلى نشاط مكثف لإحياء تحالف اسرائيلي ـ ماروني بهدف القضاء على الفلسطينيين سياسيا، إن لم يكن جسديا.

والموضوع الأخير الذي سيبحث في العلاقات الإسرائيلية المارونية مرتبط بالموضوعات الأربعة السابقة ولكن بطريقة مختلفة. ففي حين ان الموضوعات الأربعة الأولى هي داخلية، فإن دور الولايات المتحدة في هذه العلاقات هو موضوع التأثير الخارجي الذي لا يقل عنها أهمية تقريبا. وقد أدت الولايات المتحدة دوراً مهماً في تحقيق الاتصال الماروني الإسرائيلي عبر اليهود الأميركيين والجاليات اللبنانية. ففي العام ١٩٤٨، التقى كاهن ماروني أميركي يؤيد قيام دولة يهودية في فلسطين، بالمجلس الصهيوني الأميركي. وقد ادى الدعم الذي قدمه الأميركيون اللبنانيون للقضية الصهيونية إلى نشوء صلات مباشرة بين إسرائيل وحزب الكتائب السياسي الماروني، وبالتالي إلى فتح أول ثغرة لاسرائيل تدخل عبرها الى السياسة اللبنانية الداخلية.

وخلال الخمسينات، تطور دور الولايات المتحدة نتيجة سياساتها في الحرب الباردة وبات يشمل دعمها لاسرائيل ولبنان، بصفتهما دولتين ديمقراطيتين، انخرطتا في المعسكر الغربي. وفي نواح عديدة، فقد خدمت مصالح الولايات المتحدة في دعم موقف لبنان الموالي للغرب مصالح إسرائيل

في المحافظة على الهيمنة المارونية. وبالفعل، فإن مبدأ ايزنهاور والسياسات الإسرائيلية المرتكزة على التفكير بالمحيط كانا يهدفان إلى احتواء التهديد الناصري الشيوعي. أضف إلى ذلك، أن هذه السياسات كانت تحضّ على المحافظة على لبنان مسيحي موالٍ للغرب مهما كان الثمن. ونتيجة لذلك، فقد حصلت إسرائيل، على الأقل، وبشكل غير رسمي، على دعم لسلوكها التدخلي، وعلى تأييد لعلاقاتها مع الموارنة.

وبهذا، فإن العلاقة الأميركية الإسرائيلية المارونية تصبح أكثر وضوحا عندما ننظر ملياً إلى الحربين الأهليتين اللبنانيتين وتبعاتهما. فقد دعمت إسرائيل في هاتين الحربين، وبشكل غير مباشر، بعض الفئات المارونية، غالبا بالمال وشحنات الأسلحة. أما المساعدة الأميركية فقد ذهبت إلى ابعد من ذلك. ففي العام ١٩٥٨، دعا الرئيس اللبناني كميل شمعون، الموالي للغرب، الولايات المتحدة إلى التدخل عسكريا، فنزل المارينز في بيروت في تموز/يوليو بعدما كانت الولايات المتحدة قد تتبعت عن كثب النزاع الأهلي منذ العام ١٩٥٧. وكان الهدف الأساسي لهذه العملية الإبقاء على لبنان تحت السيطرة المارونية. وفي حزيران/يونيو ١٩٨٢، وعلى أثر تفكك الدولة اللبنانية بعد الحرب الأهلية في العامين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، قامت إسرائيل باجتياحها استجابة لمطالب مماثلة للمساعدة. وكانت اهدافها تدمير البنية التحتية الفلسطينية في لبنان، وإعادة إحلال السيطرة المارونية، وصنع السلام مع لبنان «الجديد»، وتسوية صراعها مع سوريا، بصورة نهائية، من أجل الهيمنة الإقليمية، وذلك عن طريق إخراج سوريا من المعادلة. ولم يمض وقت طويل على الاجتياح الإسرائيلي، الذي حظي بموافقة مسبقة من بعض المسؤولين الأميركيين، حتى أرسل المارينز مرة أخرى إلى بيروت، ولكن هذه المرة لمساعدة القوات الإسرائيلية في الإبقاء على لبنان الماروني.

إن موضوعات تحالف الأقليات، والتدخل، والخلافات على السياسة الخارجية الإسرائيلية، والعامل الفلسطيني، والدور الأميركي، هي موضوعات تتكرر، بشكل منتظم، في العلاقات المارونية اليهودية منذ العام ١٩٢٠ وحتى العام ١٩٨٤. كما أنها تلقي الضوء على الدور المتكرر لنهج التدخل المتّبع في

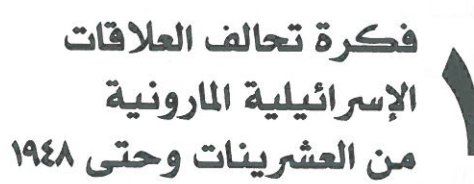


السياسة الإسرائيلية وتظهر أن هدف إسرائيل النهائي ليس البقاء فحسب، بل الهيمنة أيضاً.

وحتى الآن، لم تتوافر أي دراسة شاملة في موضوع العلاقات الإسرائيلية المارونية أو التدخل الإسرائيلي في الشؤون الداخلية اللبنانية، إذ إنه لم يكتب الكثير من المقالات عن نشأة العلاقات الإسرائيلية اللبنانية. فتطرقت لورا زيترين أيزنبرغ إلى معاهدة ١٩٤٦ في مقال بعنوان «دبلوماسية يائسة: المعاهدة الصهيونية المارونية للعام ١٩٤٦»، وأصدرت كتابا ممتازا بعنوان: «عدو عدوي: لبنان في مخيلة الصهيونيين الأوائل». كذلك مقالة نيل كابلان وأيان بلاك: «إسرائيل ولبنان: نشأة علاقة»، التي تتطرق إلى العلاقات السابقة لنشوء الدولة. ومقالة: «اسرائيل والكتائب اللبنانية: ولادة علاقة ١٩٤٨ ـ ١٩٥١» التي ينظر من خلالها بني موريس إلى السنوات اللاحقة عندما يناقش فيها إقامة العلاقات الإسرائيلية الكتائبية. وهناك عدة كتب كتبت تتعلق بالسنوات الاقرب وتعالج بصورة رئيسية اجتياح ١٩٨٢ تحديداً. وقد ركزت هذه الكتب، بمعظمها، على الجوانب الأمنية وعلى الفلسطينيين أكثر مما ركزت على العلاقات الإسرائيلية المارونية.

يهدف هذا الكتاب إلى سد هذه الفجوة في أدبيات الموضوع. فهو يهتم أساسا بتلك الجوانب للسياسة الإسرائيلية في لبنان، ذات الطابع التدخلي اكثر من غيرها، خلال الفترة الممتدة من العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٤٨. وقد شكل اجتياح إسرائيل للبنان في العام ١٩٨٢ ذروة هذه السياسة في جانبيها السياسي والعسكري. فطرح بعض الباحثين «عملية سلامة الجليل» في العام ١٩٨٢ على أنها انحراف، وأنها الحرب الهجومية الوحيدة في تاريخ إسرائيل، وأنها محصلة التفكير المنحرف لمفاهيم مناحيم بيغن وارييل شارون. وسيحاول هذا الكتاب أن يظهر أن الاجتياح كان ذروة العلاقة المارونية الإسرائيلية القديمة العهد، ونتيجة مقاربة الهيمنة الإسرائيلية على الشرق الأوسط كمنطقة. باختصار، إن حرب ١٩٨٢، ستطرح هنا كنموذج مأثور على سياسات التدخل التي انتهجتها إسرائيل منذ نشوئها.

١



# فكرة تحالف العلاقات الإسرائيلية المارونية من العشرينات وحتى ١٩٤٨

«التواطؤ» يفترض سلفاً اتفاقا مباشرا وواضحا ويحمل في طياته معنى ضمنياً يلمح الى صفقة دنيئة وسرية. أما «التفاهم الضمني»، من جهة أخرى، فيمكن أن ينجم عن قراءة متبادلة للافكار، ويجعل الطرفين يدركان أن التعاون قد يكون مجديا لمصلحتهما المشتركة، ولكن من دون أي اتصال مباشر أو خطة عمل مفصلة لا لبس فيها ولا إبهام(١).

فينيقيا ولبنان، اسمان لبلد واحد. فينيقيا هي الشاطئ اللبناني، ولبنان هو الجبل الفينيقي(٢).

نشأت سياسة إسرائيل تجاه لبنان من خلال علاقات، سبقت قيام الدولة، بين فلسطينيين يهود ولبنانيين مسيحيين. لذلك، كان من الضرورة بمكان، إلقاء نظرة شاملة ودقيقة على كيفية بروز هذه العلاقات وكيفية مقاربتها، على طبيعتها، وماهية التوقعات التي أثارتها.

ويمكننا أن ننظر إلى مسرى هذه العلاقات على أنه واحد من تأثيرين كانا قد شكلا سياسة الحكومة الإسرائيلية حيال الجمهورية اللبنانية، وكان التأثير الآخر موقع اليشوف المعزول في الشرق الأوسط. وبعبارات أخرى، فقد

---

(١) Avi Shlaim, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition* of Palestine (Oxford: Clarendon Press, 1988). p.235.

(٢) الأب ميشال روفايل، «أرز لبنان في التاريخ» (مطبعة جدعون، بيروت، ١٩٢٤)

كانت سياسة إسرائيل حيال لبنان ترتكز على مفهومين: تحالف الأقليات، ومبدأ التدخل. وكان دمج هذين المفهومين، اللذين أثرا، على تفكير المؤسسة السياسية والعسكرية في آن، قد أدى إلى منطق مدرك يقول بأن لبنان قد يشكل المفتاح لإنهاء عزلة إسرائيل. وما إن ترسخت هذه الفكرة حتى راحت تديم نفسها بنفسها، بغض النظر عن واقعية مثل هذا التحالف.

لكن، وقبل أن ننظر في العلاقات اللبنانية الإسرائيلية، أو المارونية اليهودية التي كانت تبرز إلى حيّز الوجود، هناك حاجة لفحص الوضع اللبناني السياسي بدقة، لكي ننظر الى هذه العلاقات، وبالطبع الى نهج التدخل الاسرائيلي، في الإطار الصحيح.

## هوية لبنان المتزعزعة

في ٣٠ آب/أغسطس ١٩٢٠، انشأت سلطة الانتداب الفرنسي لبنان الكبير، وهو لبنان في شكله الراهن. وجرى توسيع المنطقة المسيحية في بيروت وجبل لبنان عبر إضافة محافظتي الشمال ولبنان الجنوبي المسلمتين لكي يصبح لبنان دولة قابلة للحياة. كانت النتيجة الصافية لإنشاء لبنان الكبير سعي سوريا لاسترداد ما سلخ عنها، واختلال الميزان الديمغرافي في الدولة الجديدة الذي نتج عنه شقاق بين الروحية المسيحية المارونية التقليدية، دعامة انشاء هذه الدولة، وبين التركيبة غير المتجانسة لسكانه[٣].

في العام ١٩٢٦، وضع وجهاء مسيحيون الدستور اللبناني بالتشاور مع سلطات الانتداب الفرنسي. وقد وُضعت هذه الوثيقة لتحقيق الوحدة في بلد عرف تاريخيا بانقسامه على اسس طائفية، ومناطقية، وعائلية. لكن، وعلى الرغم من محاولات خلق هوية وطنية لبنانية تظلل الجميع، فإن التوتر الماروني السني كان شديدا، وكان الانقسام المسلم المسيحي هو الطاغي. إلا أنه يجب التشديد على أن لا المسيحيون ولا المسلمون كانوا موحدين. فالتنافسات ضمن الدين الواحد استمرت بين الموارنة والروم الأرثوذكس والأرمن، وكانت هذه

(٣) Itamar Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1985*, revised edition (Ithaca: Cornell University Press, 1986), p.21.



حال السنة والشيعة والدروز، فضلاً عن عداوات بين العشائر وصراعات بين العائلات. وهكذا، فإن فكرة الهوية الوطنية كانت، ولا تزال، فكرة هشة بالمقارنة مع الولاءات الماضية لجماعات محددة. وقد دفعت ذكريات عداوات قديمة مجموعات لبنانية مختلفة للبحث عن ضمانات من قوى خارجية.

في العام ١٩٤٣، استقل لبنان عن فرنسا. واكد الميثاق الوطني، وهو اتفاق بين مختلف الأقليات، على الاستقلال والسيادة الكاملين للبنان. وكان على المسيحيين أن يكفوا عن طلب الحماية الغربية، بينما كان على المسلمين أن يكفوا عن محاولة جعل لبنان جزءاً من دولة عربية إسلامية أكبر[٤]. وقد وُزعت المناصب السياسية والإدارية على اساس الطوائف، فتولّى رئاسة الجمهورية ماروني، ورئاسة الحكومة سني. واستند التوزيع النسبي لمقاعد البرلمان إلى إحصاء للسكان أجري في العام ١٩٣٢ حافظ على الاكثرية المسيحية بنسبة ستة إلى خمسة.

وعلى الرغم من هذا الميثاق، فإن الاقليات جميعها بقيت تسيء الظن بعضها ببعض، وتقيم تحالفات لتأمين بقائها، الأمر الذي كان يستدعي قيام تحالفات مضادة للسبب نفسه، وقد عقد بعض من هذه «التحالفات» مع قوى من خارج حدود لبنان. وفي الواقع، فإن هذا الضعف المتأصل في النظام السياسي اللبناني قد تركه يشرع بابه أمام التدخل الخارجي. فقد قامت شخصيات وطوائف لبنانية، بأكملها، «بدعوة» دول خارجية إلى تنمية صداقات عبر اغراءات عاطفية، وثقافية، ودينية، أو، بكل بساطة، مالية، لتعزيز مصالحها الخاصة داخل الساحة اللبنانية السياسية[٥]، وقد كانت اسرائيل واحدة من بين هذه الدول.

## الموارنة والقومية المارونية

يشكل الموارنة الطائفة الأكثر عددا في لبنان. وهم من أصل آري وقد أتوا، في الأساس، من شمالي سوريا، واستقوا اسمهم من كونهم أتباع

(٤) Hudson, *The Precarious Republic*, p.44.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٤.

الراهب مارون الذي توفي في العام ٤١٠م. وفي العام ١١٨٢، اعترف الموارنة بسلطة البابا، وكان من شأن اتفاق ١٧٣٦ أن قرّب اكثر فأكثر بين الموارنة والكنائس الرومانية. وبالفعل، فقد اصبح الموارنة منذ ذلك التاريخ، كطائفة، جزءاً لا يتجزأ من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وتعود جذور القومية المارونية إلى القرن السادس عشر والوجود الفرنسي في لبنان. وقد برزت في القرن السابع عشر كقومية بدأت تساوي بين لبنان وبين الطائفة المارونية. هذه القومية النامية كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الحماية الغربية، ولا سيما الحماية الفرنسية. وقد جاء هذا التركيز على الحماية من خلال نظرة الطائفة إلى عزلتها والتهديد الذي تشعر به من الشرق الأوسط المسلم، هذه النظرة التي كونت الهوية المارونية والنظرة المارونية إلى لبنان بقدر ما كونها التاريخ والافكار الغربية. فقد اعتُبر لبنان ملجأً لمسيحيي الشرق الأوسط، إذ كان الموطن الوحيد للموارنة الذين، على عكس غيرهم من الطوائف اللبنانية المسيحية، ليست لديهم جاليات كبيرة في أوطان أخرى. وهكذا كان لبنان ينتمي للموارنة اكثر مما ينتمي لأي طائفة لبنانية أخرى.

لقد أدّى التاريخ أيضا دورا في نمو القومية المارونية. فطوّر الموارنة وعيا تاريخيا لأنفسهم وإحساسا بالمصير المشترك، ناظرين إلى أنفسهم على أنهم شعب مستقل. وعلى هذا، فقد اعتبروا أنفسهم مجموعة قومية إن لم يكن أمة. وهذا الادعاء مبني على امتلاكهم خصائص اثنية مميزة، وديانة واحدة، وتاريخا طويلا. فقد عاشوا لقرون في منطقة واحدة متراصة، وكانت لهم في وقت من الاوقات لغة مميزة (السريانية) فضلاً عن ذكريات الماضي القريب[٦]. أضف إلى ذلك، أن الموارنة ينظرون إلى أنفسهم على أنهم طائفة كان عليها أن تكافح لتحافظ على هويتها القومية والدينية، وأنهم طائفة لن تنصاع لتبعية مكانة اهل الذمة مثل غيرها من مسيحيي الشرق الأوسط[٧]. فتاريخ الموارنة تاريخ ممهور بمحاولات متكررة من البيزنطيين والمماليك والعثمانيين للسيطرة عليهم.

(٦) Iliya Harik, *Politics and Change in a Traditional Society: Lebanon 1711-1845* (Princeton: Princeton University Press, 1968), p.44.

(٧) مقابلة مع فؤاد ابوناضر، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.



ومنذ القرن العاشر، كان للعلاقات مع أوروبا تأثيرها الكبير على القومية المارونية. فرجال الدين الموارنة الذين تلقوا تدريبهم في الخارج جلبوا معهم الأفكار والقيم الغربية، ما جعل الموارنة بمعظمهم يتكلمون الفرنسية أفضل من العربية، ويرسلون أولادهم إلى مدارس فرنسية، ويرتدون الزي الغربي. هذا النفي لـ «العروبة» الذي برزوه في سلوكهم انعكس في الروحية المسيحية المارونية التقليدية التي ترى في لبنان الماروني خلفاً للفينيقيين، جمهورية تجارية حاملة ثقافة متوسطية ومصدر الإشعاع لمحيطها[٨]. وبالفعل، فإن لبنان مثله مثل إسرائيل، يُعتبر جسراً ما بين الشرق والغرب[٩].

لقد جسّدت المارونية السياسية هذه الروحية. وهي كقومية لها إطلالة غربية تتماثل مع القيم الغربية. إنها تعيد جذور لبنان إلى الفينيقيين مانحة إياه بذلك حضارة متفوقة واكثر قدماً. وبالتالي فلا الموارنة ولا لبنان هم عرب. وهناك درجات متنوعة لهذا المذهب اللبناني موجودة داخل المؤسسة السياسية المارونية، فالتيارات الأكثر تطرفا فيها تعاطفت مع الصهيونية معتبرة اياها حركة باستطاعتها أن تمهد الطريق أمام دولة مارونية منفصلة.

## اختيار الموارنة كحليف ممكن

أدى ازدياد الوعي لأهمية المسألة العربية بالنسبة إلى اليشوف فضلاً عن تنامي الشعور بالعزلة، إلى نشوء الأفكار الصهيونية المبكرة بإجراء اتصالات مع الأقليات. ونظر إلى هذا الأمر على أنه المفهوم الأكثر منطقية الذي يؤمن مخرجا من عزلة كهذه، وان كان قد وُصف فيما بعد، ولدى اعادة النظر في الماضي، بمقاربة غير واقعية حتى في العشرينات[١٠].

عند هذه النقطة من الزمن لم تكن الاتصالات مع الأقليات تسير وفق سياسة منهجية، بل كانت جزءا من إطار الاتصالات مع أي شعب عربي لديه استعداد للتحدث مع إسرائيل بغض النظر عن ديانته ووضعه الديمغرافي.

(٨) رابينوفيتش، ص٢١.

(٩) مقابلة مع فؤاد أبو ناضر، بيروت ٤ تموز ١٩٥٥.

(١٠) مقابلة مع يوسي اولمرت، تل أبيب، ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

وكان اتفاق وايزمان ـ فيصل في العام ١٩١٩، على الرغم من عدم جدواه، النتيجة الأبرز لهذا البحث عن العلاقات. وفي هذا السياق تأسست أولى العلاقات غير الرسمية مع اللبنانيين.

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو لماذا تطورت اتصالات اليشوف مع الموارنة اللبنانيين بطريقة مغايرة لمعظم الاتصالات الأخرى؟ يبدو أن الجواب يمكننا إيجاده في نظرة الموارنة إلى أنفسهم على أنهم أقلية، وليس بالأحرى، في اتباع اليشوف مقاربة مختلفة معهم. وفي الواقع، فإن الإكليروس الماروني هو الذي سعى وراء ممثلي الوكالة اليهودية وطرح عليهم فكرة تحالف الأقليات.

كان وضع الموارنة غير المأمون في لبنان في حال تدهور مع انطلاق لبنان من سيطرة الانتداب الفرنسي نحو مكانة الدولة المستقلة. وكان الخوف من التحول إلى أقلية، ليس في لبنان فحسب، بل في منطقة الشرق الأوسط الأكبر، قد أدى إلى انقسام الطائفة إلى فئات مختلفة، استطاعت اثنتان منها أن تؤديا دورا مهما في علاقات اليشوف، ومن ثم إسرائيل، مع الطائفة المارونية. فكانت الفئة الأولى، بقيادة الاكليروس الماروني، قد دعت إلى التحالف مع الأقليات الأخرى غير المسلمة في الشرق الأوسط. وهكذا اعتُبرت الطائفة اليهودية في فلسطين حليفاً طبيعياً في مواجهة التهديد الإسلامي. وبالنسبة إلى هذه المجموعة فقد كان لبقاء هويتها المسيحية غير العربية واستقلالها الأهمية القصوى. وهكذا يمكننا أن نفهم بسهولة مصلحتها الفعلية في انشاء دولة يهودية.

وكانت نظرة الفئة الثانية لنفسها على أنها أقلية، نظرة مخالفة تماماً لدعوة تحالف الأقليات. فقد كانت تعتقد بأن وجود أقلية غير مسلمة أخرى سيؤدي إلى جعل خلافاتهم أكثر بروزا في نظر الغالبية المسلمة، فضلاً عن انها كانت تعتقد بأن إقامة صلة مع أقلية، أثارت ردود فعل معادية بهذا القدر من الضراوة، من معظم العرب، أمر ينبغي تفاديه بأي ثمن. كما ان سلوك الطائفة اليهودية في فلسطين قد يعرض وجود الموارنة للخطر. ونتيجة لذلك، غالباً ما بالغت هذه المجموعة في فصل نفسها عن أقليات أخرى، وسعت للتحالف مع القوى العروبية المسيطرة كطريقة لتأمين بقاء الطائفة.



هذا الانشقاق كان دائما موجوداً في لبنان، وفي طريقة تفكير اللبنانيين المسيحيين وسلوكهم السياسي. وهو مهم لعلاقات إسرائيل مع الموارنة لأنه يفسر موقف بعض الموارنة المفرط في تأييده للصهيونية إلى درجة التعاون، ويفسر أيضاً، الفتور النسبي في العلاقات عندما أصبح في السلطة زعماء من الفئة الثانية، مثل بشارة الخوري. زد على ذلك، أن فهم هذه التيارات أو عدم فهمها، هو ما بلور السياسة الصهيونية والإسرائيلية حيال الموارنة والتدخل في لبنان.

**العلاقات ما قبل ١٩٤٨ مع أفراد لبنانيين مسيحيين**

إن تطور تحالف الأقليات مع الموارنة والذي، من خلاله، يمكن لإسرائيل أن تتدخل في سياسات لبنان الداخلية والإقليمية، يعود إلى فترة اليشوف. لقد أرسيت الاتصالات الأولى بين يهود فلسطين ولبنانيين مسيحيين في آذار/مارس ١٩٢٠، بتوقيع ميثاق تعاون بين ممثل المنظمة الصهيونية يهوشع هانكين وناشطين موارنة[١١]، فوقّع عن الجانب اللبناني نجيب صفير، رشيد كرامة ويوسف مؤذن الذي ادعى انه يوقع أيضاً نيابة عن نجيب الهاشم وأنطون شحاده[١٢]. وقد قدموا أنفسهم على انهم «المجموعة الوطنية في سوريا ولبنان» وسعوا لتمهيد الطريق أمام علاقة ثلاثية مثمرة بين الدول الثلاث التي ستستقل في المستقبل: لبنان وسوريا وفلسطين[١٣].

كان يهوشع هانكين وكيل الشراء العقاري للمنظمة الصهيونية و«خبيراً» في شؤون العرب، ومن هذا المنطلق، كان صلة الاتصال الرئيسية مع كل من

---

(١١) معاهدة ٢٦ آذار ١٩٢٠، S25/9907, Central Zionist Archives (CZA) راجع أيضاً،
Benny Morris, 'Israel and the Lebanese Phalange: the Birth of a Relationship 1948-1951', *Studies in Zionism*, Vol. 5, No. 1, 1984, p.129.
وانظر أيضاً Laura Zittrain Eisenberg, 'Desperate Diplomacy: The Zionist-Maronite Treaty of 1946', *Studies in Zionism*, Vol 13, No. 2, 1992, p.150.

(١٢) Neil Caplan, *Futile Diplomacy*, Vol. I (London: Frank Cass, 1983), p.68. راجع أيضاً معاهدة ٢٦ آذار ١٩٢٠، S25/9907, CZA .

(١٣) المصدر نفسه.

الموارنة والسنة اللبنانيين. وبصفته وكيل الشراء العقاري، فقد كانت له علاقات تجارية بكثيرين من أصحاب الأملاك النازحين المقيمين في بيروت. وعلى ذلك، فإن معظم اتصالاته الأولى كانت مرتبطة في الغالب بشراء أراض في فلسطين(١٤). لذا، فإن اللبنانيين الذين تعاطوا معه، سواء في بيع الأراضي أو في تقديم اقتراحات أخرى مثل المعاهدة التي سبق ذكرها، كانوا ينظرون بمنظور إيجابي إلى احتمال استيطان اليهود في فلسطين المجاورة.

ووسّع نجيب صفير الماروني اتصالاته مع اليشوف لتتضمن نقاشات اقتصادية مع موشي شرتوك (شاريت)، الذي كان يعمل، حينها، في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، وقد شكل ذلك بداية علاقة اقتصادية نمتها الوكالة اليهودية بسبب قيمتها السياسية(١٥). ولد شرتوك في روسيا وجيء به إلى فلسطين عام ١٩٠٦، حيث أقامت عائلته في قرية عربية قبل أن تنتقل إلى يافا. وقد أثر فيه الوقت الذي أمضاه بين العرب تأثيراً عميقاً، فدافع عن فكرة إقامة علاقات مع الجيران العرب حيثما كان ذلك ممكنا، يحركه في ذلك إيمانه بأن اليهود والعرب يمكنهم أن يعيشوا معاً في سلام، وهذه العلاقة

---

(١٤) Ian Black, *Zionism and the Arabs*, 1936-1939 (London: Garland Publishing, 1986), pp.273-4. (كان بيع أرض في سهل الحولة أحد أهم عمليات البيع التي تمت. الأرض كانت ملكا لسليم سلام الذي باعها للصهاينة عام ١٩٣٤. وواصل نجله صائب سلام سياسة العائلة، مفترضا حلا سياسيا من شأنه تسهيل بيع ثلاث قرى تملكها العائلة في أقاصي جنوب لبنان لليهود)
OSS Report 7833, 15 October 1943, R-SM, RG 84, 165, 208, 319, Scattered Beirut Regional Files 1930-49, (NARA).

(١٥) تم استغلال الجانب الاقتصادي إلى أقصى حد، إبان الحرب، لعمليات تهريب الذهب والماس في شكل خاص، وفيما بعد تهريب الأسلحة بين بيروت وحيفا وتل أبيب. واستخدم الفلسطينيون واليهود واللبنانيون طرق التجارة الموجودة اصلا بين دمشق والقاهرة والتي تمر بلبنان وبفلسطين. وكانت البضاعة المرسلة لليهود في فلسطين، والتي تتضمن البريد السري، تنقل بواسطة وكالة نقل يهودية على الطريق الساحلي عبر صيدا وصور، وتصل إلى فلسطين عبر علما الشعب، وتمر عبر مختار حانوتا اليهودي أمنون.
OSS Research and Analysis No. 1390, 22 October 1943, NARA, R-SM, RG 84, 165, 208, 319, Scattered Beirut Regional Files, 1930-49.; OSS Report G-2591, 27 April, NARA R-SM, RG 84, 165, 208, 310, Scattered Beirut Regional Files 1930-49; OSS Report G-2811, 6 May 1944, NARA, R-SM, RG84, 165, 208, 319, Scattered Beirut Regional Files, 1930-49.



الاقتصادية مع لبنانيين مسيحيين ومسلمين كانت نتيجة مباشرة لهذه الطريقة في التفكير. زد على ذلك، انه كان أمرا مألوفا في العشرينات أن يمضي يهود فلسطين اشهر الصيف في الجبال اللبنانية(١٦). فالروابط الناشئة عن التسويات العقارية، والسياحة، والتجارة، وفوق كل ذلك، الاحساس بالمصير المشترك في مواجهة التهديد الخارجي، جعلت من الموارنة الحلفاء الطبيعيين لليشوف(١٧). وفي الواقع، فإن بعض المفكرين، عمدوا مستذكرين الروابط الفينيقية ـ العبرية، الى احياء الفكرة القديمة عن الشراكة المشرقية. لكن عند هذه النقطة ينبغي القول بأن الجميع لم يشاركهم هذه الافكار الرومانسية وإن العلاقات الفعلية مع الموارنة، بصفتهم «ورثة» الفينيقيين، لم تتعدل بشكل جذري(١٨).

كانت علاقات اليشوف مع لبنان، حتى الثلاثينات، تضم مسلمين ومسيحيين على حد سواء. وأحد اكبر الوجهاء المسلمين اللبنانيين كان رياض الصلح، الابن المنفي لوزير سابق في حكومة فيصل في دمشق، الذي سيصبح، مستقبلا، رئيس حكومة لبنان. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٢١، وبينما كانت البعثة الفلسطينية العربية في لندن، رتّبت اجتماعات بين الصلح وحاييم وايزمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية والرئيس المقبل لإسرائيل. وقد رتب هذه الاجتماعات صديقان شخصيان للصلح، هما الناشطان في اليشوف حاييم مارغوليس كالفاريسكي وإيتامار بن أبي. وعرض الصلح أن يقوم بالوساطة لإجراء محادثات بين الفلسطينيين والمكتب الصهيوني في لندن(١٩)، لكن الجهود التي بُذلت للوصول إلى تسوية مع الفلسطينيين فشلت، واتسعت الهوة بين اليشوف والفلسطينيين العرب وازدادت معها معارضة الدول العربية المسلمةَ في المنطقة. كما أن ازدياد التطرف الإسلامي قد أدى إلى جعل المسلمين اللبنانيين اكثر حذرا في التعاطي مع اليشوف. لكن

---

(١٦) Black, Zionism and the Arabs, pp.275-6.

(١٧) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(١٨) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣. مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(١٩) Caplan, *Futile Diplomacy*, Vol. I, p.54.

الأمر كان له تأثير معاكس على فئة معينة من الطائفة المارونية: لقد دفع بهم ذلك إلى معسكر اليشوف بحثا عن تحالف ضد الإسلام.

وهكذا، مع حلول زمن القلاقل في الثلاثينات ونشوب الثورة العربية فيما بعد، اكتسبت العلاقة الصهيونية المارونية أهمية اكبر بازدياد قلق الحركة الصهيونية من العزلة ضمن عالم عربي معاد. وكان من شأن تدفق جيل جديد من المستشرقين إلى الدائرة السياسية في اليشوف أن أدى إلى تقوية هذه العلاقة، لأن كثيرين منهم كانوا يؤمنون ايماناً راسخا في تنمية كل الصلات مع الأقليات العربية وقوى المعارضة، ومن بين هؤلاء المستشرقين الجدد كان الياهو ساسون، ورؤفين زاسلاني (شيلواح)، والياهو ابستاين (ايلات). وبالمقارنة مع الأهداف الواسعة النطاق لبعض صانعي السياسة الذين اضفوا على فكرة تحالف الأقليات قدرات تستطيع إنقاذ الأمة، فإن ساسون وزاسلاني وابستاين نموا العلاقات بين اليشوف والموارنة بهدف الحصول على معلومات وإبقاء الإصبع على نبض التحركات العربية[٢٠]. وفي العام ١٩٣١، عين حاييم ارلوسوروف رئيسا للدائرة السياسية في الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، وفي أول خطوة له أتى بموشي شرتوك (شاريت) الذي كان ملماً بالعربية وقد أدى دوراً محورياً في الدائرة. وفي الوقت نفسه، بدأ ارلوسوروف، وبشكل منظم، تدريب أخصائيين في الشؤون العربية للدول المحيطة بفلسطين. وكجزء من هذا البرنامج، أرسل الياهو ابستاين (ايلات) للدراسة في قسم دراسات الشرق الأوسط في الجامعة الأميركية ببيروت. وفي العام ١٩٣٣، أرسل فيكتور جاكوبسون كذلك إلى سوريا ولبنان لدراسة المناخ السياسي وقد كان حتى ذلك الوقت ممثلا غير رسمي للهيئة التنفيذية الصهيونية في هيئة الأمم في جنيف[٢١]. واستقبله في بيروت جماعة «فينيقيا الفتاة» الذين تحدثوا معه عن هدفهم القاضي بتجديد العلاقات التاريخية بين الفينيقيين والملك سليمان[٢٢]. إلا أن عمليات جس النبض والاتصالات الأولى لجاكوبسون لم

(٢٠) Eliyakim Rubenstein, 'Zionist Attitudes in the Arab-Jewish Dispute to 1936', *The Jerusalem Quarterly*, No. 22, Winter 1982, p.134.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٢٢) Jacques Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, unpublished PhD thesis, Tel Aviv University, September 1988, p.75.



تسفر عن اي نتائج فورية، لكنها، مع ذلك، فتحت الباب أمام اتصالات مستقبلية صهيونية مارونية. وفي الواقع، فإن إلياهو ابستاين (ايلات) هو من تابع هذه الاتصالات ووسعها فيما بعد[٢٣].

كانت الاتصالات مع اللبنانيين الموارنة في كثير منها مع أعضاء في الإكليروس مثل مطران بيروت اغناطيوس مبارك. وقد اعتُبرت قنوات اتصال يمكن لليشوف بواسطتها أن يوصل أفكاره إلى الحكام العرب[٢٤]. وقد حض مبارك على التحالف مع اليهود في فلسطين كوسيلة لبقاء الطائفة المارونية وطابع لبنان الماروني بصفته مواليا للغرب وغير مسلم. هذه الاتصالات منحت اليشوف فرصة دعم المعارضة لحكومات معادية لفكرة الهجرة الصهيونية مع تقديم عروض لها لعقد تحالفات سرية في غياب إمكانية التحالفات العلنية. لقد كانت صلات الموارنة واليشوف مناسبة تماما لمثل هذه الأهداف. وفي الواقع، فإن نجيب صفير اتصل في العام ١٩٣١ بمدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية حاييم ارلوسوروف، عارضا المساعدة في تنظيم معارضة مسيحية للمؤتمر الإسلامي المزمع عقده في تلك السنة[٢٥].

شجع ارلوسوروف الياهو ابستاين الذي كان يدرس في الجامعة الأميركية ببيروت على إجراء اتصالات مع الدوائر السياسية. وبعد سنوات قليلة فقط، اي في العام ١٩٣٤، اصبح ابستاين رئيس قسم الشرق الأوسط في الوكالة اليهودية. وكانت علاقاته في الجامعة الاميركية في بيروت، بصورة رئيسية، مع فينيقيا الفتاة التي كان أعضاؤها قد اتصلوا سابقا بفيكتور جاكوبسون. وهذه المنظمة المهمة على الصعيد الأيديولوجي، لكن من دون أية قدرات

(٢٣) أ. ابشتاين، تقرير عن زيارة لسوريا ولبنان، تشرين الأول ١٩٣٤، S25/10225, CZA.

(٢٤) Ian Black and Benny Morris, *Israel's Secret Wars* (London: Hamish Hamilton, 1991), p.64.

(٢٥) من ارلوسوروف إلى برودستسكي في ١٧ تشرين الثاني ١٩٣١، S25/3061, CZA. ولد حاييم ارلوسوروف في أوكرانيا عام ١٨٩٩. تلقى علومه في المانيا، وأسس فيها حركة هابوئيل هاتزائير بعد الحرب العالمية الأولى. هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٤، وأصبح عام ١٩٣١ عضوا في السلطة التنفيذية اليهودية ومديرا لدائرتها السياسية. كان هدفه الرئيسي انقاذ يهود أوروبا من خلال تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين. اغتيل عام ١٩٣٣ في تل ابيب على يد مجهول.

سياسية، كانت ترتكز على توجه فكري سائد بين بعض الموارنة الذين اعتبروا أن أصولهم ترجع إلى الفينيقيين بدل أن يعتبروا أنفسهم مسيحيين عربا. وكان قادة منظمة فينيقيا الفتاة المحبون لفرنسا، الفرد نقّاش وشارل قرم، يشجعان الهجرة اليهودية إلى لبنان لموازنة نمو السكان المسلمين[٢٦]. وقد اصبح نقّاش فيما بعد رئيسا للبنان من العام ١٩٤١ حتى العام ١٩٤٣، إلا أنه لم يكن شعبيا نظراً إلى الشعور المعادي للفرنسيين الذي كان سائداً في البلاد آنذاك. لكن قرم كان نوعاً مختلفاً من السياسيين، فهو ماروني وشاعر وكاتب ووطني رومانسي رفع لواء الفينيقية كصلة وصل بين الشرق والغرب. ولأنه كان ينظر إلى اليهود في فلسطين على أنهم في وضع مشابه للموارنة، فقد وضع النظام الاساسي لجمعية لبنانية ـ فلسطينية.

وكانت المؤسسة السياسية لليشوف ترى في منظمات مثل فينيقيا الفتاة برهاناً على الأهداف الصهيونية والمارونية المشتركة. وفي تحليل للموقف توصل شرتوك (شاريت) إلى النتيجة نفسها عندما نظر في الوجود غير المأمون للطائفة المارونية في لبنان. وفي مذكرة إلى رئيس المنظمة الصهيونية، حاييم وايزمان، قال شرتوك:

ان المصلحة العليا للموارنة ـ إذا كانوا يريدون الإبقاء على تفوقهم في الجمهورية وتفادي الانصهار مع شرق سوريا ـ أن يجبروا المسلمين على التراجع إلى موقع الأقلية. وهذا يمكن تحقيقه إما من طريق التخلي عن قطاعات من الأرض تسكنها غالبية مسلمة، مثل الشاطئ الفينيقي أو وادي بعلبك، أو من طريق إدخال عنصر جديد من شأنه ان يجعل المسلمين يفقدون تفوقهم العددي على الطوائف غير المسلمة، وذلك من دون زيادة عدد افراد طائفتهم[٢٧].

اما المحادثات مع البطريرك عريضة، فقد عززت التأييد للصداقة الصهيونية المارونية التي تفرضها الضرورة. إذ إن البطريرك الماروني كان الأكثر تأييداً للصداقة الصهيونية المارونية لأنه كان هو أيضا يعتبر وجود الطائفة المارونية مهدداً من جراء ازدياد تسيس الإسلام. وفي العام ١٩٣٣، طالب عريضة،

(٢٦) Black, *Zionism and the Arabs*, p.279.

(٢٧) من شرتوك إلى وايزمان، ٢ تشرين الأول ١٩٣٦، S25/1716, CZA.



بإلحاح، بعقد شراكة شاملة، وكان يدعمه في ذلك السياسي الماروني إميل اده الذي ذهب إلى حد تصور وحدة سياسية وحتى عسكرية[٢٨]. لكن أيا من هذه المقترحات لم يتحقق عند هذه النقطة؛ كما ان أيا من الممثلين لم يتخل عن أفكاره.

في العام ١٩٣٦، زودت المقاطعة العربية والاضطرابات العامة الموارنة بـ «برهان جديد على ما يمكن أن يعنيه حكم الغالبية المسلمة» في وقت وضحت الخسائر في القطاعات السياحية والزراعية اللبنانية «توضيحاً شديداً مدى اهتمامهم بسلامة وازدهار اليهود في فلسطين»[٢٩]. ومع آراء سائدة كهذه، طمأن ابستاين (ايلات) حكومته وبسهولة إلى استمرار الشراكة الطبيعية. ودبر لحاييم وايزمان اجتماعاً مع البطريرك عريضة في باريس في السادس من حزيران/يونيو، ولقاء مع إميل إده في ٢٢ حزيران/يونيو لمزيد من التشاور بشأن التعاون[٣٠]. وفي الواقع، فإن البطريرك عريضة، الذي شدد على الخطر الإسلامي على المسيحيين اللبنانيين واليهود الفلسطينيين، كان لا يزال يسعى إلى اتفاق بين اليهود والموارنة للدفاع عن مصالحهما ضد خطر الإسلام[٣١].

في هذه الاثناء، كان إده قد انتخب رئيسا للبنان. وكان موقعه السياسي الجديد قد زود الوكالة اليهودية بمزيد من الزخم لعقد مثل هذا الاتفاق. ففي ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦، زار ابستاين (ايلات) الرئيس إده وفي نيته إعداد

(٢٨) فيكتور جاكوبسون، تقرير عن رحلة إلى ارض إسرائيل وسوريا، ١٢ أيار ١٩٣٣، (Weizmann Archives. راجع ايضاً Neil Caplan and Ian Black, 'Israel and Lebanon: Origins of a Relationship', *Jerusalem Quarterly*, No. 27, Spring, 1983, pp.48-58.

(٢٩) أيلات كما نقل عنه موشي شاريت في مذكراته *Yoman Ishi* (مفكرة شخصية) الجزء الثالث، (Tel Aviv: Sifriyat Maariv, 1972)، ص ٢١٦. راجع أيضاً من شرتوك لوايزمان ٢ تشرين الأول ١٩٣٦، S25/1716, CZA.

(٣٠) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.75.

(٣١) تقرير سري من أ. ابشتاين عن حديث له مع رئيس الجمهورية اللبنانية إميل إده، في بيروت في ٢٢ ايلول ١٩٣٦، S25/5581, CZA.

مسودة اتفاق[٣٢]. وفي كانون الاول/ديسمبر ١٩٣٦، عرضت على إده مسودة معاهدة صداقة من اجل اتفاق صهيوني لبناني منفرد[٣٣]. وعلى أثر هذه المحادثة طرح إده إمكانية اتفاق يهودي ماروني ضمن إطار المفاوضات الفرنسية اللبنانية في الشهر نفسه[٣٤]، لكن المفوض السامي الفرنسي رفض مثل هذه الفكرة. ومع رفض إده المضي من دون الموافقة الفرنسية، لم يصل الاتفاق إلى شيء.

وعلى الرغم من ذلك، وبحلول العام ١٩٣٧، فإن مسيحيي لبنان أصبحوا أقرب الحلفاء إلى اليشوف في المنطقة. ففي العام نفسه، التقى الرئيس اللبناني، إده، رئيس المنظمة الصهيونية حاييم وايزمان في باريس من تلك السنة وأعرب عن دعمه تقرير بعثة بيل الذي حبّذ إنشاء دولة يهودية في فلسطين[٣٥]. وكانت هناك حتى محادثات نظرت ملياً في مسألة حدود متجاورة تصل الموارنة في بيروت مع اليشوف. لكن الموارنة التابعين لمدرسة مبارك الفكرية فشلوا في كسب الدعم لمثل هذه الحدود المشتركة، وأدى تصريح علني، في وقت لاحق، لعريضة ومبارك، حول الصداقة، إلى موجة استنكار في العالم العربي.

وكان التعاون اليهودي الماروني اكثر جلاء في قضية المفتي الحاج أمين الحسيني. لقد كان الحسيني مفتي القدس وذاع صيته بأنه يشجع الفلسطينيين العرب على مهاجمة الفلسطينيين اليهود. وعندما نفي في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٧، قدم له ملجأ في إحدى القرى خارج بيروت[٣٦]. وكرّ على مواصلة

---

(٣٢) مذكرة عن حديث مع إميل إده في ٢٢ ايلول ١٩٣٦، S25/558, CZA. انظر أيضاً من شرتوك إلى لوري، أيلول ١٩٢٦، S25/5476, CZA.

(٣٣) مسودة معاهدة سُلمت إلى السيد إده في ٢٣ كانون الأول ١٩٣٦، Z4/1702b, CZA.

(٣٤) Black, *Zionism and the Arabs*, p.285.

(٣٥) تقرير أ. ابشتاين عن لقاء بين الدكتور حاييم وايزمان وإميل إده في ٢٢ حزيران ١٩٣٧ في Eliahu Elath, *Zionism and the Arabs*, p.311; راجـع أيـضـا Yehoshua Porath, 'History of a Friendship', *The Jerusalem post*, 22 May 1981.

(٣٦) Caplan and Black, *'Israel and Lebanon: Origins of a Relationship'*, p.50.



الحاج نشاطاته السياسية ومحاولته حث اللبنانيين المسلمين وإثارتهم ضد الوجود اليهودي في فلسطين، اقترح بعض اللبنانيين على الوكالة اليهودية أن تزودهم بالاموال لغرض الدعاية والعمل التنظيمي ضد المفتي[٣٧]. حتى ان مسلمين لبنانيين انضموا في الواقع، إلى هذا المجهود ضد الحاج أمين الحسيني ولاسيما رئيس الوزراء خير الدين الأحدب، الذي كان فيما سبق صحافيا سنيا وعروبيا[٣٨]، والذي ابدى مزيداً من التعاون في مسألة أمن المستوطنات اليهودية على طول الحدود اللبنانية. ففي رسالة منه إلى موشي شرتوك (شاريت)، أعلن أن باستطاعته أن يضمن النظام والأمن من الجانب اللبناني وذهب إلى القول إن: «السلطات اللبنانية لن تتوانى عن جعل السكان، الذين يخضعون لسلطتها، يفهمون ان مصلحتهم تقضي المحافظة على علاقات حسن جوار فضلى مع المستوطنين على الجانب الآخر من الحدود»[٣٩]. وأكمل خليفته الأمير خالد شهاب هذا التعاون.

إلا أنه مع انتخاب بشارة الخوري للرئاسة عام ١٩٤٣، تراجعت العلاقات اللبنانية الصهيونية خطوة إلى الوراء. فقد كان الخوري مناهضا للصهيونية، وتحول نحو إنقاذ الامتيازات المسيحية عبر تعاون متحفظ مع العالم العربي المسلم[٤٠]. وعلى الرغم من انه درس الحقوق في باريس، فإنه كان مناهضا للفرنسيين ويحبذ اندماج لبنان الكامل في الكتلة العربية. إن أفكاراً كهذه جعلته غير محبوب من العناصر المعادية للعرب والمحبة لفرنسا في المجتمع المسيحي اللبناني، فجاءت المعارضة الأشد لسياسات الخوري من جانب الكتائب. لكن، في أي حال، لا تجوز مساواة هذا الموقف مع التأييد للصهيونية. ففي تموز/يوليو ١٩٤٤، كانت الكتائب، في الواقع، قد انضمت

---

(٣٧) المصدر نفسه ص٥١.

(٣٨) Eliahu Sasson, *Ba Derekh el HaShalom* (On the Road to Peace) (Tel Aviv: Am Oved, 1978), pp.116-22. راجع أيضا Caplan, *futile Diplomacy*, Vol. 1, p.254.

كان الأحدب رئيساً للحكومة من آذار ١٩٣٧ إلى آذار ١٩٣٨ في عهد الرئيس إميل إده.

(٣٩) من خير الدين الأحدب إلى موشي شرتوك في ١٨ آذار ١٩٣٨، S25/5581, CZA.

(٤٠) Eisenberg, 'Desperate Diplomacy,' p.151.

إلى المجموعات المؤيدة لفلسطين في بيروت، وفي العام ١٩٤٥، كانت على لائحة اتحاد الأحزاب اللبنانية المناهضة للصهيونية[٤١].

لكن الكنيسة المارونية وغيرها من وجهاء السياسة الموارنة، استمروا في حشد المعارضة والوقوف إلى جانب الصهاينة. فعلى سبيل المثال، أوفد إميل إده عام ١٩٤٥، ابنه بيار لمقابلة حاييم وايزمان ومعه اقتراح بالتخلي عن صور وصيدا للصهاينة بسبب عدد سكانهما المسلمين البالغ مئة ألف نسمة، فرفض وايزمان هذا العرض بقوله: «كان جدي يقول انه يرفض استلام هدية لاسعة» لكن ابن إده لم يتراجع وقال إنه سيعود[٤٢].

في شهر آب/أغسطس من السنة نفسها، جذبت العلاقات المارونية الصهيونية اهتمام الولايات المتحدة. ففي إحدى زياراته للبطريرك عريضة، تسلم طوبيا آرازي، ضابط الاستخبارات في الهاغانا وكبير المسؤولين السياسيين في قسم الشؤون العربية في الوكالة اليهودية، رسائل من البطريرك نفسه موجهة إلى المهاجرين اللبنانيين المسيحيين في الولايات المتحدة يحثهم فيها على تأييد سياسة البطريرك[٤٣]. وكان على آرازي أن يحملها معه في إحدى رحلاته إلى الولايات المتحدة.

كان لهذه الاتصالات التي أجريت ونميت في الثلاثينات، أن تؤتي ثمارها في العام ١٩٤٦ و١٩٤٧، فقد جاء البطريرك عريضة إلى القدس ليوقع نيابة عن الطائفة المارونية والكنيسة على اتفاق مع حاييم وايزمان الذي وقع، بدوره، نيابة عن اليشوف[٤٤]. وتضمّن الاتفاق تبادل الاعتراف باستقلال

(٤١) بيان اتحاد الأحزاب اللبنانية المناهضة للصهيونية في ٩ تشرين الثاني ١٩٤٥، FM 2567/2, Israel State Archives (ISA). راجع أيضاً Barry Rubin, *The Arab States and the Palestinian Conflict* (Syracuse: Syracuse University Press 1981), p.139.

(٤٢) بيان لحاييم وايزمان، من محضر اجتماع ادارة الوكالة اليهودية في ١١ شباط ١٩٤٥.

(٤٣) Office of Strategic Services, Research and Analysis Report 1090-122, 4 August 1945, R-SM, RG 84, 165, 206, 226, 319, Scattered Beirut Regional Files 1930-49, NARA.

(٤٤) مقابلة مع موشي زاك تل أبيب، ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.



اليهود في فلسطين وبطابع لبنان «المسيحي» المستقل[٤٥]. وكانت بادرة هذا الاتفاق اتصالات اجراها توفيق عطية، وهو لبناني يهودي كان يزود الوكالة اليهودية بالمعلومات ويعمل بشكل وثيق مع الطائفة المارونية، اذ كان عطية قد اتصل بالوكالة اليهودية نيابة عمن وصفهم بالأصدقاء الموارنة «المهمين»[٤٦]. وقد قيل بأن مبادرة عطية كان مصدرها الكتائب لأنه كان مستبعداً أن يعمد إده أو النقّاش إلى اعتماد وسيط لا عهد لهما به، في حين كانت لكليهما اتصالات مباشرة مع الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، وكان بيار الجميل، من جهة أخرى، يتفادى إجراء مثل هذه الاتصالات. وفي الواقع لن يكون مستغرباً، في خضم المحيط السياسي اللبناني غير المستقر، لو أن الكتائب عمدت آنذاك، الى سبر الخيار الصهيوني حتى في الوقت الذي كانت تؤيد فيه رسمياً الخط المعادي للصهيونية[٤٧].

بعد مناقشة مطولة حول إمكانيات التعاون الماروني الصهيوني، قام كل من يعقوب شيموني وهو موظف صغير في الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، وإلياهو ساسون، رئيس القسم العربي في الوكالة، وتوفيق عواد عن الموارنة، بعقد اتفاق رسمي بين الوكالة اليهودية والكنيسة المارونية في ٣٠ أيار/مايو ١٩٤٦[٤٨]. لكن إصرار البطريركية على إبقاء الاتفاق سريا لم يكن انعكاسا لمجمل العلاقة بين اليشوف والموارنة، فحسب، بل إنه أفرغ الاتفاق أيضا من معظم قيمته السياسية. ومع ذلك، بقي الموارنة، أوفياء لتعهدهم وقدموا في العام ١٩٤٧ مذكرة إلى الأمم المتحدة تدعم إنشاء دولة يهودية في

(٤٥) معاهدة أيار ١٩٤٦، CZA S25/3269.

(٤٦) من يعقوب شيموني إلى برنارد جوزف، الحاجة إلى أن نتحرك في لبنان: محادثة مع توفيق عطية، بيروت الخامس من نيسان ١٩٤٦، . S25/9023, CZA

(٤٧) Eizenberg, 'Desperate Diplomacy', pp. 153-6.

(٤٨) معاهدة أيار ١٩٤٦، S25/3269, CZA. كان أساس هذه المعاهدة هو الاعتراف بالاستقلال اليهودي المؤدي إلى دولة في فلسطين، وباستقلال المسيحيين اللبنانيين في لبنان. وكان التعاون الفعلي قائماً في مجالات الثقافة والتجارة والاستخبارات والزراعة والسياحة والأمن والعلاقات العامة بالإضافة إلى جهود الموارنة لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين عن طريق لبنان.

فلسطين[٤٩]. وهكذا، وبمعنى ما، اثبت تحالف الأقليات فعاليته في التأثير، إن لم يكن على لبنان، فعلى الأقل، على الاسرة الدولية التي كانت ستقرر مصير الدولة اليهودية.

## استراتيجية بن غوريون السياسية ـ العسكرية

إن التدخل السري للوكالة اليهودية عبر شبكات من العلاقات مع زعماء عرب وأقليات لممارسة النفوذ في الدول المجاورة، كان في جوانب كثيرة منه بمثابة تصميم لسياسة إسرائيل الخارجية والدفاعية التي ارساها بن غوريون في الخمسينات. فالعروبة كانت قد أصبحت ألد اعداء الصهيونيين عندما اصبح اليشوف يشعر بقلق متزايد بشأن العزلة وسط عالم عربي معاد[٥٠]. لكن مع مواجهة العروبة جاء أيضا الاهتمام بالأقليات غير العربية مثل المسيحيين في لبنان، والدروز والأكراد، فضلاً عن دول غير عربية مثل تركيا وإيران.

وكان للبنان موقع خاص في هذه السياسة الناشئة بسبب موقعه المجاور والاستعداد الذي ابداه بعض المسيحيين اللبنانيين لإقامة علاقات عندما اتصلت الوكالة اليهودية بهم. وفي الواقع، فإن بن غوريون عبر عن «اغتباطه» لوجود حدود مشتركة مع لبنان الدولة المسيحية الوحيدة في الشرق الأوسط[٥١]. وكانت افكاره حول هذا الجار الشمالي مهمة بشكل خاص لمستقبل السياسات الإسرائيلية، حتى ولو انها غالباً ما كانت معاكسة لأفكار «الخبراء العرب» في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية. فبن غوريون نظر إلى لبنان على أنه وحدة واحدة، بل وحدة مسيحية. وواقع أن لبنان كان يضم طائفة مسلمة كبيرة،

---

(٤٩) التقرير المتعلق بلبنان الذي قدمه أسقف بيروت المطران مبارك، إلى أعضاء الأمم المتحدة. من دون تاريخ، .FM 2563/23, ISA (وهذا العمل حمل عريضة على ادانة مبارك علناً والابتعاد عنه. وهناك ادعاء بأن البطريرك وبخ مبارك وأعفاه من مهماته ونفاه إلى أحد الأديرة)
William Haddad, 'Christian-Arab Attitudes towards the Arab-Israeli Conflict', *Muslim World* (New York: W.H. Allen, 1970), p.377.

(٥٠) Black, *Zionism and the Arabs*, pp.269-70.

(٥١) Michael Bar Zohar, Ben Gurion (London: Weidenfeld & Nicolson, 1977), p.91.



وأن الطائفة المسيحية لم تكن حتى وحدة متراصة ومنسجمة، لم يؤثر في ما يبدو، على أفكار بن غوريون حتى ولو انه اطلع على حقيقة أن الموارنة الذين كانوا على صلة باليشوف لا يشكلون سوى جزء من الموارنة[٥٢]. والأهم أن موقفه انعكس في وجهات النظر الصهيونية السائدة.

رأى الصهاينة في مسيحيي لبنان مجتمعاً ذا مصالح مشابهة لمصالحهم، تلك المصالح المبنية الى حد بعيد على شعور بتنامي خطر العدوان المسلم العربي وتنامي عدم التسامح، والحاجة المشتركة إلى صلات سياسية وثقافية مع القوى الغربية التي اعتمد عليها الطرفان تقليديا في بقائهما المهدد في محيط معاد[٥٣]. وقد عكست الصحافة المحلية هذه الآراء بقولها: «إن للبنان خصائص ومصالح خاصة به، وإن لديه دورا مهما يؤديه في هذا الجزء من العالم، مشكّلا، كاليهود في فلسطين، صلة بين الغرب والشرق»[٥٤].

هذه المدركات لأوجه الشبه بينهما، كان الموارنة المحيطون بالمطران مبارك والبطريرك عريضة، يؤيدونها معززين بذلك رؤية اليشوف وبن غوريون للبنان كـ «حليف طبيعي». ففي حوار جرى بين الرئيس اللبناني إميل إده والياهو ابستاين (ايلات) في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦ في بيروت، قال إده إن اليهود والموارنة كانوا:

«شركاء طبيعيين بسبب وضعهم المتشابه. فالثقافتان المسيحية واليهودية متفوقتان على ثقافات الجيران العرب وكلتاهما تناضل للهدف نفسه ـ لإقامة جسر بناء بين الثقافتين الشرقية والغربية. ولكلتيهما جار مشترك في الشرق يبيت نيات عدوانية»[٥٥]

وفي حين أن هذه المدركات العامة كان يشاطرهم فيها الكثيرون من الذين أجروا اتصالات مباشرة مع الموارنة، فقد كانت هناك شكوك حول الطريقة

---

(٥٢) مقابلة مع يعقوب شيموني القدس ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٥٣) Black, Zionism and the Arabs, p.272.

(٥٤) *Palestine Review*, 16 October 1936.

(٥٥) محادثة مع رئيس الجمهورية اللبنانية إميل إده في بيروت في ٢٢ ايلول ١٩٣٦، E. Epstein, Secret, S25/5581, CZA.

التي قدم «الحلفاء» الموارنة أنفسهم بها، خصوصا بالنسبة إلى تعريفهم لأنفسهم كفينيقيين. اذ ان معظم المسؤولين في الدائرة السياسية لم يقبلوا هذا التعريف قبولا كاملا، بل على العكس من ذلك، فقد رأوا في الموارنة أناسا يتكلمون العربية، ويشاركون في التقاليد الثقافية العربية، وبالتالي فإنهم عرب. لكن تعريف الموارنة لأنفسهم اعتبر تعريفاً لا أهمية له على صعيد العلاقات السياسية، لأنه ليس تعريفاً جوهرياً للسياسة الصهيونية. فالاهم كان وضعهم السياسي، والمعنوي، والروحي كحلفاء محتملين وهل يعتبرون أنفسهم أصدقاء لليشوف(٥٦). ومع ذلك، فإن الموقف الشائع حيال الموارنة في الدائرة السياسية يمكن وصفه بأنه موقف أكثر حذرا من موقف بن غوريون. وقد جرى تعزيز الحوار من اجل جمع المعلومات، في حين أن المعاهدات، على الرغم من توقيعها، فقد كان ينظر إليها نظرة شك.

وضعت آراء بن غوريون وآراء القيمين على الدائرة السياسية أسس سياسة إسرائيل تجاه لبنان مع إعلان قيام الدولة. لكن شخصية بن غوريون الطاغية ونفوذه نسفا المقاربة الحذرة. ففي ٢٤ أيار/مايو ١٩٤٨، قال بن غوريون لأركانه «إن لبنان يشكل نقطة الضعف في الائتلاف العربي لأن النظام الإسلامي نظام مصطنع ويسهل تقويضه. ويجب إقامة دولة مسيحية تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني وسنقيم تحالفا معها»(٥٧). بعبارة أخرى، لقد حرك بن غوريون عملية التدخل الإسرائيلي المباشر وغير المباشر عن طريق تحالف الأقليات مع الموارنة لخدمة مصالح إسرائيل في لبنان والشرق الأوسط المتعلقة بالدفاع عن النفس والهيمنة.

## تقويم العلاقات الصهيونية ـ المارونية المبكرة

لقد نشأ اول اتصال موثق بين صهاينة اليشوف وبعض اللبنانيين الموارنة من خلال روابط تجارية. فكان الملاك اللبنانيون المتغيبون عن فلسطين يهتمون ببيع أراضيهم هناك للوكالة اليهودية التي كانت في المقابل تبحث عن شراء

(٥٦) مقابلة مع يعقوب شيموني، القدس ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.
(٥٧) Bar Zohar, *Ben Gurion*, p.166.



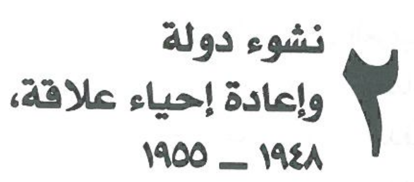
مثل هذه الأراضي لإقامة المستوطنات اليهودية الجديدة. وقد أصبحت هذه الاتصالات اتصالات مهمة سياسيا مع ازدياد خوف الطائفة المارونية «من الغرق في بحر المسلمين». ما جعل بعض رجال الإكليروس الماروني، من أمثال مطران بيروت أو حتى البطريرك نفسه، يرون في الطائفة اليهودية الناشئة حليفا طبيعيا ضد الإسلام. ولهذا فإنهم سعوا لبناء تحالف للأقليات مع اليشوف.

جاء هذا التقرب الماروني من اليهود في فلسطين في الثلاثينات عندما كان مسؤولو الوكالة اليهودية يسعون أيضا لإقامة اتصالات مع العرب والأقليات المجاورة. وبالتالي، فإنهم رحبوا بانفتاح الموارنة و«قبلوا» بهم كحلفاء «طبيعيين». ومع ازدياد التدهور في العلاقات بين اليهود والعرب الفلسطينيين، ترسخت فكرة تحالف الأقليات داخل اليشوف، وقام بترويج هذه الفكرة مسؤولون اعتقدوا أن الموارنة يختلفون عن العرب. لقد اعتبروا حليفاً يمكن الوثوق به بل ربما الحليف الموثوق به الوحيد، لأنهم كانوا في الواقع يعملون على تطبيق أفكارهم. وبالفعل، لقد عمدت مجموعات مارونية مثل «فينيقيا الفتاة» الى تشجيع الهجرة اليهودية إلى لبنان عندما راحت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد صعوبة. حتى إن الرئيس اللبناني إميل اده تصور تحالفا عسكريا واقترح في العام ١٩٣٦، على المندوب السامي الفرنسي اتفاقا يهوديا مارونيا، لكن الفرنسيين اعترضوا على هذه الخطة فلم تُنفَّذ. ومع ذلك، فإن سياسيين موارنة ورجال دين واصلوا التفافهم حول فكرة التعاون، وعرض، في الوقت نفسه، المطران مبارك على اللجنة الانكلوأميركية توصية بتقسيم فلسطين وإعطاء اليهود دولتهم. وتحسباً لإقامة مثل هذه الدولة في المستقبل، جرت عدة محاولات لإنشاء حدود مهمة استراتيجية بين الموارنة في بيروت واليشوف. لكن التعاون الصهيوني الماروني الأكثر بروزا كان معاهدة الصداقة بين الكنيسة المارونية واليشوف عام ١٩٤٦، التي تلاها الفصل الأخير من فصول الولاء الماروني لفكرة تحالف الأقليات عندما قدم المطران مبارك مذكرة إلى الأمم المتحدة تدعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

هذه التطورات من العشرينات حتى العام ١٩٤٨ تظهر كيف نمت

العلاقات التجارية غير الرسمية وصارت علاقات سياسية أكثر رسمية وحتى تحالفاً استراتيجياً. وهي كذلك وضعت أسساً للسياسة الخارجية الإسرائيلية في المستقبل ارتكزت على مثل هذه التحالفات للاقليات. أضف إلى ذلك، أن الاتصالات بين اللبنانيين الموارنة والصهاينة تطورت إلى علاقة دائمة لم تتمكن من تجاوز الانتقادات العربية في الثلاثينات والأربعينات فحسب، بل جاوزت أيضاً المقاطعة العربية الناجمة عن انشاء دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨.





# ٢ نشوء دولة وإعادة إحياء علاقة، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٥

كان على إسرائيل منذ ساعة إنشائها أن تكافح للحصول على مكانها بين الأمم. لقد نشأت بمهابة ولكن في وحدة[١].

كان لنشوء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ مضاعفات مهمة على مبدأ التدخل عموما وعلى سياسة تحالف الأقليات مع الموارنة خصوصا. فالرفض العربي استطاع أن يحدّ من قدرة إسرائيل على الوصول إلى جيرانها بمجرد أن أقفلت الحدود. وهكذا شعرت إسرائيل أنها معزولة، وكان عليها أن تطور سياسة لكسر هذه العزلة. لكن النتيجة الأهم للحرب على صعيد علاقات إسرائيل مع الموارنة، وبالتأكيد، على صعيد سياسة إسرائيل الخارجية بشكل عام، كانت مأسسة سياسة التدخل. فحرب ١٩٤٨ أظهرت أفضلية العمل المباشر على التفاوض والدبلوماسية[٢].

## تقسيم فلسطين وحرب ١٩٤٨

ليل ٢٩ ـ ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧، أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين. فكان هذا التقسيم بداية لحرب استمرت ١٦ شهرا بين اليهود

---

(١) Gideon Rafael, *Destination Peace - Three Decades of Israeli Foreign Policy* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1981), p.6.

(٢) Nahum Goldman, *The Autobiography of Nahum Goldman*: Sixty Years of Jewish Life (New York: Holt, Reinhart & Winston, 1969), p.289.

والعرب. وقد كانت هذه الحرب، بالنسبة الى اليهود، حرباً من اجل الاستقلال أدت إلى إعلان دولة إسرائيل في ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨ وما تبعها من غزو شنته الجيوش العربية من الدول المجاورة، وكانت بالنسبة إلى العرب، حرباً للمحافظة على فلسطين دولة عربية على الرغم من قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، أما بالنسبة إلى الفلسطينيين العرب فقد كانت حرباً للدفاع عن ديارهم. وعندما دخلت الجيوش العربية الرسمية الحرب أضافت هدفا جديدا إلى أهدافها وهو ضم المزيد من الأراضي إلى بلدانها. وخرجت اسرائيل عند انتهاء القتال، الدولة المعروفة اليوم ضمن الخط الأخضر. فالأقسام الثلاثة المخصصة لليشوف في خطة التقسيم قد جرت تسويتها لتصبح أراضي متلاصقة، ذات حدود يمكن الدفاع عنها. أما الأراضي المخصصة للفلسطينيين والتي لم تُدمج في الدولة الإسرائيلية الجديدة، فقد احتلها الأردن.

## مفاوضات الهدنة الإسرائيلية ـ اللبنانية عام ١٩٤٩

نشأت أولى العلاقات الرسمية مع دولة لبنان بعد وقت قليل من إنشاء إسرائيل نفسها. كما أعقبت حرب ١٩٤٨ سلسلة من المحادثات لعقد هدنة بين إسرائيل والدول المجاورة، الأردن ومصر وسوريا ولبنان، بدأت من ٧ كانون الثاني/يناير واستمرت حتى ١١ آب/اغسطس ١٩٤٩ برعاية مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. لقد جرت المفاوضات على أربعة مستويات: المستوى الأول كان كناية عن مفاوضات تمهيدية مع كل وفد من الوفدين على حدة، عبر وسيط الأمم المتحدة بالوكالة رالف بانش أو نائبه الخاص هنري فيجييه. وقد تلتها اجتماعات غير رسمية بين رئيسي الوفدين، بانش أو فيجييه، أما المستوى الثالث فكان اجتماعات مباشرة غير رسمية تُعقد بين الوفدين، وأما الرابع والختامي فكان اجتماعات رسمية مشتركة بين الوفدين برئاسة بانش أو فيجييه[٣].

وكانت المحادثات اللبنانية الإسرائيلية قد سارت، بشكل عام، سيرا أسهل

(٣) Sydney D. Bailey, *Four Arab Israeli Wars and the Peace Process* (London: Macmillan Press, 1990), p.59.



من سير مفاوضات إسرائيل مع أي من البلدان الأخرى[٤]. ففي ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٤٩، وقبل أسبوعين من بدء مفاوضات الهدنة في رأس الناقورة (روش هانيكر) كان لبنان وإسرائيل قد توصلا إلى عقد اتفاق عسكري. تضمّن هذا الاتفاق وكبادرة حسن نية «انسحاباً إسرائيلياً جزئياً من الأراضي اللبنانية التي احتلتها القوات الإسرائيلية في أثناء القتال»[٥].

وبدأت المفاوضات الفعلية في الأول من آذار/مارس برئاسة هنري فيجييه مستخدمة نص الاتفاق الإسرائيلي المصري كنموذج. لكن دور فيجييه كان دوراً محدوداً لأن الوفدين كانا، في الاغلب، يفضلان مقاربة أكثر مباشرة تعكس علاقاتهما الودية[٦]. ويمكن ان نعزو هذا الجو الجيد إبان المفاوضات إلى اسباب منها الاعتقاد الإسرائيلي، بحسب بن غوريون، أن لبنان شارك في الحرب «من دون حماسة وبقوات محدودة». وبالفعل، فإن المراسل العسكري موشي زاك الذي غطى الحرب من المطلة، قد ادّعى أنه لم يكن هناك موارنة في القوات التي عبرت الحدود إلى إسرائيل[٧]. أضف إلى ذلك، أن نظرة بن غوريون إلى لبنان كحليف محتمل وإلى علاقات اليشوف والموارنة في الماضي، يمكن أن تكون قد أدت دوراً في تشكيل موقف إسرائيل.

والامر الفاصل في فهم الموقف اللبناني هو حقيقة أن المفاوضات الإسرائيلية المصرية قد أنجزت بنجاح في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٤٩، وبالتالي فإنها استخدمت كصيغة للهدنة الإسرائيلية اللبنانية. لقد حاول الوفد اللبناني الاقتداء بالنموذج المصري في الاجتماعات الرسمية، لكنه في الاجتماعات غير الرسمية كان يعطي صورة مختلفة. فقد كان اللبنانيون يقولون للموفدين

(٤) مثل دولة إسرائيل كل من مردخاي ماكليف ويهوشع بالمون وشبطاي روزين، أما مبعوثو الدولة اللبنانية فكانوا توفيق سالم ومحمد علي حماده وجوزف حرب وجزل حسامي.

(٥) Bailey, *Four Arab-Israeli Wars and the Peace Process*, p.60.

(٦) Yemima Rosenthal, *Armistice Negotiations with Arab States December 1948-July 1949, Documents of the Foreign Policy of Israel* (DFPI), Companion Vol. III (Jerusalem: State of Israel Archives, 1983), p.XXII.

(٧) مقابلة مع موشي زاك، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.

الإسرائيليين، على انفراد، إنهم في الحقيقة ليسوا عرباً، وإنهم جروا إلى المغامرة الفلسطينية رغما عنهم[٨]. إلا أنه من المشكوك فيه أن اللبنانيين كانوا سيوافقون على هذه المفاوضات الأكثر مباشرة واللقاءات السرية لولا وجود اتفاق الهدنة المصري الإسرائيلي.

كما أن في الاجتماعات غير الرسمية نوقشت مواضيع أخرى مثل امكانية تطبيع العلاقات بين إسرائيل ولبنان، أو إعادة ترسيم الحدود. وهذا واضح من خلال الاشارات إلى مثل هذه المناقشات في محاضر الاجتماعات الرسمية ومن مراسلات المبعوثين الإسرائيليين مع وزارة الخارجية. وعلى سبيل المثال، فإن موجز محضر الاجتماع الثاني الذي عقد في السابع من آذار/مارس في رأس الناقورة، يكشف قول المبعوث الإسرائيلي شابتاي روزين الذي كان يعمل مستشارا قانونيا لوزارة الخارجية، بأن مسألة إعادة ترسيم الحدود التي نوقشت في اجتماع سابق لم تلق أي جواب. لكن رئيس الوفد اللبناني، توفيق سالم، لم يرد بالقول بأن الاجتماع كان اجتماعاً غير رسمي وأنه لم يشأ الإجابة عن ذاك السؤال، فحسب، بل أعرب عن رغبته في ألا يُشار إلى المسألة برمتها في موجز محضر هذا الاجتماع الرسمي[٩].

اما المثال الآخر الذي يدل على البعد الإضافي للمفاوضات الإسرائيلية اللبنانية، فقد ورد في رسالة من رئيس البعثة الإسرائيلية موردخاي ماكليف، وهو مقدم في جيش الدفاع الإسرائيلي، كان قد بعث بها إلى رئيس أركانه يعقوب دوري في ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٤٩، وهو اليوم الذي عُقدت فيه الاتفاقية العسكرية. ويقول ماكليف في رسالته هذه إنه استوضح ما إذا كانت الحكومة اللبنانية توافق على توسيع إطار المفاوضات لتشمل محادثات سلام. وكانت استنتاجاته بعد محادثات مع الموفدين اللبنانيين أن لبنان كان مستعدا

(٨) Shlaim, *Collusion across the Jordan*, p.391.

(٩) Rosenthal, Israeli-Lebanese Negotiations Summary Record of the Second Meeting Held at Ras El-Naqura On 7th March at 11.45 A.M., DFPI, Vol. 3, p.301.



للتوصل إلى اتفاق، غير انه كان مترددا في قول ذلك في هذه المرحلة المبكرة[١٠]. وفي تبادل للرسائل بين روزين وبن غوريون في ٢٤ آذار/مارس، تناول روزين فحوى اجتماعه مع الموفد اللبناني محمد علي حماده وهو مستشار قانوني ودبلوماسي محترف[١١]، وقال إنه أبلغ حماده بأن حكومة إسرائيل تتطلع إلى علاقات طبيعية مع لبنان. وبعد إنجاز اتفاق الهدنة وافق حماده على مناقشة الموضوع بشكل غير رسمي[١٢].

أما الصعوبات الوحيدة التي واجهتها إسرائيل في مفاوضاتها مع لبنان، فقد كانت، من وجهة النظر الإسرائيلية، ذات طبيعة عسكرية. فالمشكلة الأولى كانت تتعلق بوجود وحدات عسكرية متمركزة على الأرض اللبنانية وغير تابعة للجيش اللبناني. أما المشكلة الثانية فكانت انسحاب القوات السورية من حدود إسرائيل الشمالية. وهاتان المشكلتان اعتبرهما فيجييه ذاتا طبيعة سياسية وبالتالي لا تشكلان، في الحقيقة، جزءا من المفاوضات[١٣]، لكنهما أصبحتا جوانب مركزية في العلاقات الإسرائيلية اللبنانية في سنوات لاحقة.

وكانت الإشارة الوحيدة إلى المسائل الأمنية كلاماً عمومياً مفاده وجوب تفادي الاحتكاك بين وحدات شبه عسكرية، وقوات الطرف الآخر[١٤]. أضف إلى ذلك، أنه وعلى الرغم من أن إسرائيل تنظر إلى حدودها الشمالية كوحدة كاملة، فقد أصبح من الواضح أن لبنان لا يمكنه أن يكون مسؤولا

(١٠) Rosenthal, DFPI, Companion Vol. III, p.36.

(١١) كان محمد علي حماده القنصل العام للبنان في فرنسا من ١٩٤٤ حتى ١٩٤٦. ثم اصبح رئيسا للشؤون السياسية في وزارة الخارجية من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٨، وشغل بين ١٩٤٨ و١٩٥٠ منصب الأمين العام المؤقت لوزارة الخارجية.

(١٢) Rosenthal, DFPI, Companion Vol. III, p.44.

(١٣) Rosenthal, Israeli-Lebanese Negotiations Summary Record of the Second Meeting held At Ras El-Naqura On 7th March at 11.45 A.M., DFPI, Vol. 3, p.295.

(١٤) حددت عبارة شبه العسكرية، كما وردت في هذا الاتفاق، خلال المفاوضات مع السيد حماده، على انها المنظمات العسكرية المرتبطة بأحزاب سياسية، وهي تخضع لقيادة لبنانية ولكنها لا تنتمي إلى الجيش اللبناني.

عن القوات السورية وأنه لا يمكنه أن يمارس ضغوطا على سوريا لتدخل في مفاوضات مع إسرائيل. لذا، بقي أمن إسرائيل عرضة للتهديد نتيجة عدم امتثال سوريا لقرار السادس عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٨[١٥]. وكان لوجود القوات السورية تأثير يعرقل المفاوضات بين إسرائيل ولبنان. فمن وجهة نظر إسرائيل، كان يستحيل عقد اتفاقات للانسحاب وخفض عدد قواتها مع السلطات اللبنانية، في وقت يسمح للقوات السورية أن تبقي على عدتها وعديدها في مواقع تهدد إسرائيل[١٦].

اما المسألة الاهم في تحليل علاقات إسرائيل مع لبنان فهي هل كان لدى إسرائيل في العام ١٩٤٩، كما في مفاوضات لاحقة، أي أدلة حاسمة على أن لبنان كان يمكن أن يلبي مطالبها بانسحاب القوات السورية، أم أن مثل هذه المطالب كانت مبنية على مدركات غير واقعية لقوة لبنان السياسية والعسكرية؟. هذه المشكلة مع سوريا ابرزت المواقف المتعارضة للدبلوماسيين والعسكريين المنخرطين في المفاوضات. فقد عكس العسكريون الانشقاق الايديولوجي بين رئيس الوزراء بن غوريون ووزير الخارجية شاريت، عندما حاولوا فرض مسؤولية القوات السورية على السلطات اللبنانية مهما كلف الامر. وهذا ما قاله إيغال يادين، قائد العمليات العسكرية في العام ١٩٤٨، في رسالة إلى والتر إيتان المدير العام لوزارة الخارجية[١٧]. فقد بدا له بعدما تحدث إلى ماكليف أن مبعوثي وزارة الخارجية لم يفهموا بعد المعضلات

(١٥) يدعو قرار مجلس الأمن رقم ٦٢ (S/1080) الصادر في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ إلى إقرار هدنة في كل قطاعات فلسطين لإزالة التهديد للسلام. ويدعو، إضافة إلى ذلك، كل فرقاء النزاع إلى اجراء مفاوضات تنتهي بانسحاب القوى العسكرية وخفض اعدادها بشكل يضمن استمرار الهدنة.

(١٦) مذكرة من روزنتال وايبان إلى ج.س. روس حول مفاوضات الهدنة في رأس الناقورة ورودس، DFPI, Vol. 3, p.304.

(١٧) ولد والتر إيتان في ميونيخ، المانيا، عام ١٩١٠. تلقى علومه في أوكسفورد حيث حاضر أيضا في الأدب الألماني. استقر في فلسطين عام ١٩٤٦، شغل منصب مدير عام وزارة الخارجية من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٩. وأصبح عام ١٩٤٩ رئيساً لبعثة إسرائيل إلى محادثات الهدنة في رودس. وعين عام ١٩٦٠ سفيراً لدى فرنسا.



العسكرية على طول الحدود الشمالية، مضيفاً أن المشكلة السياسية هي أقل منها أهمية[١٨].

واتهم ماكليف نفسه زميله في الوفد، الياهو ساسون، بأنه منشغل بتنمية علاقات شخصية، والتحدث بالعربية، وإرسال التحيات إلى أصدقائه اللبنانيين الكثر، ولا يفهم كيف يفاوض ووراءه يقف جيش قوي[١٩]. واستندت هذه التهمة إلى فرضية أن ساسون، المولود في دمشق والمتعلم في بيروت، يتحدث العربية بطلاقة وله أصدقاء لبنانيون كثر من أيام إقامته هناك. أضف إلى ذلك، أن ساسون كان رئيسا للدائرة العربية في الوكالة اليهودية من العام ١٩٣٣ وحتى العام ١٩٤٨، ورئيسا لدائرة الشرق الوسط في وزارة الخارجية إلى حين عين سفيراً لإسرائيل في انقره. وكان هدف حياته تشجيع علاقات أفضل بين العرب واليهود، الأمر الذي وضعه في موقف تصادمي مع كثيرين من معاصريه الذين كانوا يركزون أكثر على أولويات الدفاع والأمن.

ومع هذه المفاوضات، لم ينته هذا الخلاف بين المؤسسة العسكرية والسياسيين، بل عاود الظهور تكراراً في سياق صُنع القرارات الخاصة بالساحة اللبنانية. لذا، فإن السياسات قصيرة المدى لم تكن ترتكز على تقدير واقعي للوضع، أو حتى على موافقة إجماعية. بل كان يصنعها عوضاً عن ذلك العنصر الطاغي الذي كان يفرض آراءه. أما بالنسبة إلى مفاوضات الهدنة في العام ١٩٤٩، فكان هذا يعني أن الموضوع لم يقفل مع توقيع الاتفاق، بل إنه سيُطرح مجددا في اللجنة للهدنة المشتركة وعبر اي قنوات أخرى متوافرة.

## الدعم الإسرائيلي للموارنة

كان على قادة الدولة الإسرائيلية الجديدة، مع توقف الأعمال الحربية، أن يقرروا وجهة سياستهم الخارجية. ومع إقفال الحدود الآن، وجب إعادة تقويم سبل الاتصالات، وكذلك العلاقات السابقة في ظل الظروف الجديدة. فقد اثبت حلفاء اليشوف الموارنة جدواهم خلال فترة العمليات الحربية، وبالتالي،

(١٨) من روزنتال وي. يادين إلى و. ايتان، DFPI, Vol. 3, p.309.

(١٩) Shlaim, *Collusion across the Jordan*, p.329.

فإن تحالف الأقليات اصبح مركزيا لسياسة التدخل الاسرائيلية في شؤون الدول الاخرى. وفي الواقع، وعلى المستوى غير الرسمي، فإن الموارنة فرحوا بإنشاء دولة إسرائيل[٢٠]. وبحسب ضابط الاستخبارات الإسرائيلي، يوسف صباغ، فقد وجدوا فيها حليفا مستقبليا، وبالتالي، فإنه أوصى بتجديد الاتصالات مع مبارك بعد مشاركة لبنان الفاترة في حرب ١٩٤٨[٢١]. ولم يكن موقف إسرائيل من اللبنانيين المسيحيين قد تغير، بل اعتبر الموارنة الحلفاء الطبيعيين للدولة اليهودية الجديدة أكثر من أي وقت مضى. واعتقد بن غوريون أنه لم يكن لديهم خيار آخر لأنهم هم أيضا جسم غريب في العالم العربي المسلم[٢٢]. وراح المسؤولون الإسرائيليون ينسجون الصلات الجديدة مع شخصيات لبنانية وينمون في الوقت نفسه الصلات القديمة. وفي الواقع، وخلال مناقشة بين السياسي اللبناني المتقاعد، إميل إده، وطوبيا آرازي، الذي كان متورطاً تورطاً عميقاً مع موارنة كثر بعدما أصبح مساعداً لإلياهو ساسون في مباشرة محادثات مع العرب، طلب إده مقابلة الرئيس حاييم وايزمان لمناقشة أهداف مشتركة[٢٣].

في الثالث من تموز/يوليو ١٩٤٨، وفي اجتماع سري آخر بين إميل إده ومسؤول من وزارة الخارجية الإسرائيلية، أثيرت امكانية تمرد مسيحي في بيروت في حال قامت قوات الدفاع الإسرائيلية بغزو جنوب لبنان. وقد استخدم إده وممثل حزب الكتائب الياس ربابي عبارة «التمرد» بالتحديد. لكن، هذا التعبير، بحسب قاموس السياسة الواقعية، تعبير غير صحيح بما أن اللبنانيين المسيحيين لم يكونوا طائفة موحدة، حتى انهم لم يكونوا يمثلون جبهة موحدة. لذا، فإن استخدام هذه العبارة يبدو تصويراً خاطئاً لاستعداد

(٢٠) Memo of Conversation from 1 August 1950, from Pinkerton (Beirut) to Department of State, Secret, 11 October 1950, R-SM, Rg 84, Beirut, Lebanon 1950-4, Box 1, NARA. See also U.S. Foreign Service Despatch 634, Position of Jews in Lebanon, 28 May 1952, RG 59, Box 5448, NARA.

(٢١) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.65.

(٢٢) مقابلة مع رفائيل إيتان القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٢٣) من آرازي إلى ساسون حول مناقشة مع إميل إده في ٢٢ ايار ١٩٤٨ في باريس، FM 2565/12, ISA.



اللبنانيين المسيحيين وقدرتهم على تنفيذ مثل هذا المخطط الذي اقتُرح، على الأرجح، للحصول، على الأقل، على بعض التمويل الإسرائيلي.

لقد ظن إده أن اجتياحاً إسرائيلياً للجنوب يشكل طريقة فعالة للإخلال بتوازن الحكومة، وهو ما سيعطي قوى المعارضة إمكانية تنفيذ التمرد، لكنه حذّر إسرائيل، من توقع نتائج سريعة[٢٤]. كما أن الياس ربابي، وهو الرجل الثاني في حزب الكتائب ورئيس تحرير جريدة «العمل» الكتائبية، قد قدم أيضاً طلباً محدداً بهذا الشأن لإلياس ساسون وطوبيا آرازي في باريس[٢٥].

لكن الإسرائيليين، مع ذلك، لم يكونوا مقتنعين بقدرة الموارنة على تنفيذ مثل هذا المخطط. وبحسب مدير القسم السياسي في وزارة الخارجية الإسرائيلية روفن شيلواح، فإن مصدرا موثوقا به ذكر في تقرير له «أن الوضع السياسي في لبنان غامض جداً... وأنه لا يعتقد أن المسيحيين قادرون على القيام بثورة، للقيام بثورة». لكنه مع ذلك، شجع ربابي وساعده ماليا[٢٦]. فإسرائيل لا يمكنها إلا أن تربح من مساعدة طموح الكتائب لتحرير نفسها من العروبة. وفي هذا السياق، فإن اتصالات كثيرة تضمنت مساعدة صهيونية لجهود العلاقات العامة المارونية في الولايات المتحدة[٢٧]. إلا أن كل مخططات التمرد على نظام رئيس الحكومة، رياض الصلح، لم تؤد إلى شيء[٢٨].

(٢٤) من سيلغسون إلى شيموني، ١٣ تموز ١٩٤٨، FM 3766/6, ISA.

(٢٥) Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics: The Case of Lebanon', p.236.

(٢٦) من ر. شيلواح الى د. بن غوريون، الاستخبارات العسكرية، ٣٠ أيار ١٩٤٨، FM 2570/5, ISA.

(٢٧) Morris, 'Israel and the Lebanese Phalange: the Birth of a Relationship 1948-51', p.125.

(٢٨) ولد رياض الصلح عام بيروت في ١٨٩٤، وكان قوميا عربيا ناشطاً منذ شبابه. شارك في انشاء حزب الاستقلال في دمشق في ظل حكم الأمير فيصل. ومع ذلك، وعلى الرغم من نظرته القومية العربية فإنه أجرى اتصالات مع الزعامة الصهيونية في العشرينات. والواقع، أنه حاول، عام ١٩٢١، إقناع الزعماء الفلسطينيين بالقبول بسياسة بريطانيا الصهيونية. وأصبح رئيسا للوزراء في لبنان من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٥ ومن ١٩٤٦ إلى ١٩٥١. اغتيل في ١٩٥١ في عمان، الأردن، لأنه كان يؤيد تسوية مع الفرنسيين.

وقد كانت الجاليتان اليهودية واللبنانية في الولايات المتحدة هي السبيل إلى فتح مسار جديد في العلاقات الإسرائيلية اللبنانية[٢٩]. فقد كانت فوائد الجالية المارونية في الولايات المتحدة قد أثيرت في وقت سابق. ففي آب/أغسطس ١٩٤٥، وخلال زيارة لعريضة لمناقشة جبهة مسيحية يهودية موحدة ضد المسلمين، تسلم منه طوبيا آرازي، العامل في جهاز الاستخبارات في الهاغانا، رسالة تناشد اللبنانيين المسيحيين في الولايات المتحدة وتحضهم على تقديم الدعم الأميركي لسياسة البطريرك. وقد أخذ آرازي الرسالة معه في رحلته التالية إلى الولايات المتحدة. هذه الجهود لحشد دعم الأميركيين الموارنة للطابع المسيحي للبنان ومعه الحاجة للتحالف اليهودي المسيحي أعطاها المونسنيور عقل مزيدا من القوة لدى مغادرته لبنان خصيصا لإلقاء محاضرات عن خطر تجاوزات الدول الإسلامية. وعلى الرغم من توبيخات الحكومة اللبنانية، فإنه واظب على اظهار اوجه الشبه بين اليهود في فلسطين والمسيحيين في لبنان[٣٠].

وفي ربيع ١٩٤٨، عقد اجتماع بين كاهن لبناني اميركي ماروني، جوزف عواد، وبين الياهو بن هورين وشولاميت شوارتز، من مجلس الطوارئ الأميركي الصهيوني، نتج عنه تمويل صهيوني مباشر لزيارة الأب عواد للبنان في نيسان وأيار/ابريل، مايو ١٩٤٨. وكان الأب عواد، وهو من ووترفيل في ولاية ماين، معاديا ناشطاً للعرب والمسلمين، ومؤيدا لتحالف عسكري علني بين إسرائيل ولبنان. وكان هدف زيارته معرفة رأي اللبنانيين في الحرب ضد إسرائيل، ومعارضة الموارنة لحكومة الصلح[٣١]. في هذا الوقت، كانت الكتائب اللبنانية قد دخلت في علاقات إسرائيلية لبنانية غير رسمية، وأصبحت الكتائب لب المعارضة لحكومة رياض الصلح وبشارة الخوري[٣٢].

(٢٩) OSS Research and Analysis No. 1090.122, 4 August 1945, Scattered Beirut Central Files 1930-49, RG84, 165, 208, 319, NARA.

(٣٠) من ن. غولدمان الى ا. ابشتاين، ١٧ تشرين الأول ١٩٤٥، .FM 2567/2, ISA

(٣١) مذكرة من شولاميت شوارتز الى موشي شاريت، مذكرة تتعلق بالبعثة الكتائبية الزائرة، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠، .FM 2408/16, ISA

(٣٢) المصدر نفسه.



وعواد، الذي كان ابن عم البطريرك وابن شقيق الشيخ توفيق عواد، كان قد التقى كلا من البطريرك عريضة والرئيس اللبناني بشارة الخوري وزعيم الكتائب بيار الجميل. ولدى عودته إلى الولايات المتحدة، رفع تقريره إلى مستشار في البعثة الإسرائيلية في الأمم المتحدة يدعى جدعون روفر (رفايل)[٣٣].

لقد أعلن عواد أن مسيحيي لبنان لا يؤيدون مشاركة لبنان في الحرب ضد إسرائيل. وعلى هذا، فإنه أكد وجود موقف حار مؤيد للدولة اليهودية من «جانب الأغلبية المارونية في لبنان». وفي الحقيقة فقد كان هذا الموقف واسع الانتشار وقوياً لدرجة أن «الرئيس المسيحي الدمية» بشارة الخوري، على الرغم من ضعفه المألوف، فإنه وقف في وجه رئيس الحكومة المسلم، المتسلّط عادة، ورفض أن يقاتل الجيش اللبناني في فلسطين[٣٤].

لكن الصلح مع إسرائيل لم يكن ممكنا إلا بعد إسقاط حكومة رياض الصلح وإحداث تغيير في ميزان القوى لمصلحة المسيحيين[٣٥]. وكان الشيخ بيار الجميل الماروني الذي أسس حزب الكتائب عام ١٩٣٦ ويقدر استقلال لبنان حق قدره، قد أشار إلى عواد بأن إرسال الجيش اللبناني إلى الحدود مع إسرائيل يشكل فرصة ذهبية لانتفاضة مسيحية في بيروت، لكن المسيحيين بحاجة إلى أسلحة والى دعم مالي قبل أن تصبح مثل هذه الانتفاضة ممكنة[٣٦]. إلا أن التقويم الإسرائيلي لهذه المشاريع هو أن الموارنة ربما كانوا مستعدين نفسيا لمثل هذه الثورة، لكنهم ليسوا مجهزين لها. فقد صادر البريطانيون أسلحتهم إبان الحرب. وشرع رياض الصلح بتسليح الطائفة الإسلامية فقط[٣٧].

(٣٣) ولد جدعون رفايل في برلين عام ١٩١٣، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٤، وانضم إلى الهاغانا من ١٩٣٩ الى ١٩٤٢ وعمل للوكالة اليهودية من ١٩٤٢ الى ١٩٤٥. وكان بين ١٩٥٠ و١٩٥٣ مستشارا لبعثة إسرائيل إلى الأمم المتحدة.

(٣٤) من أ. بن هورين إلى موشي شرتوك، ٢ تموز ١٩٤٨ FM 2403/5, ISA

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) من جدعون روفر (رفايل) إلى أرثور لوري وأوبري إيبان، ١٩٤٨ .FM 2563/23, ISA

(٣٧) من أ. بن هورين إلى موشي شرتوك، ٢ تموز ١٩٤٨، .FM 2403/5, ISA

لم يمر النشاط المتزايد داخل الطائفة المارونية دون أن يفطن إليه أحد. ويمكن أن نرى ذلك من خلال تقرير رفعته المفوضية التركية في بيروت إلى الأميركيين. يقول التقرير إن أحد المطارنة الموارنة يحاول أن يفاوض على «ميثاق دعم مشترك» بين اللبنانيين المسيحيين والإسرائيليين. وكان يُعرف عن المطران المذكور صلاته مع زعماء إسرائيليين، وقد تحدثت الشائعات عن أنه طلب مساعدة كاردينال نيويورك سبيلمان لتحقيق التفاهم المقترح[٣٨]. وكان مصدر هذه المعلومات مسؤول كبير في وزارة الخارجية اللبنانية والذي كان يعتقد أن هذه الخطوة لن تثمر شيئاً. لكنه مع ذلك، كان متيقناً من تأسس الصلات لأن الأسقف المذكور كان قد حاول مراراً في الماضي أن يؤدي دوراً سياسياً. وقد تسببت نشاطاته، في بعض الأحيان، في إحراج الحكومة اللبنانية التي وجدت أنه من الضروري في عدة حالات «أن تبعده عن البلاد بحجة أو بأخرى». وادعى المخبر أن الأسقف كان في هذه الحالة يتحدث باسم الكنيسة المارونية ككل وان له كثيراً من الاتباع الشخصيين[٣٩].

واستمرت الاتصالات مع إسرائيل وجرى أول اتصال إسرائيلي كتائبي مباشر في خريف ١٩٤٨. وقد كرس هذا الاتصال انتقالا من دعم جهود الدعاية المارونية في الولايات المتحدة إلى إمكانية تعاون سياسي عسكري، على الرغم من حقيقة غياب الإجماع داخل مؤسسة الاستخبارات في شأن هل سيبدأ المسيحيون التمرد الذي يثابرون على ذكره. وفي تشرين الأول/اكتوبر ١٩٤٨، التقى ربابي في باريس برافر وآرازي، وكما سيتبيّن من مذكرة لاحقة، فقد كوّن المسؤولان الإسرائيليان عن ربابي انطباعاً جيداً جداً وقدما له «قرضاً» وحثا وزارة الخارجية على القيام بعمليات متابعة وأرفقا ذلك باقتراح موازنة لهذا الغرض[٤٠]. لكن موقف وزارة الخارجية من هذه المسألة كان قد تم إقراره: فالثورة التي طال الحديث عنها كانت غير واقعية في هذا الوقت. وفي الحقيقة فقد كان قرار وزارة الخارجية للمسألة هو أن تزويد ربابي بالسلاح

(٣٨) US State Department Airgram A-281, Secret, 31 August 1948, RG 59, NARA.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) من أ. ساسون إلى م. ساسون، ١٨ كانون الأول ١٩٥٠، FM 2565/12, ISA.



المطلوب أمر سيُطرح للمناقشة. إلا أن أهداف الموارنة اعتُبرت غير واقعية. فقد كانوا بحاجة إلى تلقي التدريبات في إسرائيل أولاً، علاوة على ضرورة انتقالهم من مرحلة الكلام إلى مرحلة الفعل[٤١].

وبرز موضوع التمرد الماروني من جديد في سلسلة أخرى من الاجتماعات السرية عام ١٩٤٩. ففي الرابع والعشرين من شباط/فبراير جرى إبلاغ دائرة شؤون الشرق الأوسط أن مبعوثين من قِبَل المطران مبارك يودون الاتصال بوزارة الخارجية. وكان توفيق سمعان، أحد المبعوثين الثلاثة، يحمل وثيقة موقعة من المطران تطلب من السلطات الاسرائيلية مساعدته في مهمته. ووفقا لما جاء في مذكرة رئيس مكتب لبنان وسوريا شمويل يعري في ٢٨ شباط/فبراير، فإن سمعان ادعى أنه أرسل للاطلاع على موقف إسرائيل من خطة الثورة في لبنان، وأن كل المطلوب هو قليل من التعليمات والمساعدة من إسرائيل[٤٢]. وقال إن الشعور بالمرارة في صفوف اللبنانيين المسيحيين قد بلغ ذروته، وإن زعيم الكتائب، بيار الجميل، والرئيس السابق، إميل إده، والقسم الأكبر من الجيش اللبناني جميعهم يدعمون مبارك[٤٣].

أجاب يعري قائلا:

> في الوقت الذي نرحب فيه بأي محاولة يقوم بها اللبنانيون المسيحيون لتحرير أنفسهم من نير الزعماء العروبيين، فإنه لا يمكننا الإعراب عن رأينا في هذا الاقتراح قبل أن نحصل على خطة مفصلة تشرح كيف سينفذون ثورتهم، ما هي القوى التي بحوزتهم، وما هو بالضبط حجم المساعدة التي يطلبونها من إسرائيل لهذا الغرض[٤٤].

وبقي تمويل إسرائيل للكتائب الدعم الوحيد للموارنة على الرغم من أن

(٤١) يفترض أن يكون أ. دانين قد نقل هذه المعلومات في رسالة مؤرخة في ٧ تشرين الثاني ١٩٤٨ وموجهة إلى أ. بن هورين، لكن أ. ساسون نقلها شفويا إلى بن هورين، FM 2563/23, ISA.

(٤٢) Morris, 'Israel and the Lebanese Phalange,' p.131.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) مذكرة من شمويل يعري ٢٨ شباط ١٩٤٩ FM 2563/23, ISA.

فكرة لبنان مسيحي صديق لإسرائيل حافظت على سحرها كما في السابق. ولكن إخراج لبنان من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي لم يكن بالأمر السهل كما كان يُعتقد. والواقع، في ذلك الوقت، وكما شدد وزير الخارجية موشي شاريت مراراً، أن اسرائيل، التي طالما اتصلت بها شخصيات لبنانية، كان يردعها غياب قوة في وسط عامة اللبنانيين يمكنها تنفيذ أي مهمة. وبالنتيجة فإن إسرائيل اكتفت بتقديم مساعدة خارجية فقط[٤٥].

في العام ١٩٥٠، فتحت هذه المساعدة الخارجية السبيل أمام إسرائيل للدخول في السياسة اللبنانية الداخلية. وكان الياس ربابي خلال بعثته الثانية إلى الولايات المتحدة قد تقدم من المنظمة الصهيونية في أميركا بطلب تمويل حملة الكتائب الانتخابية في الانتخابات النيابية اللبنانية عام ١٩٥١. وقد جرى تحويل هذا الطلب إلى الدائرة السياسية في وزارة الخارجية والى موشي شاريت في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٠. أما المذكرة التي أعدتها شولاميت شوارتز، العاملة في مجلس الطوارئ الأميركي الصهيوني، فقد نقلت عن ربابي تأكيده أن الكتائب تريد إخراج لبنان من الجامعة العربية، وأن من ضمن أهدافها السياسية صنع السلام وإعادة إرساء العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل[٤٦].

هذا الموقف سبق أن جاهرت به منظمة لبنانية أميركية مشتركة تحمل اسم أصدقاء لبنان. وأصدقاء لبنان، بحسب تعريفها، نُظّموا بهدف العمل على إبقاء دولة لبنان أمة مسيحية. ولم يكن لهذه المؤسسة رئيس فعال سوى المطران الماروني اغناطيوس مبارك نفسه. وقد بعثت هذه المنظمة في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٩، برسالة احتجاج إلى الأمين العام للأمم المتحدة تبلغه فيها بأن «لبنان ليس دولة عربية بل هو فينيقي الجذور ومسيحي الإيمان»[٤٧].

في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٠، وبناء على تعليمات من شاريت، اجتمع كل من سكرتيره الخاص، افرايم افرون، ومستشاره لدى الأمم

(٤٥) Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics', p.237.

(٤٦) Morris, 'Israel and the Lebanese Phalange', p.133.

(٤٧) Letter from Friends of Lebanon, A. Richards to Dean Acheson, 10 January 1950, RG 59, NARA.



المتحدة، جدعون رافايل مع ربابي في نيويورك. وفي مذكرة لاحقة أوصى رفايل بتخصيص مبلغ يراوح ما بين ١٥ ألفا وثلاثين ألف دولار للكتائب من أجل حملتهم الانتخابية. فعلى إسرائيل أن تُعرب بهذا الشكل عن اهتمامها بوجود قوة صديقة مهمة في لبنان دون أن تتوقع الكثير في المستقبل المنظور[٤٨]. كذلك لقي طلب الكتائب للحصول على مساعدة، دعما من أمبيل نجار، المستشار في السفارة الإسرائيلية في باريس، الذي التقى ربابي في مطلع كانون الثاني/يناير ١٩٥١، وكذلك من ساسون الذي كان قد أصبح سفير إسرائيل في انقره. ورأى ساسون، المتفائل بشأن العلاقات مع الكتائب، أن التمويل فاتحة لتحازبات جديدة واسعة الأثر، في بنية الشرق الأوسط.

> إنني أدعم بكل قواي أي اتصال مع الكتائب. وأعتقد أن علينا أن نقوم بكل ما في وسعنا لمصادقة هذه المنظمة المارونية التي تضم عشرات الآلاف من الأعضاء والتي هي على استعداد لحمل السلاح متى دعت الحاجة إلى تغيير وجه لبنان[٤٩].

وهذا النوع من الدعم الخارجي حصل أيضاً على دعم أكبر من ساسون، الذي شدد مع ذلك على ضرورة عدم تورط إسرائيل تورطاً مباشراً[٥٠].

لكن تحليلاً أجراه قسم الأبحاث في وزارة الخارجية أظهر أن عدد أفراد الكتائب كان أقل مما ادعت، وأنها لم تكن تملك حظوظا في الحصول على ثلاثة مقاعد أو أربعة في البرلمان اللبناني. وبالتالي فإنه لم يكن ممكناً حمل مخطط القيام بثورة على محمل الجد. وكتب مسؤول قسم الأبحاث جدعون تدمر أن «على المرء ألا يوظف الكثير من الآمال في الكتائب» التي يحتمل أن تتملص من العلاقة و«تتعاون» مع المعادين لإسرائيل مثل جماعة الصلح. وقد شدد أيضاً على أن شيئاً ملموساً ومفيداً لم ينجم قط عن التعاون المسيحي اليهودي السابق، على الأقل في ما خص الطائفة اليهودية في فلسطين. وختم تقريره

(٤٨) من ج. رفايل إلى و. إيتان، ٢٨ كانون الأول ١٩٥٠ FM 2565/12, ISA

(٤٩) من أ. ساسون (في أنقرة) إلى م. ساسون في وزارة الخارجية، ١٨ كانون الأول ١٩٥٠ FM 2565/12, ISA.

(٥٠) المصدر نفسه.

برفض اقتراح التمويل، ما عدا مبلغا ضئيلا ربما كان لإظهار حسن نية إسرائيل[٥١].

وعلى أثر تقرير قسم الأبحاث في وزارة الخارجية، قُدمت مساعدة بمبلغ ألفي دولار فقط. وقد أظهر هذا التقرير أن ربابي بالغ كثيراً في عدد أعضاء حزب الكتائب وحظوظه بالفوز بمقاعد في مجلس النواب اللبناني[٥٢]. فقد ادعى أن الكتائب، في الانتخابات المقررة في ربيع ١٩٥١ قد تفوز بثلاثة مقاعد أو أربعة، وهكذا يمكن لإسرائيل أن تستفيد من هذا التمويل حتى ولو كانت الإفادة متأتية عن التأثير السلبي لهذا التمويل على اللبنانيين[٥٣].

وعندما أجريت الانتخابات اللبنانية في ١٥ نيسان/ابريل ١٩٥١، فشل حزب بيار الجميل في الحصول ولو على مقعد واحد. لكن وعلى الرغم من هذا الفشل، فإن ربابي نفسه، الذي لم يعتبر الانتخابات فشلاً لأن رابطة الوحدة اللبنانية القريبة من الكتائب قد فازت بثلاثة مقاعد، عاد وجدد طلباته بالحصول على مساعدة إسرائيلية إضافية إلا أنه لم يحصل على استجابة فورية. وانحازت شولاميت شوارتز إلى ربابي واعتبرت الانتخابات بمثابة بدء مرحلة سياسية جديدة. وجاء في تقرير لها أن ربابي والشيخ خيّبهما الدعم الإسرائيلي، لكن ربابي قال إنه «على الرغم من أسفنا الشديد لذلك، فإننا نعلم

---

(٥١) في هذه المفاوضات تبادل أميل نجار والياس ربابي الرسائل مستخدمين اسمين رمزيين هما مادلين وديانا)
G. Tadmor, Help for the Lebanese Phalange, 25 January 1951, FM 2408/16, ISA.

(٥٢) من قسم الابحاث إلى وزير الخارجية في موضوع مساعدة الكتائب اللبنانية، ٢٨ كانون الأول ١٩٥٠ FM 2565/12, ISA.

(٥٣) كان للدعم الإسرائيلي للكتائب تأثير عام على لبنان. إذ بدا ان موقف الرأي العام من إسرائيل كان ايجابيا أكثر لأن البعثة الأميركية في بيروت رفعت تقريباً جاء فيه: «لو كان لبنان حرّ الارادة لوافق على الأرجح، على تسوية سلمية معقولة مع اسرائيل. لكن لبنان، كدولة صغيرة يغلب عليها النفوذ المسيحي، يقع وسط ست دول عربية أخرى أكبر منه، الغلبة فيها للمسلمين، عليه أن يحذر الانحراف عن الخط السياسي العام المقبول عربيا المتعلق بفلسطين والذي تحدده عادة، الجامعة العربية» Policy Statement - Lebanon, Department of State, Secret, 29 January 1951, Box 2850, NARA.



أن قدرنا هو أن نعمل معاً وبأن التعاون سيأتي»[٥٤]. وذهبت إلى حد التوصية باستثمار خمسين ألف دولار لشراء عدد كبير من الأسهم في جريدة العمل الكتائبية بهدف توسيع انتشارها وجعلها ذات أهمية دولية. وكان ربابي بصفته رئيسا لتحرير العمل قد اتصل بها في الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٥٢، طالبا «معونة» لدفع المعاشات في مقابل توجيه الصحيفة في اتجاه موافق لإسرائيل. ولدى عودته في نيسان/ابريل ١٩٥٢، كان قد وفى بتعهداته[٥٥].

لكن الافتقار إلى المساعدة المالية لم يؤدِ إلى إزالة إسرائيل من جدول الأعمال السياسية المارونية، أو حتى من جدول الأعمال السياسية اللبنانية. ففي ٣٠ آب/أغسطس ١٩٥١، حصلت محادثة لافتة بين مساعد وزير الخارجية الأميركية ماك غي، ووزير خارجية لبنان شارل مالك. وكان مالك الماروني وأستاذ الفلسفة السابق، قد أجرى اتصالات سابقة مع مسؤولين إسرائيليين. وفي الواقع، فقد ناقش بشكل مستفيض مسألة قبول إسرائيل في الأمم المتحدة مع طوبيا آرازي عام ١٩٤٩[٥٦]. ومن موقعه الجديد كوزير للخارجية، اقترح مالك أن ترتبط دول المتوسط كلها بشكل من أشكال الميثاق المتوسطي، تشارك فيه الولايات المتحدة وبريطانيا. واعتقد أن مصر ستكون مهتمة بميثاق كهذا شأنها شأن لبنان وسوريا، كما اقترح أيضاً ضرورة أن تكون إسرائيل جزءا من هذا الميثاق «من خلال ترتيب خاص»[٥٧].

إلا أن الولايات المتحدة، مع ذلك، كانت تحاول خفض التوترات في الشرق الأوسط، وبالتالي، فإنها وضعت فكرة ميثاق دفاع إقليمي في الثلاجة. وفي العام ١٩٥٢، عرض مواطن أميركي من أصل لبناني، وهو نقولا سلامة، أن يقوم بجولة حسن نوايا على الدول العربية. فقد كان سلامة يعمل مراسلا في جريدة الهدى التي كان يصدرها الكاهن الماروني الأب عواد،

---

(٥٤) من شولاميت شوارتز إلى جدعون رفايل، ١١ أيار ١٩٥١ FM 2565/12, ISA.

(٥٥) شولاميت شوارتز، مذكرة سرية عن مشاريع لبنانية، أول تموز ١٩٥٢ FM 2403/5, ISA.

(٥٦) رسالة من ت. ارازي، نيويورك، ٣٠ نيسان ١٩٤٩ FM 3770/31, ISA.

(٥٧) مذكرة عن محادثات نائب وزير الخارجية ماكغي، ٣٠ آب ١٩٥١ Box 2850, NARA.

وكان ميل هذه الصحيفة مواليا للصهيونية، كما أنها كانت الصحيفة الوحيدة التي تصدر بالعربية من ضمن مجموعة الصحف التي كان يصدرها عواد والتي كانت أيضا تضم «ذي ميدل إيست برس ريفيو» و«ذي فايننشال برس». لكن وزارة الخارجية الأميركية رفضت عرض سلامة، وكان الدافع لهذا الرفض تحاشي إحداث مشكلات بشأن ما جاء في ملاحظة مكتوبة بخط اليد لأحد مسؤولي وزارة الخارجية: «هذا الشخص هو من طينة الأب جوزف عواد من ولاية ماين إنه مثير للمشاكل!»[٥٨].

وإن الشعور الماروني بأن على لبنان الإبقاء على طابعه المسيحي للاستمرار في الوجود قد ازداد مع التوترات المسيحية الإسلامية في العام ١٩٥٣. وكان أحد المناشير التي وزعت خلال هذه الاضطرابات يتضمن ادعاء بأن «بعض العناصر المسيحيين ولا سيما منظمة الكتائب قد توصلوا إلى تفاهم مع الإسرائيليين يمكن أن يؤدي إلى طرد المسلمين من لبنان»[٥٩]. فاتصالات الموارنة بإسرائيل كانت قد أثرت تأثيراً عميقاً على المسلمين وزرعت فيهم المخاوف من نشوء لبنان مسيحي ـ دولة مارونية.

وفي شباط/فبراير ١٩٥٤، عمد بن غوريون الذي أصبح قلقا من جراء عزلة إسرائيل، إلى إحياء مفهوم الدولة المارونية[٦٠]، بحجة أن الوقت قد حان لدفع الموارنة إلى إعلان دولة مسيحية. لكن شاريت، الذي كان قد تولى منصب رئاسة الحكومة بعد بن غوريون، رد على هذه الحجة بالقول إن المسيحيين لا يشكلون الأغلبية وهم ليسوا بموحدين. عندها اقترح بن غوريون إعادة رسم الحدود مع لبنان لخلق لبنان ذي غالبية مسيحية. لكن شاريت رفض ذلك أيضاً وأصر على أن التقليص الإقليمي سيكون كارثة للموارنة لأنه سيمزق نموذج التعاون المسيحي الإسلامي دافعاً مسلمي لبنان

(٥٨) رسالة مدير قسم الشرق الأوسط في الخارجية الأميركية لويس جونز من نقولا سلامة، ٢٧ آذار ١٩٥٢، Box 5445, NARA.

(٥٩) US Foreign Service Despatch 279, Muslim pamphlet stirs up Christian-Muslim animosities, 27 November 1953, Box 5448, NARA.

(٦٠) Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics', pp.237-9.



إلى حضن سوريا[٦١]. وربما كان من شأن هذا أن ينتهي بتدمير هذه الدولة المسيحية وبقيام سوريا بضم لبنان إليها[٦٢].

إلا أن بن غوريون لم يقبل حجج شاريت كما ظهر من رسالة بعثها إليه. فبن غوريون تمسك «بواقع» أن «لبنان المسيحي هو الحلقة الأضعف في الجامعة العربية» وبأن المسيحيين يشكلون الأغلبية ضمن أراضي «لبنان التاريخي». وهكذا «فإن إنشاء دولة مسيحية هو عمل طبيعي، فهي تملك جذورا تاريخية وسوف تحظى بالدعم من أوساط واسعة في العالم المسيحي بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي». ومن دون مبادرة إسرائيلية لن تبرز مثل هذه الدولة إلى الوجود، وسينجم عن ذلك تضييع فرصة تاريخية. وبالنسبة إلى بن غوريون فقد كان إنشاء لبنان مسيحي هو أحد الواجبات المركزية للسياسة الخارجية الإسرائيلية وينبغي ألا يهدر لا المال ولا الوقت ولا الطاقة في المجهود الرامي إلى إحداث تغيير جذري في المنطقة[٦٣]. فجاء جواب شاريت على ذلك بأن التدخل في دولة مجاورة يمكن تبريره فقط لو كانت هناك حركة سياسية تعمل باستقلال من أجل تحقيق هدف محدد، ولكن يمكنها الإفادة من تشجيع خارجي. فالتدخل، كما هي الحال مع الموارنة، ليس له مبرر، ويصعب نجاحه في غياب حركة سياسية محلية قوية ذات هدف معين، وتصميم[٦٤].

ورفض بن غوريون مرة أخرى وجهة نظر شاريت وبدأ الإعداد لتنفيذ مخططه للاجتياح. واستمرت وزارة الخارجية، في الوقت نفسه، في تنمية الاتصالات، ولكن لأسباب أقل طموحاً. وبالفعل فقد التقى آرازي الياس ربابي في تموز/يوليو ١٩٥٤ إبان زيارة ربابي وشمعون للأرجنتين. وكان قد أوصى بعد هذا الاجتماع بدعوة عدد من اللبنانيين المؤيدين لعلاقات مع

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) المصدر نفسه ص٢٣٧-٢٤١. راجع أيضا Moshe Sharett, *Yoman Ishi (Personal Diary)* (Tel Aviv: Sifriyat Maariv 1980), pp.398-400.

(٦٣) Sharett, *Yoman Ishi (Personal diary)*, Vol. VIII, Ben Gurion to Sharett, 27 February 1954, pp.2397-8.

(٦٤) المصدر نفسه. راجع أيضا ما قاله شاريت لبن غوريون، ١٨ آذار ١٩٥٤، ص٢٣٩٨-٢٤٠٠.

إسرائيل إلى أوروبا[٦٥]. واقترح، قبل أي شيء، أن يلتقي بيار وإميل إده، وكان سبق أن التقى بيار في بيونس أيرس، وهو اصغر أولاد إميل إده وكان عضوا في البرلمان. وكان بيار إده، المتزوج من امرأة برازيلية من أصل لبناني، قد اجتمع بآرازي ثلاث مرات، مرتين في فندقه ومرة في منزل آرازي[٦٦]. كما أن بيار إده رافق والده إميل في اللقاءات مع الإسرائيليين عام ١٩٤٨ وتبيّن أنه أكثر موالاة للصهيونية حتى من والده. وقد ادعى في خلال المناقشات مع آرازي، في بيونس أيرس، أنه يمكنه بطريقة مأمونة الجانب، توجيه العلاقات الإسرائيلية اللبنانية في المستقبل نحو التعاون، حيث إنه كان طالباً للسلطة السياسية[٦٧]. ففي حال توليه السلطة سوف يتملّق للقضية العربية أولاً، ثم يتوجه صوب إسرائيل ما إن يوطد سلطته. ولكن حتى ذلك الحين تستطيع إسرائيل أن تصبح فقط جزءاً من ميثاق دفاع إقليمي عبر الولايات المتحدة، وهو بالطبع يدعم ذلك[٦٨]. وانتهى النقاش إلى مخططات مفصلة عن كيفية المحافظة على الاتصالات مستقبلاً. ففي لبنان كان على بيار إده أن يتصل ببهوشع بالمون، أما في الولايات المتحدة فكان يمكن الاتصال بإده عن طريق السفارة اللبنانية أو القنصلية من خلال رسائل موجهة إليه وممهورة بتوقيع «جورج»، في حين يستطيع هو بدوره أن يتصل بآرازي، باستخدام الاسم الرمزي «بول». كذلك جرى الاتفاق على أن يعقد الاجتماع التالي بينهما إما في لندن أو في باريس.

في هذا الوقت، كانت وزارة الخارجية الأميركية قد ازدادت اقتناعا بأن لبنان يريد سلاماً مع إسرائيل وأنه على استعداد لتوقيع معاهدة سلام معها على الفور، لو كان في وضع يتيح له ذلك[٦٩]. وبالفعل، أعطيت الولايات

(٦٥) من ت. أرازي لجدعون رفايل، بيونس آيرس، ٣٠ آب ١٩٥٤) FM 3766/7, ISA

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) انظر Department of State, from Jernegan to Murphy, invitation to the Presdient of Lebanon, September 1954, Box 5, RG 59, Lot 59 D 582 (US Special Files on Lebanon), NARA. See also Department of State, from Jernegan to the Secretary of State, Secret, 13 January 1955, Box 5, RG 59, Lot 59 D 583 (US Special files on Lebanon), NARA.



المتحدة سببا لهذا الاقتناع عندما طلب عقيد في الجيش اللبناني موعدا من القائم بالأعمال الاميركي وقدم له خطة للسلام. وكانت هذه الخطة ترتكز على ثلاث مراحل تبدأ بضمانات غربية لكل الحدود الدولية، مع إجراء تعديل بسيط في الأماكن التي يقسم فيها خط الحدود بعض القرى أو يقطعها عن أراضيها الزراعية، وانتهاء بتسوية مسألة اللاجئين. وقال العقيد اللبناني إن «الحل يتطلب وقتا ولا يمكن أن يكون خطوة دراماتيكية. فقد لزم اليهود ألفا سنة ليعودوا إلى إسرائيل، فأعطوا العرب عشر سنوات، على الأقل، ليتعودوا على الفكرة»[٧٠].

وبعد شهرين فقط في شباط/فبراير ١٩٥٥، استعاد بن غوريون منصبه كوزير للدفاع نتيجة «عدم كفاءة» شاريت في التعاطي مع أمن إسرائيل. ومع عودة بن غوريون إلى سدة القيادة، ابتعدت إسرائيل مرة أخرى عن التخطيط للسلام عبر الاتصالات والمفاوضات. فأفكار شاريت الداعية إلى مثل هذا السلام أصبحت مرة أخرى خاضعة لمخططات بن غوريون القاضية بالتدخل في لبنان مع تحوير جديد. إذ إن كل ما كان يلزم، بحسب تعبير رئيس الأركان موشي دايان، هو العثور على ضابط تدعمه إسرائيل، يستطيع أن يعلن نفسه منقذا للموارنة. عندها سيدخل جيش الدفاع الإسرائيلي إلى لبنان، فيحتل جنوبه ويقيم نظاماً مسيحياً في بيروت، وتصبح الدولة الجديدة عندئذ حليفة لإسرائيل[٧١]. هذه الصيغة الجديدة لمقاربة سياسة التدخل حيال لبنان كانت مرتبطة مباشرة بإمكانية اجتياح عراقي لسوريا، الأمر الذي سيعطي إسرائيل حينها ذريعة للتدخل[٧٢].

لكن العراق لم يعط إسرائيل المبرر الذي كانت تأمله، إلا أن منظمة

(٧٠) Department of the Army intelligence report R-380-54, Review of the political situation and request for arms aid, 14 December 1954, R-SM, Rg 319, ID File, ACSI, G-2 Military Intelligence, NARA.

(٧١) Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics', pp.241-2

(٧٢) كان مثل هذا المخطط المفصل لغزو عراقي لسوريا موجوداً بالفعل. وقد اعترف الجنرال غازي الداغستاني، نائب رئيس الأركان العراقي، إبان محاكمته بأنه ورث مثل هذا المخطط عن سلفه مطلع عام ١٩٥٤. راجع محكمة الشعب (١٩٥٨)، ص٢٧٦.

التحرير الفلسطينية، وبعد ٢٧ عاماً، قامت بتقديم هذا المبرر. والخطة التي ظنها شاريت خطة تظهر فجاجتها بجلاء قد نُفذت بحذافيرها.

## مبدأ التدخل ومبدأ الامتناع عن التدخل

تطورت محاولات إقامة علاقات مع الأقليات غير العربية في الشرق الأوسط لكسر عزلة إسرائيل في الخمسينات، لتصبح جزءاً لا يتجزأ من سياسة إسرائيل الخارجية. فمنذ العام ١٩٤٨ فصاعداً، صيغت أفكار ومفاهيم التحالفات في سياسة عربية «بسيطة»: إيجاد زعيم عربي، أو زعامة عربية في السلطة ذات نفوذ كبير، تكون مستعدة للقبول بدولة يهودية مستقلة دون محاربتها[٧٣]. إلا أنه مع هذا التطور نشأت مدرستان فكريتان، تركزان بشكل رئيسي على درجة التدخل الإسرائيلي لإقامة مثل هذه العلاقات.

فالمدرسة الفكرية الأولى، والتي سيطرت في النهاية على صُنع القرار، كانت بقيادة رئيس الوزراء وزير الدفاع بن غوريون. وكانت تدعو إلى تدخل واسع النطاق واللجوء إلى العمليات السرية بهدف إثارة الانقسام في صفوف العدو، وإبقاء العرب في حال من عدم التوازن وتأخير جهودهم في تحديث مؤسساتهم العسكرية[٧٤]. وكان هذا التدخل يهدف جزئيا إلى دعم قوى المعارضة في بلدان عربية ودعم أقليات غير عربية في مناصب حكومية. وفي حالة لبنان كان هدف إسرائيل مساعدة الموارنة في إحراز التفوق على كل الطوائف الأخرى.

وكان الاعتقاد أن العرب عاجزون عن قبول التعايش السلمي هو لب العقيدة البن غوريونية. لهذا، فقد كان على إسرائيل أن تلجأ إلى استخدام القوة[٧٥]. وكانت سياستها القاضية بالتدخل ترتكز على أساس أن حاجات الأمن تسبق سواها من الحاجات. وكما أعلن بن غوريون نفسه «فإن علينا أن

(٧٣) مقابلة مع يعقوب شيموني، القدس ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٧٤) Shlaim, 'Israeli Interference in Internal Arab Politics', p.233.

(٧٥) Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel* (Oxford: Oxford university Press, 1972), p.281.



نفطم أنفسنا عن الوهم السخيف والباطل، الذي لا أساس له من الصحة، والقائل بأن هناك قوة وإرادة في العالم خارج دولة إسرائيل سوف تحمي حياة مواطنينا. إن أمننا هو في قدرتنا الذاتية على الدفاع عن النفس»[٧٦]. وعلى هذا، فإن قوات الدفاع الإسرائيلية تبنت مبدأ الرد السريع القوي وتطبيقه الصارم. وإن التأثير الرادع لهذا المبدأ يهدف إلى الهجمات الإرهابية وكثافتها وإجبار الحكومات العربية على اتخاذ إجراءات فعالة على أراضيها ضد مثل هذه الأعمال. وسيساعد الاستخدام المتكرر والعنيف للقوة أيضاً، في البرهان على أن إسرائيل لا تقهر، وعلى أنها تجبر العرب، في نهاية المطاف، على الرضوخ لوجودها كدولة مستقلة ذات سيادة في المنطقة[٧٧]. وكان بن غوريون مقتنعاً بأن المواجهة المباشرة مع العرب على حدودهم وحدها ستحملهم على المجيء إلى طاولة السلام[٧٨]. ولكن كان من دأب الاعتبارات القصيرة الأمد، أن تغلب، في معظم الأحيان، الاعتبارات الطويلة الأمد.

وراوحت وسائل التطبيق بين العمل المباشر والعمليات السرية والأشكال العسكرية للتدخل، وضمنت هذه الوسائل الدعم من الدوائر الأمنية. وفي الواقع، فإنه مع حلول العام ١٩٥٤، كان صانعو السياسة الخارجية الاسرائيلية قد باتوا متمرسين في إيجاد السبل لمراعاة وجهات نظر العسكر[٧٩]. وبقدر ما كانت المؤسسة الدفاعية تصر، بقوة، على موقفها كانت التسوية تميل باتجاهها.

أما المدرسة الفكرية الثانية التي كان يدعو إليها وزير الخارجية شاريت ووزارة الخارجية فقد كانت تدعو إلى مزيد من الحذر في شأن درجة التدخل. وكانت تبعات السياسات الإسرائيلية على المدى الطويل محور وجهة النظر

(٧٦) David Ben Gurion, *Hazon Ve Derekh (Vision and Way)* (Tel Aviv: Ayanot, 1958), Vol. V, p.126.

(٧٧) Avi Shlaim, 'Conflicting approaches to Israel's relations with Arabs: Ben Gurion and Sharett, 1953-56', *The Middle East Journal*, Vol. 37, No. 2, Spring 1983.

(٧٨) Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, 1948-1967 (London: Frank Cass, 1969), p.84.

(٧٩) Rafael, *Destination Peace*, p.36.

هذه. فقد كان شاريت يقول مجادلاً، إن الانقسام العربي هو ضد مصالح إسرائيل، لأن هناك حاجة إلى إجماع عربي يعزز قضية السلام. وبالتالي، فإنه من الأفضل أن نلجأ إلى وسائل غير عنفية لتحقيق هذه الأهداف السياسية. ووصف دايان عقيدة شاريت بأنها توفيقية، وإعراض عن العمل، وقبول بما هو متوافر على حساب ما هو مرغوب(٨٠).

لكن الحضور القوي للدائرة الأمنية ومؤسسة الدفاع في سياسة إسرائيل الخارجية والداخلية قد ضمن ألا تكون الغلبة للمدرسة الفكرية الثانية إلا في ما ندر. وفي ضوء تعرّض بقاء الدولة للخطر، بغض النظر عما إذا كان هذا الخطر حقيقياً أم أنه خطر مدرك بالإحساس، كانت هناك قرارات يجب أن تؤخذ فورا، وكانت تستند، في الغالب، إلى فهم سطحي للقوى السياسية المحركة في المنطقة. ومع ذلك فقد أثرت وجهة نظر شاريت في عملية اتخاذ القرار، وأحدثت خلافات خلال المفاوضات، وجعلت من لبنان مسرحا لصراع القوة الدائم بين المرتبتين السياسية والعسكرية.

وفي الواقع، فقد بحث بن غوريون ومؤيديه فكرة التدخل العسكري في جنوب لبنان، ولو كان ذلك لفترة زمنية قصيرة، بل أثيرت أيضاً في لقاءات سرية بين مسؤولين إسرائيليين وممثلين عن الكتائب، دون غيرهم، فكرة تمرد مسيحي في بيروت على ألا يقتصر الدعم الإسرائيلي على المال فحسب، بل على اجتياح الجيش الإسرائيلي، في الوقت نفسه، جنوب لبنان ليوفر تلاقي القوتين الذي سينتج عنه حدود مسيحية يهودية مشتركة. ولم يُنفذ هذا المخطط عندما أثير في العام ١٩٤٨، إلى أن أعيد إحياؤه بعد نحو ثلاثين سنة في ظل ظروف كان فيها الفهم للقوى السياسية المحركة في المنطقة، حتى أقل مما كان في العام ١٩٤٨.

لقد كانت نظرة بن غوريون إلى لبنان الماروني جزءا من تصوره الشرق

(٨٠) Moshe Dayan, *Avnei Derekh: Autobiographia (Milestones: An Autobiography)* (Jerusalem: Edanim, 1976), p.208.



الوسط كمنطقة ليست عربية حصراً(٨١). حتى إنه لم يكن ينظر إلى المنطقة بصفتها منطقة إسلامية، بل بالأحرى منطقة متعددة الأديان، والإثنيات، والثقافات والقوميات(٨٢). وبعبارات بن غوريون نفسه:

> ليس الشرق الأوسط بالمنطقة العربية الصرف، بل على العكس، فإن غالبية سكانها ليسوا عربا. فالأتراك والفرْس واليهود، من دون تعداد الأكراد وغيرهم من الأقليات غير العربية في الدول العربية، هم أكثر عددا من العرب في الشرق الأوسط، ولهذا، فإنه يمكننا عبر اتصالات مع شعوب الحزام الخارجي للمنطقة، أن نصل إلى صداقة مع الشعب الموجود في نطاقها الداخلي والذين هم جيراننا المباشرون(٨٣).

وبشكل عام، فإن سياسة بن غوريون حيال الشرق الأوسط كانت نتاجا مباشرا لعزلة إسرائيل في المنطقة. وكان دور لبنان في نظام الأمور، دور «الحليف الطبيعي»، وفي ضوء ذلك، كانت تفسر كل العلاقات مع الموارنة وغيرهم من اللبنانيين.

## لبنان ومفهوم تحالف الأقليات

كانت العلاقات الصهيونية المارونية منذ الثلاثينات وحتى العام ١٩٥٥، تتميز بمواضيع كثيرة تتكرر. ففي الجانب الإسرائيلي، كان مفهوم بن غوريون أنه يمكن تغيير تركيبة الشرق الأوسط إلى تركيبة أكثر قبولا وأكثر مؤاتاة لإسرائيل، وفي الجانب اللبناني، كان توجس الطائفة المسيحية الذي يتمثل أكثر ما يتمثل في إصرار بعض الموارنة على تحدرهم من الفينيقيين وليس من

(٨١) Michael Bar Zohar, 'Ben Gurion and the Policy of The Periphery', in Itamar Rabinovich and Yehuda Reinharz (eds.) *Israel in the Middle East* (London: Oxford University Press, 1984), p.167.

(٨٢) Brecher, *The Foreign Policy System of Israel*, p. 278.

(٨٣) David Ben Gurion, 'Israel's Security and her International Position before and after the Sinai Campaign', State of Israel, *Government Year-book 5720*, 1959/60 (Jerusalem, 1960).

العرب. أما الموضوع الثالث الذي استقرأه كلا الجانبين فكان موضوع تحالف الأقليات.

ويتضح أن كل هذه المواضيع هي مجرد أفكار يمكن التلهي بها ما دامت لن تؤدي إلى خسارة كبيرة لأحد. لقد كان الطرفان يستخدمان بعضهما بعضاً للحصول على الأموال، وتقصي المعلومات، وصيانة العلاقات، لكنهما لم يكونا يفكران فعلاً في انفصال لبنان مسيحي اصغر ينضم إلى إسرائيل في عزلتها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الأفكار، وسير العلاقات الصهيونية المارونية، شكلت أساسا لمقاربة مستقبلية للساحة اللبنانية السياسية. وفي ظل هيمنة سياسة بن غوريون القائلة بالتدخل، نُظر إلى فكرة لبنان مسيحي يوقع معاهدة سلام، على أنها نتيجة منطقية لأي علاقات مارونية صهيونية، بغض النظر عن مدى ابتعادها عن واقع الحال.

لقد كانت ادارة مثل هذه العلاقات تجري على أساس فرضيات واقعية، لكنها كانت، في الوقت نفسه، علاقات يربطها صانعو القرارات، مثل بن غوريون ودايان، بأهداف غير واقعية. وكانت العمليات السرية، كما كان يروج لها بن غوريون، تتخذ شكل اجتماعات سرية ودخول غير مباشر إلى السياسة اللبنانية عبر تمويل الصلات السياسية. وكان إبقاء الاتصالات على مستوى غير رسمي الطريقة الواقعية الوحيدة لإقامة أي نوع من العلاقات، فقد كان على الحكومة اللبنانية أن تحافظ على موقف معاد لإسرائيل أمام رعاياها المسلمين، وأمام العالم العربي. فعزلة إسرائيل جعلت من المستحيل على أي دولة شرق أوسطية أن تتقرب منها أو أن تستجيب علانية لأي عرض إسرائيلي. وبالتالي، فإن الاتصالات كلها كانت تجري مع شخصيات لبنانية سياسية أو دينية بصفتها ممثلة لأحزابها أو طوائفها، وليس على الإطلاق، بصفتها شخصيات ذات صفة حكومية. وكان ينبغي لهذا الأمر أن يوضح أن مثل هذه الصلات السرية لا يمكن أن تقود إلى معاهدة سلام بين حكومتي لبنان وإسرائيل.

وكانت تقويمات وزارة الخارجية، ومجتمع الاستخبارات، والمؤسسة



العسكرية تشك في إمكانية التعويل على الكتائب لتنفيذ أي مخطط من مخططاتها السياسية والعسكرية الطموحة. ولاحظ مسؤولون إسرائيليون، منخرطون مباشرة في التعاطي مع الموارنة، طابع العلاقة الملزم لطرف واحد. وبالفعل فقد شدد مسؤولون في وزارة الخارجية على أنهم في الوقت الذي لا يزالون ينظرون إلى الموارنة على أنهم حلفاء محتملون، كانوا أيضا يدركون أن لبنان سمح باستخدام أراضيه في حرب ١٩٤٨، فضلاً عن أن هناك فئة من الموارنة متحالفة مع القومية العربية والفكر العروبي[٨٤].

ولكن على الرغم من أن هذا يعكس الحقيقة بدقة، فإنه يمكننا القول إن بن غوريون لم ينظر إلى الموارنة بهذه الطريقة. وبالفعل، فإنه من خلال النظر بعمق أكثر في المدركات التي كانت سائدة بين صانعي القرار في إسرائيل، في كل من وزارة الخارجية والدوائر الأمنية، يمكننا أن نتبيّن الأخطاء التي كان لها صلة مباشرة بمستقبل العلاقات الإسرائيلية المارونية. فالفكرة المغلوطة الأولى كانت ترتكز على تاريخ لبنان السياسي في الثلاثينات والاربعينات. فقد نظر إسرائيليون كثيرون إلى الموارنة على أنهم فئة قوية وجزء من الحكومة. أما الفكرة المغلوطة الثانية فكانت أن بعض الإسرائيليين نظروا إلى الموارنة على أنهم طائفة متماسكة، ولم يعيروا الاهتمام الكافي إلى الصراعات المارونية المارونية، والى الانقسام الذي أشير إليه سابقاً. والفكرة المغلوطة الثالثة كانت الاعتقاد أن فئة إده ـ الكنيسة ـ البطريرك كان يمكن لها أن تفوز على المدى الطويل. وأخيرا، كانت الفكرة المغلوطة الرابعة وهي أنهم شركاء يمكن التعويل عليهم[٨٥].

ويعقوب شيموني، الذي كان متورطا مباشرة مع الموارنة من العام ١٩٤٧ حتى العام ١٩٤٩، بتكليف من وزارة الخارجية، يفكر ملياً في إمكانية الركون إليهم فيقول:

> هذا هو الشرق الأوسط حيث لا يمكنك أن تعتمد على أحد بالكامل، ولا حتى على أفضل أصدقائك، ما عدا شخصيات فذة.

(٨٤) مقابلة مع يعقوب شيموني، القدس ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.
(٨٥) المصدر نفسه.

لنقل أن رجالاً مثل مبارك يمكن الوثوق بهم والاتكال عليهم. فهو قد قاتل من أجل موقفه وأصر على مقامه، وهو لم يخن موقفه. لكن يجب أن يبقى في البال أنه لا يمكن الوثوق به كليا بحسبما ظهر عندما اصبح هذا الاتفاق المكتوب، فيما بعد، ويوم اضطر البطريرك إلى نفي وجوده، قطعة من الورق لا قيمة لها.

ولا أدري إذا كان هذا الأمر دائماً نصب أعيننا. وهو بالتأكيد لم يكن نصب أعين من خلفونا في العام ١٩٨٢ والذين ظنوا أنه يمكنهم الاتكال على حلفائهم اللبنانيين[٨٦].

وإذا تركنا جانباً كل الأفكار المغلوطة نجد أن التقويمات ذات الطابع التحذيري لم تؤثر إلا قليلاً على بن غوريون الذي دعا إلى موقف يقول بأقصى أشكال التدخل، معتقدا أن إقامة دولة مسيحية في لبنان كانت ممكنة. وقد تغلغلت أفكاره في المؤسسة السياسية والعسكرية برمتها. فالنقاش المستمر بين بن غوريون وشاريت من جهة، وبين مؤيدي كل واحد منهما من جهة أخرى، إنما يثبت أن التقويمات الدقيقة لموقف اللبنانيين المسيحيين السياسي ودوافعهم للبحث عن الدعم الإسرائيلي لم تكن تؤخذ دوما في الحسبان في صنع السياسة. وواقع أن سياسة اليشوف تجاه لبنان (وإسرائيل فيما بعد) لم تضر كثيرا بإسرائيل، إنما مرده إلى حقيقة أن إسرائيل لم يكن لديها الكثير لتخسره بمجرد تمويل حملة انتخابية أو الاجتماع مع شخصيات لبنانية.

إن الاختبار الحاسم لتأثير أفكار بن غوريون على الحكومة الإسرائيلية، والجدية المشتركة للتعاون اللبناني الإسرائيلي، كان يمكن أن يحصل لو أن العراق اجتاح سوريا فأعطى إسرائيل سببا لتنفيذ مخططات بن غوريون لنموذج سياسي جديد في الشرق الأوسط. وبما أن ذلك لم يحصل، فإن الموضوع متروك لتكهنات عديدة. إلا أن ما أصبح واضحا هو أن التدخل العسكري المباشر، انتصاراً لطرف حليف، كان موضوع تفكير إسرائيل الجدي في أوائل وأواسط الخمسينات، علاوة على تفكيرها الجدي بالتأثير على سياسات الدول المجاورة، والتحكّم بها سراً.

(٨٦) المصدر نفسه.



# ٣ الحرب الأهلية اللبنانية الأولى

إن الاضطرابات المستمرة في الجزء العربي من الشرق الأوسط عززت وضع إسرائيل كعامل استقرار اقليمي يمكن التعويل عليه. ففي فورة بحر الاضطرابات بين العرب، برزت إسرائيل مثل منارة على صخرة ثابتة، منقذة عددا لا يستهان به من الحكومات العربية من الانهيار[١].

وفي أواخر الخمسينات، ارتكزت سياسة إسرائيل الخارجية على الاقتناع بأن إسرائيل يمكنها أن تحقق أهدافها الإقليمية والسياسية الحيوية فقط عن طريق الاستخدام الناجح للقوة في علاقاتها الدولية[٢]. وبعبارات أخرى، فإن إسرائيل استخدمت أعمالاً عسكرية، مثل التدخل، كوسيلة لتحقيق الهيمنة. وطبقا لذلك، سعى رئيس الوزراء بن غوريون إلى ضمان أمن إسرائيل عبر الأدوات التقليدية من تسليح وتحالفات. وقد دعا أيضاً إلى تبني مبدأ المحيط الذي يمكن لإسرائيل من خلاله أن تقيم صلات غير رسمية مع دول غير عربية تكون لها مصلحة مشتركة مع إسرائيل وذلك بالطريقة نفسها التي استخدمت فيها مفهوم تحالف الأقليات لعقد صلة بأقليات لها مصالح مشتركة معها. وفي الواقع، يمكن النظر الى مبدأ المحيط وتحالف الأقليات على أنهما دليل على تفكير إسرائيل بالأطراف المحيطة بالمنطقة، وشكل من أشكال التدخل الإسرائيلي.

(١) Rafael, *Destination Peace*, p.124.

(٢) Samuel Roberts, *Survival or Hegemony? The Foundation of Israeli Foreign Policy* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1973), p.107.

وكان السبب الذي جمع بين إسرائيل وحلف بغداد، وحلف شمال الأطلسي، ومؤيدي مبدأ ايزنهاور، بروز جمال عبد الناصر. كان ناصر واحدا من الضباط الأحرار الذين خلعوا الملك فاروق عن العرش بانقلاب عسكري في مصر عام ١٩٥٢. فقد استولى الضباط الأحرار على السلطة في مصر، التي هي جار مباشر لإسرائيل وباشروا عندها عملية بناء الأمة. وبعد مرور وقت قليل على الانقلاب، اصبح عبد الناصر رئيسا للجمهورية الجديدة، مناضلاً في سبيل الوحدة العربية، مروّجاً في الوقت نفسه، لسياسة مناهضة بشدة للغرب ومن ثم لسياسة خارجية معادية للصهيونية مع حلول العام ١٩٥٥. وقد أدى انتهاج هذه السياسة إلى الوحدة مع سوريا في العام ١٩٥٨ باسم الجمهورية العربية المتحدة. لكن الأهم، أنه أدى، إلى ائتلاف قوي مناهض للناصرية بين دول الشرق الأوسط ذات التوجه الغربي وإلى «تحالف الضرورة» بين إسرائيل والولايات المتحدة. وبالفعل، وبعد العام ١٩٥٦، كثفت تركيا، وهي أول دولة مسلمة تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، تعاونها معها على أثر اجتماع غير معلن عنه بين رئيسي حكومتي البلدين[٣]. وكان الصراع الناشئ بين الأطراف الموالية للغرب وتلك المعادية له قد آتى ثماره في الأزمة اللبنانية في العام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨. فتورط اطراف خارجيين عن النزاع في السياسات اللبنانية الداخلية لم يؤد إلى تفكك لبنان ودخوله في الحرب الأهلية، فحسب، بل جدد أيضا الاهتمام بالتحالف الإسرائيلي الماروني.

## تأثير حملة سيناء

لا يمكن نكران الدور المحوري لبن غوريون في صنع قرارات السياسة الخارجية لإسرائيل. ولهذا فمن الضروري النظر ملياً في مقاربته للشرق الأوسط الهادفة إلى الهيمنة، كما تنعكس في أزمة السويس عام ١٩٥٦. فخطط إسرائيل واستراتيجيتها، تثبت أكثر من عملية تطبيقها الفعلي، أهميتها الشديدة لفهم سياسة بن غوريون اللبنانية في الفترة عينها. وفي الواقع يمكن

(٣) Rafael, *Destination Peace*, p.124.



النظر إلى أزمة السويس وحملة إسرائيل في سيناء على أنهما نتيجة مباشرة، وإن من زاوية مختلفة، لسياسة بن غوريون اللبنانية السابقة.

لقد كان ينظر إلى لبنان على أنه مفتاح التغيير في خريطة الشرق الأوسط الجغرافية الاستراتيجية. إلا أن سياسة لبنان الداخلية من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٥٥، لم تعط مبرراً لتدخل إسرائيلي مكشوف. فقد أثيرت مراراً فكرة مثل هذا التدخل العسكري لكنها في النهاية باتت مشروطة بتوافر ذريعة خارجية للحرب، مثل اجتياح عراقي لسوريا في العام ١٩٥٤. وبالطبع، فإن الاجتياح العراقي لم يتم قط، وبالتالي، لم تتدخل إسرائيل في لبنان لفرض نظام جديد في الشرق الأوسط. لكن عبد الناصر في العام ١٩٥٦، قدم لإسرائيل ذريعة الحرب المطلوبة كي تقوم بتطبيق مخطط بن غوريون التدخلي. وهكذا لم يكن لبنان، بل كانت مصر الباعث على إعادة بناء النظام السياسي القائم لما فيه مصلحة إسرائيل.

كانت حملة سيناء في العام ١٩٥٦، بخلاف التورط البريطاني والفرنسي في ازمة السويس، حربا توقعتها إسرائيل وبالتالي خططت لها. وبالفعل، فإن مذكرات بن غوريون تكشف أنه لم يتوقع حرباً مع مصر، فحسب، بل قام أيضاً بالتحضير لها بشكل منظم[٤]. لقد كان رداً أمنياً آنياً على عدد من المسائل: الشكوى الإسرائيلية من التعرض المصري للملاحة الإسرائيلية، وإرسال مصر الفدائيين عبر الحدود، وأخيراً وليس آخراً، صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية ـ المصرية في العام ١٩٥٥. فقد اعتبرت هذه الصفقة بالذات تهديداً لمصالح إسرائيل الأمنية عبر إدخال كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة إلى المنطقة، وبروز القوة السوفياتية فيها، وهي قوة اعتبرت خطرة ومعادية لإسرائيل[٥]. لقد تصورت إسرائيل، ربما لوسواس جنوني ولكن يمكن تفهمه، أن بقاءها نفسه مهدد من دول عربية مجاورة معادية يقودها العدو

(٤) انظر: Moshe Shemesh and Selwyn Ilan Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956: Retrospective and Reappraisal* (London: Frank Cass, 1990), p.181.

(٥) المصدر نفسه.

اللدود ناصر أو يتحمل قدراً كبيراً من مسؤولية تحريضها[٦]. وكان بن غوريون يعتقد أن ناصر، وقد أصبح يمتلك السلاح، سيقوم بمهاجمة إسرائيل. لقد اصبح عبد الناصر في مخيلة بن غوريون السياسية، قائدا خطرا، بصفة خاصة، يحمل طموحات وميولا ربطها بن غوريون بهتلر[٧].

وهناك ملاحظة جانبية قيّمة وجديرة بالاهتمام بالنسبة إلى حملة سيناء الإسرائيلية وهي أن بن غوريون رتب عودته إلى السلطة لأنه لم يكن مقتنعا بأن خليفته موشي شاريت سيتعامل بفعالية مع التهديد الذي أثارته صفقة الأسلحة التشيكية. وهكذا أصبح بن غوريون مرة أخرى وزيرا للدفاع في شباط/فبراير ١٩٥٥. ففي مذكراته، في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦، كتب بن غوريون أنه «حتى حملة سيناء كان الأمن ـ بعدما سلحت مصر نفسها بهدف تدميرنا ـ يشكل همنا الأساسي. ولم يفهم موشي أن على سياستنا الخارجية أن تخدم حاجاتنا الدفاعية»[٨].

لقد اعتبر بن غوريون أن شاريت، الذي طالما حث على ضبط النفس عسكريا معطيا الأفضلية للتفاوض، يشكل عائقاً في وجه الإجراءات الانتقامية والاستعدادات للضربات الوقائية[٩]. كما اعتقد أن شاريت، بالفعل، أصبح عائقا في وجه سياسات الأمن التي تحتاج إليها إسرائيل، وبالتالي يجب إبداله بشخص أكثر قدرة. وعلى الرغم من ذلك، فقد لزم بن غوريون بعض الوقت لاتخاذ قراره النهائي بالذهاب إلى الحرب. لكن بمجرد اتخاذ القرار لم يكن هناك من هو أكثر منه قدرة على قيادة هذه الحرب الوقائية التي لم تكن أقل من حرب اختيارية.

كان بن غوريون يفترض أن إسرائيل ستحارب لوحدها. وكانت المساعدة

(٦) William Roger Louis and Roger Owen (eds), *Suez 1956: The Crisis and its Consequences* (Oxford: Clarendon Paperbacks, 1989), p.358.

(٧) Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.188.

(٨) مقتطفات من مذكرات بن غوريون، ١٤ كانون الأول ١٩٥٦، كما وردت في Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.183.

(٩) Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.184. See also Rafael, *Destination Peace*, p.55.



الإضافية من فرنسا وبريطانيا نتيجة غير متوقعة لقيام ناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦. ومع ذلك، فإن دخول هاتين القوتين الأوروبيتين الرئيسيتين ضَمِنَ نجاح استراتيجية بن غوريون الكبرى. ووفق حساباته، فهو لن يحصل على دعمهما، فحسب، بل أيضا على دعم الولايات المتحدة التي ستقف خلفهما[١٠].

وكان لحملة سيناء أهداف أبعد كثيراً من إزالة التهديد الأمني الآني. فقد كان على التطبيق الناجح للمخططات كافة، أن يؤدي إلى تحسين في وضع أمن اسرائيل الأساسي من خلال عمل يفرضه ظرف قاهر. وكان لهذه الاستراتيجية الكبرى أن تؤدي إلى شرق أوسط مؤيد للغرب، وإلى إعادة بناء المنطقة في شكل أكثر مؤاتاة لإسرائيل. وكان لبنان مرة أخرى هو الذي قدم المفتاح لهذه الاستراتيجية الكبرى.

وليس هناك ما يكشف بوضوح عن مسعى بن غوريون إلى بسط هيمنة إسرائيل على المنطقة أكثر في يومياته الخاصة. فقد كتب في ١٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦: «لقد أجملت مخططي للشرق الأوسط. المخطط العام هو: إطاحة ناصر، تقسيم الأردن ـ الجزء الشرقي للعراق ـ بحيث يصنع سلاما مع إسرائيل، ما يمكن اللاجئين من الاستيطان هناك بمساعدة مالية أميركية، تقليص حدود لبنان فيصبح دولة مسيحية»[١١]. هذه الدولة المسيحية سوف تصبح، بالطبع، أوثق حلفاء إسرائيل. وفي ٢٢ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦، وصف مخططاته في شأن لبنان بأنها «شق الأراضي اللبنانية من أجل إقامة دولة مسيحية، وضم جزء إلى سوريا، وجزء إلينا يصل حتى حدود الليطاني»[١٢].

ويبدو أن الاجتياح المقترح للبنان وما يليه من إعادة بناء للدولة اللبنانية

(١٠) Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.191.

(١١) مقتطفات من مذكرات بن غوريون، ١٩ تشرين الأول ١٩٥٦، كما وردت في Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.305.

(١٢) مقتطفات من مذكرات بن غوريون، ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٦، كما وردت في Shemesh and Troen, *The Suez-Sinai Crisis 1956*, p.306.

والدول المجاورة أيضاً، ليس إلا إعادة إحياء لمخطط بن غوريون السابق في العام ١٩٥٤. لقد كان مدونا كخطة من الخطط قبل دخول بريطانيا وفرنسا الحرب ضد ناصر. والواقع أنه في خريف ١٩٥٥، حصل نقاش جدي في إسرائيل حول وجوب أو عدم وجوب شن «حرب وقائية» على مصر قبل أن تتمكن من استيعاب الكميات المثيرة من الأسلحة التي حصلت عليها للتو من الاتحاد السوفياتي، وقبل أن تصبح الضربة المصرية الأولى ممكنة ومحتملة(١٣).

وبعد وقت ليس بطويل، اي في كانون الثاني/يناير ١٩٥٦، جرى تسريب المخططات الإسرائيلية، مع بعض التعديلات، إلى اللبنانيين. فقد قام مراسل إسرائيلي، لم يذكر اسمه، بإبلاغ العقيد فؤاد لحود، الذي اجتمع في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥ مع ضباط من الجيش وممثلين سياسيين إسرائيليين، أن:

> إسرائيل تدرك أنها لا تستطيع أن تأمل بوجود دائم في العالم العربي ما لم تصبح مقبولة من العرب في نهاية المطاف. وأنه مع ازدياد الفعالية القتالية لمصر، تصبح فرص إسرائيل أقل. لهذا ومن الضروري أن تتحرك ما دامت هي في موقع المتفوق. وبما أن مصر هي الدولة الوحيدة التي تهدد أمنها، فإن هجوما على مصر يبدو عملا منطقيا. وبعد، ما هو العمل الحاسم الذي يمكن لإسرائيل أن تنفذه ضد مصر؟ فاحتلال سيناء لن يثمر شيئا، بينما احتلال السويس سيورط البريطانيين، لكن مصر ستبقى موجودة. وأي هجوم على الأردن سيورط البريطانيين أيضاً، بينما أي هجوم على سوريا سيورط المصريين.
>
> إن أكثر ما يمكن أن تأمل به إسرائيل من محاربة مصر، والأردن، وسوريا هو كسب مساحات ضئيلة من الأراضي وازدياد في العداوة العربية، واستراحة لبضع سنوات قبل أن يكون علينا خوض حرب أخرى.
>
> وللوصول بالمنطقة إلى سلام دائم، فإن هجوماً على لبنان يقدم فرصاً لتحقيق أعظم النتائج. فالجيش الإسرائيلي، بعد حملة قصيرة، يستطيع أن يحتل بيروت، ويضمن عنصر المفاجأة كاملاً، في حين أن احتمال التدخل

(١٣) Louis and Owen, *Suez 1956*, p. 147.



> العربي احتمال ضئيل. أما الدول الغربية فستتدخل لحماية نفطها. وما إن تصبح القوى الغربية متورطة في المنطقة، فإنها ستملي شروط السلام التي سيضطر العرب إلى قبولها. وهكذا، ولقاء قوة بشرية قليلة العدد جداً، ستحصل إسرائيل على سلام مفروض وضمانة لموقعها في الشرق الأوسط(١٤).

تثير هذه الصيغة لمخططات إسرائيل عدة اسئلة، أولها، لماذا جرى إطلاع اللبنانيين على خطط إسرائيل، هل يمكن أن يكون الأمر إشارة من إسرائيل إلى اللبنانيين، وبخاصة الموارنة، على وجوب تطبيق خططهم السابقة لثورة مسيحية أخيراً؟ هل كان ذلك لاختبار ردة فعل اللبنانيين على فكرة أنه سيتم اجتياحهم؟ وإذا كان الأمر كذلك، يبدو أنه لم يكن هناك من ردة فعل سوى القبول الطوعي. كما أن المعلومات التي حصل عليها اللبنانيون كانت قد نُقلت إلى السفارات الأميركية والبريطانية والفرنسية(١٥). فهل كانت هذه طريقة لاختبار ردات الفعل الغربية على مخطط حملة سيناء أو على الحرب الوقائية بشكل عام؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن الأميركيين كانوا غافلين كليا عن مخططات إسرائيل. لقد فوجئوا كلياً بالهجوم الثلاثي على مصر. والواقع أن الولايات المتحدة كانت تخطط، في الوقت نفسه، تقريباً، لقلب النظام السوري، وقد ألغى المنفذون السوريون العملية بعدما أحرجتهم حملة سيناء(١٦).

ويترك تورط فؤاد لحود، الضابط الماروني في الجيش اللبناني، مجالاً واسعاً للتكهنات، لأنه سبق أن اتصل بالإسرائيليين في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥، طالباً مقابلة ممثلين إسرائيليين، ووافقت وزارة الخارجية في القدس

(١٤) نقل المقدم فؤاد لحود هذه المعلومات إلى الملحق العسكري الأميركي، واكدها في وقت لاحق المقدم توفيق سالم. انظر DA Intelligence Report R-37-56, 26 January 1956, R-SM RG 319, ACSI, Military Intelligence G-2, NARA.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) Wilbur Crane Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East* (New York: W.W. Norton & Company, 1980), pp.226-7.

على مثل هذا الاجتماع، وأرسلت موفداً سياسياً غير معروف مع رئيس الاستخبارات العسكرية يوفال نيئمان[١٧]. ولا يزال مضمون هذا الاجتماع طي الكتمان.

لكن من الواضح أن لبنان أدى في حملة سيناء الإسرائيلية دوراً أهم مما اعتُرف له به. وبالفعل، كما يشدد تصريح لحود، فإن هجوما على مصر لن يحقق الكثير. وكان يجب إدراج مخطط لبنان في الهجمة، لبلوغ أهداف الهيمنة الأبعد أثراً، التي يتوخاها بن غوريون. وفي هذا السياق، كان إقدام إسرائيل على تسريب المخطط إلى اللبنانيين والبريطانيين والفرنسيين والأميركيين، خطوة تخدم غرضها بطريقة أو بأخرى. ويمكن الافتراض، علاوة على ذلك، وفي ضوء الصلات السابقة للإسرائيليين مع لحود، أن المعلومات عن الهجوم الوشيك سترسل بالضبط إلى الأشخاص المقصود أن تصلهم، أي الموارنة الذين في مواقع السلطة والسفراء الأجانب.

وعندما بدأت إسرائيل حملتها في سيناء في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦، وانجرفت بعيدا في سكرة انتصاراتها العسكرية العظيمة، أعلن بن غوريون من على منبر الكنيست استعادة ارث الملك سليمان من جزيرة جفاطة في الجنوب إلى سفوح لبنان في الشمال[١٨]. لكن تطبيق الاستراتيجية الكبرى سقط ضحية افتراضات بن غوريون المسبقة التي فشلت في أن تتحول إلى حقيقة. فالأميركيون لم يتدخلوا لدعم العملية البريطانية الفرنسية الإسرائيلية ضد ناصر. بل على العكس، فقد تدخلوا، بنجاح، لوقف ما رأوا فيه احتمالا لنشوب حرب غربية ـ سوفياتية[١٩]. وهكذا، فإن مخططات بن غوريون لإعادة تركيب الشرق الأوسط عبر التدخل الإسرائيلي قد جمدت مرة أخرى.

---

(١٧) من رفايل إلى موشي ساسون، ٢٥ كانون الأول ١٩٥٥ FM 2454/12, ISA.

(١٨) Rafael, *Destination Peace*, p.62.

(١٩) المصدر نفسه.



## الانتخابات البرلمانية اللبنانية في العام ١٩٥٧

برزت إسرائيل بنتيجة أزمة السويس في العام ١٩٥٦ قوة عسكرية رئيسية في المنطقة[٢٠]. لكن لبنان كان قد أصبح أكثر ضعفا على الصعيدين الداخلي والإقليمي. فرفضه قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وانكلترا أصبح مصدرا لمعارضة داخلية وعربية تهدد بتفككه السياسي. هذه المكانة الجديدة بالنسبة إلى الدولتين، أي إسرائيل أقوى ولبنان الضعيف المشرع أمام التدخلات الخارجية، اصبحت مهمة جداً لمزيد من العلاقات الإسرائيلية المارونية. فإسرائيل اصبحت تمتلك القوة للتدخل عسكرياً لحساب حليفها، والوضع في لبنان قدم لإسرائيل الفرصة، بل تقريباً الدعوة، للقيام بذلك. ولهذا فمن المهم إلقاء نظرة عميقة إلى كيفية بروز هذا الفراغ في السلطة منذ العام ١٩٥٧ فصاعداً، وكيفية انجرار إسرائيل بازدياد نحو التدخل المباشر.

قبل السويس، كان الرئيس اللبناني كميل شمعون قد تمكن من إقامة علاقات ودية مع كل الأطراف. فقد رفض الانضمام إلى حلف بغداد في الوقت الذي أبقى على علاقات جيدة مع القوى الغربية. ورفض مرتين اقتراحات قدمها الأتراك في العام ١٩٥٥ للانضمام إلى التحالف[٢١]. لكن على أثر أزمة السويس، فإن شمعون، الذي كان يسير في سياسة خارجية ميالة إلى الغرب، وجد نفسه على أرض مهتزة حيث إنه قاوم ضغوطا عربية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا بعد الهجوم على مصر[٢٢]. كما أن رئيس الحكومة عبدالله اليافي قدم استقالته عندما رفض شمعون أن يقطع العلاقات الدبلوماسية[٢٣]. وأخذ التحدي الذي يشكله عناصر القوميين العرب المؤيدين لناصر في الساحة السياسية اللبنانية يشكل مصدراً متزايداً

---

(٢٠) Louis and Owen, *Suez 1956*, p.347.

(٢١) كارولين عطية، «الرئيس شمعون وأزمة ١٩٥٨»، نص دراسة قُدمت في مؤتمر حول أزمة ١٩٥٨، عُقد في تكساس، أيلول ١٩٩٢، ص١٤.

(٢٢) Helena Cobban, *The Making of Modern Lebanon* (London: Hutchinson 1985), p.84.

(٢٣) *Marines in Lebanon 1958*, History and Museums Division, Headquarters, US Marine Corps, 1983.

للقلق، وبدأ الدعم السوري والمصري لهؤلاء العناصر يبرز كتهديد حقيقي لسيادة لبنان.

وإبان أزمة السويس، حشدت سوريا قوات مسلحة على طول الحدود مع لبنان، ودخلت في الواقع الأراضي اللبنانية في بعض الأماكن. فمنذ العام ١٩٥٦ فصاعداً، كان الجيش اللبناني يملك إثباتات أن سوريا كانت ترسل المال والسلاح للعشائر اللبنانية على طول الحدود السورية، ساعية إلى إقناع هذه العشائر برفع عريضة إلى الحكومة السورية تطالبها فيها بإدراج مناطقهم ضمن الحدود السورية. وتبين، بالإضافة إلى ذلك، أن سوريا قد رشت صحفا لبنانية وسياسيين ، كما حرضت ورشت أشخاصاً لخلق اضطرابات أهلية في لبنان[٢٤]. وفي مواجهة خطر الغرق في البحر القومي العربي بدلاً من البحر الإسلامي، برزت من جديد الحاجة إلى تحالف الأقليات.

لقد أصبح الرئيس شمعون غارقا في صراع نفوذ ليس فقط بالنسبة إلى منصبه الشخصي كرئيس للدولة، بل أيضاً في ما خص مستقبل لبنان السيد والمستقل. فشمعون، الذي ولد في دير القمر في جبال الشوف، العام ١٩٠٠، كان في السابق ينتمي إلى كتلة بشارة الخوري ويشدّد على اندماج لبنان في العالم العربي، لكنه تحول إلى المعارضة عام ١٩٤٩. وقام بشبه انقلاب في العام ١٩٥٢ وأصبح الرئيس الجديد للبنان. ومنذ ذلك الوقت، أصبحت سياساته معادية للناصرية وموالية للغرب. فالاستقلال بنظره كان موازيا للإبقاء على السيطرة المارونية. وقد استبدل في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦ بحكومة تسيطر عليها عناصر قومية عربية متطرفة، موالية لمصر، حكومة ثابتة في موالاتها للغرب يرأسها سامي الصلح وتضم شارل مالك وزيرا للخارجية.[٢٥] لكن هذه الخطوة لم تكن كافية لاحتواء النزعات الناصرية السائدة داخل الطائفة الإسلامية، بل إنها، مع انضمام شمعون إلى

(٢٤) Richard's Mission, Record of Meeting at the Lebanese Ministry of Defense, 15 March 1957, Box 13, RG 57, D 616, US Special Files on Lebanon, NARA.

(٢٥) معلومات سرية عن لبنان أعطيت لأعضاء في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأميركي المتوجهين إلى الشرق الأدنى، غير مؤرخة، Box 5, RG 59, Lot 59 D 582 (US Special Files on Lebanon), NARA



مبدأ أيزنهاور، أدت إلى مزيد من الانقسام في البلاد على أسس سياسية، وبالطبع، على خطوط طائفية.

ضمن هذا السياق اعتُبرت الانتخابات النيابية اللبنانية في حزيران/يونيو ١٩٥٧ كاستفتاء على السياسة الخارجية[٢٦]. فالفئات السياسية المعارضة كانت تدعم شمعون ومعه الصلح ضد الجبهة الوطنية اللبنانية الموالية لمصر بزعامة رئيس الوزراء السابق عبدالله اليافي. أضف إلى ذلك أن شمعون اعتبر الانتخابات امتحانا لإمكانية تعديل الدستور، العمل الذي سوف يكون مآله ضمان لبنان مؤيداً للغرب، مستقلا وذا سيطرة مسيحية[٢٧]. وقد خطط لتعديل الدستور بغية تجديد ولايته كرئيس للجمهورية، فاعتبرت المعارضة أن مثل هذا التعديل غير قانوني، ولهذا لم يكن من المفاجئ أن تنفجر أعمال الشغب في بيروت قبيل الانتخابات، في ٣٠ أيار/مايو ١٩٥٧[٢٨].

وكان قائد الجيش فؤاد شهاب قد تنبأ بأن الأغلبية التي يطمح شمعون للحصول عليها تخل بالميزان الدقيق بين المسلمين والمسيحيين: «فالمسلمون، وبغض النظر عن شعورهم الحقيقي، ستضطرهم التطورات الحاصلة إلى موقف معاد للغرب والدخول في المعسكر المصري السوري»[٢٩]. لكن شمعون أغفل هذا التخوف، خصوصا بعدما وفرت الانتخابات النيابية له الدعم اللازم. وبدت تنبوءات شهاب كأن لا أساس لها في الواقع عندما جرت المرحلة الثانية من الانتخابات وفاز معارضو الناصرية فوزا ساحقا بحصولهم على ١٩ مقعدا من أصل عشرين[٣٠]. إلا أن هذه النتائج دفعت المعارضة إلى اتهام

(٢٦) عطية، «الرئيس شمعون وأزمة ١٩٥٨»، ص٩.

(٢٧) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, Central Intelligence Agency, 29 May 1957, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٢٨) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 6 June 1957, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 20 June 1957, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

شمعون بالتلاعب في الانتخابات بهدف الحصول على مجلس يصوت لتجديد ولايته التي كانت ستنتهي في السنة التالية[٣١]. وكان التمويل الأميركي في الانتخابات لدعم شمعون، والتمويل المصري لدعم الناصريين[٣٢]، ومحاولات السعودية مصالحة شمعون واليافي[٣٣]، والعنف المتصاعد، قد ساهمت كلها في نقل الوضع الى خارج السيطرة اللبنانية.

وهكذا فقد تحولت الأزمة «الداخلية» بسبب محاولة شمعون التمسك بالسلطة إلى أزمة «خارجية»، وأزمة بين العرب. فدمشق اتهمت لبنان، صراحة، بتشجيع سياسة معادية للعرب. وكانت مذكرة رسمية من وزارة الخارجية السورية، تندد بلبنان على أنه امبريالي وصهيوني، قد أبلغت إلى وزير خارجية لبنان شارل مالك الذي رفض أن يتسلمها[٣٤]. كما ادعت الصحافة البعثية أن «لمالك علاقات مع الصهاينة وأنه حرض على الهجوم البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر وقدم المأوى لعصابات إجرامية معادية للقضية العربية وشجع الولايات المتحدة على شن عدوان على سوريا»[٣٥]. لكن هذه الاتهامات، بمعظمها، كانت اتهامات باطلة باستثناء اتهام واحد وهو علاقات شارل مالك الجيدة مع مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة أبا ايبان، وهي علاقات صداقة استمرت حتى العام ١٩٨٢[٣٦].

وتحولت التهديدات السورية الكلامية إلى فعل مع الكمين الذي تعرض له درك لبنانيون قرب الحدود السورية في ١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٥٧. وقد تحول

(٣١) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.87.

(٣٢) عطية، «الرئيس شمعون وأزمة ١٩٥٨»، ص٩. انظر أيضاً Eveland, *Ropes of Sand*, p.261.

(٣٣) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 20 June 1957, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٣٤) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 19 September 1957, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) راجع Abba Eban, *Personal Witness - Israel through My Eyes* (London: Jonathan Cape, 1992), pp.210-111.



الكثيرون من المرشحين في الانتخابات العامة، الذين فشلوا في الفوز بمقعد في البرلمان، إلى ثوار. وها هم يحاولون الوصول إلى السلطة عن طريق الثورة[٣٧]. وكان رد شمعون طلب المساعدة من الجيش الأميركي وفقا لمبدأ أيزنهاور.

## الاتجاه نحو الحرب الأهلية

مع بداية العام ١٩٥٨، اصبح أمن لبنان مهددا بصورة خطيرة. فقد بدأت مصر وسوريا حملة إرهاب كان يخشى أن تؤدي إلى قلب الحكم. وهددت المعارضة اللبنانية بحرب أهلية إذا حاول شمعون تجديد ولايته[٣٨]. عندها استقالت الحكومة اللبنانية في ١٢ آذار/مارس ١٩٥٨.

ومع حلول أيار/مايو، كان الزعماء الموالون للغرب في الشرق الأوسط يدعمون شمعون وقد رأوا فيه رمزا لعدائهم المشترك لناصر، فصاروا يزودون قوات شمعون بالسلاح والدعم المالي من خارج البلاد[٣٩]. وكان القتال في لبنان، بين مؤيدي الوضع القائم والمتمردين الذين نزلوا إلى الشارع بعد اغتيال رئيس تحرير صحيفة بيروتية يمولها السوفيات في الثامن من أيار/مايو ١٩٥٨، حرباً أهلية بكل ما في الكلمة من معنى، باستثناء الاسم. وكانت الهوة بين الطرفين قد اتسعت إلى حد أن الشمال ذا الغالبية السنية المسلمة أعلن انفصاله عن لبنان طالبا الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة[٤٠]. وقد أصبحت حقيقة من حقائق الحياة اليومية أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تروج للمعارضة وتزودها بالسلاح خفية. وكان لبنانيون دروز يتدربون في

(٣٧) مقابلة مع شارل مالك في برنامج Face the Nation( في محطة CBS) التلفزيونية الأميركية في ٢٩ حزيران ١٩٥٨. نص هذه المقابلة موجود في ملفات وزارة الخارجية الإسرائيلية FM 3110/5, ISA.

(٣٨) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 6 March 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٣٩) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 8 May 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٤٠) US State Department Telegram 2922, 13 May 1958, Box 1, Rg 59, Lot 56 D 600 (US Special Files on Lebanon) NARA.

معسكرات في سوريا بينما تم اعتراض مراكب صغيرة محملة بالسلاح والمقاتلين الفلسطينيين من غزة[٤١].

لقد فشلت كل الجهود لإيجاد حل سياسي. فَسَعِي شمعون إلى تقوية سلطاته بدا كأنه تقليص لسلطة منصب رئيس الحكومة السني، ولنفوذ الفئات غير المسيحية بشكل عام، ما جعل المعارضة، تطالب شمعون بالاستقالة الفورية. كما أن رفضه التعهد علناً بالامتناع عن جرّ البرلمان إلى تعديل الدستور، سرّع في تحول الفئات المعارضة إلى الكفاح المسلح[٤٢]. فقد سيطر على الأرياف ما يقدر بنحو ثمانية آلاف متمرد. وبينما كان لبنان يتهم الجمهورية العربية المتحدة في مجلس الأمن الدولي في الأمم المتحدة بالتدخل، كان اللواء فؤاد شهاب يرفض اقحام الجيش اللبناني لأنه لم يكن يريد للصراع أن يتحول إلى صراع مسيحي - مسلم[٤٣].

ومع حلول حزيران/يونيو، كان عدد المتمردين قد ارتفع إلى أحد عشر ألفا من دون تعداد التعزيزات الخارجية. وكان هذا أكثر من برهان كاف لدعم رأي الحكومة بأن الصراع ما هو إلا محاولة من الجمهورية العربية المتحدة للاستيلاء على لبنان: «إن الحكومة لا تواجه متمردين. إنها تواجه متسللين بضغط من الخارج مع عملاء يجري توجيههم من الخارج»[٤٤]. وأعلن وزير الخارجية السورية، كأنما يعزز هذا الرأي، أنه مصمم على إبقاء القتال جارياً، وسيستمر في إرسال التعزيزات إلى لبنان. وقد جندت سوريا لهذا الغرض عددا من المواطنين اللبنانيين الذين كانوا يعملون في الكويت، فنقلتهم إلى دمشق، ودربتهم على حرب العصابات تمهيدا لإرسالهم إلى لبنان[٤٥]. ومثل

(٤١) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 15 May 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٤٢) Hudson, *The Precarious Republic*, p.108.

(٤٣) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 29 May 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٤٤) مقابلة مع شارل مالك في نشرة أخبار CBS( وبرنامج Face the Nation)، في ٢٩ حزيران ١٩٥٨.

(٤٥) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 5 June 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.



هذه التطورات لم تشكل تهديدا للبنان، فحسب، بل انتجت شعورا بالقلق لدى صانعي القرار في إسرائيل الذين كانوا يبحثون عن سبيل لمساعدة اصدقائهم الموارنة دون تعريضهم لمزيد من الخطر.

وفي غياب تورط الجيش اللبناني، شُكّلت الميليشيات لحماية المصالح المسيحية بشكل خاص. وكان معظم هذه الميليشيات قد انضوى تحت لواء الكتائب. وهكذا اتخذ الصراع طابعا طائفيا إضافة إلى الانقسام الحاصل بين الفئات المؤيدة للغرب والأخرى المؤيدة لناصر.

عند هذا الحد، بدأ مؤيدو الحكومة يدركون أن الطريقة الوحيدة الممكنة للإبقاء على الوضع القائم هي في تقديم مرشح جديد، لم يتلطخ بالصراع، ووقع الخيار على فؤاد شهاب. وأوضح شمعون أنه لن يترشح لولاية أخرى، لكنه طالب بضمانات غربية، معتمدا، في الواقع، على التدخل الغربي كملاذ أخير[٤٦]. كما طلب تدخلاً أميركياً بموجب مبدأ أيزنهاور، وتكلل طلبه بالنجاح هذه المرة. إذ نزلت أول مجموعة من المارينز الأميركيين على شواطئ بيروت في ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. وشرع مرشح التسوية، فؤاد شهاب، في خلافة شمعون برعاية الجنود الأميركيين[٤٧]. بعد ذلك، ازدادت مساعدة الجمهورية العربية المتحدة لقوى المعارضة لفترة وجيزة، ثم بدأت تخف بشكل دراماتيكي عندما بدأ شهاب يتفاوض مع المعارضة. وبهذا تكون الولايات المتحدة قد تدخلت بنجاح لدعم النظام القائم ووقف الاضطراب قبل أن يرفض الثوار الغرب رفضاً كلياً. لقد كان إنزال القوات الأميركية فعالاً في وضع حد للحديث عن التسوية وما يرافقها من فقدان المسيحيين لسيطرتهم، لكنه وضع أيضاً حدا لدور شمعون. فقد أطلق اللواء شهاب كمرشح جديد وانتخب ليبدأ ولايته في ايلول/سبتمبر ١٩٥٨.

(٤٦) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 10 July 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٤٧) Intervention in the Internal Affairs of a Foreign Country to Assure a Friendly Government, Lebanon File, July 1958, Marine Corps, Historical Center, Washington DC.

كان شهاب اقل مجاهرة في موالاته للغرب، وقد مارس منذ البداية سياسة عدم الدخول في تحالفات في وقت كان يقدم الدعم الكلامي للقضية العربية. كما حاول الموازنة بين هوية لبنان العربية وانتمائه إلى الغرب. وقد دبر لقاء مع المعارضة في ٢٥ آب/أغسطس ١٩٥٨، طلب فيه زعماء المعارضين رحيل شمعون الفوري الذي لم تنتهِ ولايته حتى ٢٣ أيلول/سبتمبر. وضغطوا أيضاً على انسحاب كل القوات الأجنبية[٤٨].

لكن القتال لم يتوقف. لقد كان مؤيدو المعارضة يواصلون اضراباتهم، واستمرت المناكفات الفئوية بين المتمردين. وكانت القوى الموالية لشمعون تبحث، في الوقت نفسه، عن التزود بالسلاح بنية منع شهاب من الإذعان أكثر من اللزوم لضغوط المعارضة[٤٩]. لقد شكل شهاب خيبة امل للمسيحيين في عدة نواح، لأنه، وعلى الرغم من حؤوله دون الوحدة العروبية، فإنه فشل في إلزامَ الجيش اللبناني دعم شمعون دعما كاملا[٥٠].

وفي أيلول/سبتمبر ١٩٥٨، تمكن شهاب من السيطرة على الوضع السياسي. وقام بتكليف رشيد كرامي، أحد قادة الثورة، رئاسة الحكومة المؤلفة من شخصيات سياسية ثانوية والخالية من أي مؤيدين لشمعون. وكان قد حاز أيضاً على دعم الزعيم الدرزي كمال جنبلاط والكتائب. وفي خطوة أولى باتجاه المصالحة الوطنية، قام بزيادة عدد النواب في البرلمان،لا لاستيعاب الموالين للشمعونية، فحسب، بل أيضاً لتأمين تمثيل أكثر توازناً في شكل عام[٥١]. وكانت خطوته الثانية موازنة الحصص في الوظائف الإدارية والوزارية بين المسيحيين والمسلمين. وكان المقصود بهذه الخطوة ابطال الإحساس الواسع النطاق بأن المسيحيين كانوا على درجة من القوة لا تتناسب

---

(٤٨) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 28 August 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٤٩) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 19 September 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.

(٥٠) Kamal Salibi, *Crossroads to Civil War*, 1958-1976 (London: Ithaca Press, 1976), p.2.

(٥١) Current Intelligence Weekly Summary, Office of Current Intelligence, CIA, 2 October 1958, 1958 Lebanon Crisis, CIA declassified, NARA.





مع عددهم[٥٢]. ومع ذلك، لم يتنازل عن السلطة لممثلي الشعب، بل إنه، على العكس، فقد اعتمد بشكل قوي على المكتب الثاني (الاستخبارات العسكرية) للوصول إلى اهدافه عبر سيطرة متفشية على كل المستويات[٥٣].

## المصالح الإسرائيلية في الحرب الأهلية اللبنانية

إن اهتمام إسرائيل بالأزمة الناشبة في لبنان كان نتاجاً طبيعياً لسياسة انتهجتها منذ أواسط الخمسينات، ويمكن وصفها بالتفكير على صعيد المحيط. كان هذا التفكير بالأطراف المحيطة مؤلفاً من سياستين فرعيتين: مبدأ المحيط على مستوى ما بين الدول، وتحالف الأقليات بالنسبة إلى الدول التي ليس لإسرائيل معها علاقات رسمية. وكانت سياسة المحيط هذه، التي تتعامل مع محيطين، جغرافي واثني، استمراراً لسياسة اليشوف التي تقضي الاتصال بالأقليات والقوى المعارضة في الشرق الأوسط. وهكذا، وفي الجوهر، أصبح التحالف «الطبيعي» بين اليهود والموارنة عنصرا مهما من عناصر سياسة إسرائيل الخارجية[٥٤].

أما بالنسبة إلى المحيط الجغرافي، فقد كان هدف هذا المبدأ اقامة كتلة من الدول الشرق أوسطية غير العربية ذات الصلة بإسرائيل في «مثلث» يضم تركيا وإيران في الشمال وأثيوبيا في الجنوب[٥٥]. وقد أنشئت هذه الكتلة لإبطال مفعول قوى العروبة بعامة، ومواجهة ثورة عروبية في لبنان بخاصة. وقد صاغ بن غوريون أهداف سياسته كالتالي: «إن هدفنا، ليس بالضرورة معاهدة رسمية وعلنية، بل خلق مجموعة دول، يمكنها أن تقف بثبات في وجه التوسع السوفياتي وفي وجه ناصر كوسيط لهذا التوسع، وقد تستطيع أن تنقذ استقلال لبنان»[٥٦].

---

(٥٢) Hudson, *The Precarious Republic*, p.23.

(٥٣) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.96.

(٥٤) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.363.

(٥٥) Michael Bar Zohar, 'Ben Gurion and the Policy of the Periphery', in Rabinovich and Reinharz (eds.) *Israel in the Middle East*, p.167.

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٦٨.

وكان لمبدأ المحيط مهمة إضافية، لا تقل أهمية، تهدف الى خلق صورة في المنطقة وفي العالم بأسره، بأن الشرق الأوسط ليس عربياً حصراً ولا حتى إسلاميا، بل هو بالأحرى، منطقة متعددة الاديان، والإثنيات، والثقافات، والقوميات(٥٧). وكتب بن غوريون نفسه «إن الشرق الأوسط ليس منطقة عربية حصراً، بل على العكس من ذلك، فإن غالبية سكانه ليسوا من العرب»(٥٨). فالشعوب غير العربية، ذات الأهمية الحيوية، هم الأتراك والفرس. كما أن الأقليات غير العربية في الدول العربية، مثل اليهود والأكراد والموارنة، فقد كانت تتمتع بالأهمية نفسها. وهاتان المجموعتان معاً كانتا تتفوقان من حيث الأهمية على الشرق الأوسط العربي. والصلات مع هذه الجماعات الكبيرة الواسعة الانتشار من شأنها أن تؤدي إلى صداقة مع جيران إسرائيل المباشرين.

كانت السياسة الخارجية الإسرائيلية ترتكز على أساس نظام القلب والمحيط والطوق الخارجي. كان مبدأ بن غوريون يستهدف الدول الواقعة على المحيط، والأقليات الموجودة على «المحيط الإثني» في دول القلب. فإسرائيل أقامت علاقات رسمية مع تركيا، وإيران، وإثيوبيا، لكنها، ومن خلال هذه الدول، وأيضا من خلال اتصالاتها السرية، كان لها، بالطبع، وصول إلى العراق والأردن ولبنان.

وكان هناك ادعاء يقول بأن ليس هناك خط يفرق تفريقاً واضحاً بين مبدأ المحيط ومفهوم تحالف الأقليات(٥٩). كان هذا الادعاء صحيحاً في ما خص الأزمة اللبنانية، وبهذا يشكل الموارنة مثلاً ممتازاً على التفكير على صعيد المحيط. فقد كانوا بالفعل مشمولين في مبدأ المحيط على الصعيد المفاهيمي وان ليس دائماً(٦٠). فالأسلوب العملاني صار يشمل المحيط الاثني حتى لو أنه لم يكن جزءاً من المحيط الجغرافي(٦١). أضف إلى ذلك أن التحالف،

(٥٧) Brecher, *The Foreign Policy of Israel* (Yale University Press, 1972), p.278.

(٥٨) Government Yearbook 5720, Stae of Israel, Jerusalem.

(٥٩) مقابلة مع يوسي ألفر، تل ابيب، ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٦٠) مقابلة مع يعقوب شيموني، القدس، ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٦١) المصدر نفسه.



الذي حيك بواسطة الموساد، وبدرجة أقل، من خلال استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، قد تماسك بسبب قلق عدد من الدول في المنطقة حيال ناصر، ومن صعود التيار العروبي، والنفوذ السوفياتي(٦٢). وفجأة، وعلى غير انتظار، جاءت محاولات إسرائيل الخفية والمكشوفة لإقامة علاقات مع دول أخرى في الشرق الأوسط، لتقدم للدول المتخوفة من مطامح عبد الناصر وسيلة للتغلب عليه(٦٣). وهكذا زوّد مبدأ المحيط وتحالف الأقليات إسرائيل بحلفاء وبطريقة للخروج من عزلتها الإقليمية والدولية.

لقد عينت إسرائيل مصر عدوها الرئيسي منذ العام ١٩٥٤، عندما طرح عبد الناصر نفسه للزعامة العربية على أساس مبدأ الاستقلال والسياسات المتحررة من سيطرة الدول العظمى. وسعت إسرائيل من ثم، إلى تقييد حريته في الحركة عن طريق إذلاله في الحرب وبالتالي كشف فراغ ادعاءاته الزعامة والاستقلال(٦٤). وبهذا المعنى يمكننا أن نفهم غارات إسرائيل على غزة عام ١٩٥٥، وهجومها الواسع النطاق على المواقع السورية عند بحيرة الجليل كرد على ميثاق الدفاع السوري المصري المشترك، وحملة سيناء.

كان عبد الناصر في سياق سياسة المحيط الإسرائيلية، قد ظهر بصفته التهديد الرئيسي لدول أخرى عربية وغير عربية في المنطقة. وكان حلف بغداد في العام ١٩٥٥ الرد المباشر على هذا التهديد الناصري. لقد نشأ هذا الحلف من معاهدة تركية عراقية، وما لبث أن انضمت إليه بعد سنة إيران وباكستان وبريطانيا(٦٥). وبعد حملة السويس، أطلقت الولايات المتحدة مبدأ ايزنهاور كردّ سياسي لدرء الخطر الشيوعي عن الشرق الأوسط. وبالطبع، فإن الدول المعادية لناصر أجرت اتصالات في ما بينها ودعمت أكثر من سياسة أو مبدأ لمنع عبد الناصر من تحقيق نفوذه عليها. وفي الواقع، فإن تركيا لم تكن عضوا

(٦٢) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.363.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٦٥.

(٦٤) Patrick Seale, *The Struggle for Syria* (Oxford: Oxford University Press, 1965), p.247.

(٦٥) Louis and Owen, *Suez 1956*, p.350.

مؤسسا في حلف بغداد، فحسب، بل إنها تعاونت، علنا، مع الولايات المتحدة وإسرائيل لاحتواء نفوذ ناصر.

وكانت الأزمة اللبنانية في العام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ بمثابة اختبار لفعالية كل هذه التحالفات، بما في ذلك سياسات المحيط الجغرافي والإثني وما يتعلق بها من مواثيق ومبادئ. وبدا كأنه مقدر لتكوين لبنان السياسي والاجتماعي والثقافي أن يعكس صورة الانقسام في الشرق الأوسط بوضوح أكثر من أي شيء آخر. فانحياز المؤسسة المارونية المعلن إلى الغرب حمل المعارضة على دعم العروبة. وبهدف تأمين استقلال لبنان وطابعه الغربي، وافق الرئيس اللبناني كميل شمعون على مبدأ ايزنهاور في العام ١٩٥٧. في هذا الوقت، كانت المعارضة ذات الغالبية المسلمة تدعو إلى انضمام لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة. وبذلك فإن مصلحة ناصر في ممارسة نفوذه، ومصلحة دول الشرق الأوسط، الموالية للغرب، في الإبقاء على الوضع اللبناني القائم، قد أدتا إلى جعل لبنان ساحة معركة لهاتين الايديولوجيتين.

في مقابل هذه الخلفية، كانت لاسرائيل مصلحتها الخاصة الملحة في دعم شمعون. فدعوة ناصر للعروبة كان ينظر إليها بمثابة تهديد سياسي، ليس لأنها كانت في حد ذاتها أيديولوجية معادية لإسرائيل، فحسب، بل لأنها كانت أيضاً تحظى بدعم الاتحاد السوفياتي الذي كان قد سحب اعترافه بدولة إسرائيل. وكانت لتلك الدعوة وذلك الدعم القدرة على تحويل مسعى ناصر إلى الوحدة العربية إلى حقيقة. فسياسات إسرائيل الخارجية كلها كانت تهدف إلى إبقاء العالم العربي منقسما من أجل ضمان عدم القيام بعمل موحد ضدها. لهذا كان ينبغي القيام بعمل ما في مواجهة نفوذ عبد الناصر في لبنان. فاستمرار وجود إسرائيل سيكون مضمونا ما دام الزعماء العرب يتنازعون على الزعامة ويتشاجرون في شأن من هو صاحب القضية الأحق.

وفضلاً عن ذلك، وعلى مستوى استراتيجي، سوف تكون لإسرائيل حدود مع بلدين معادين إذا ما دمج لبنان في الجمهورية العربية المتحدة. فمن شأن حرب تُشن من جبهتين على أرض صغيرة بحجم مساحة إسرائيل، وبواسطة جيوش متفوقة عددياً، أن تهدد وجود إسرائيل بحد ذاته. وهذا



احتمال كان يجب تفاديه بأي ثمن. فقد كان على لبنان أن يبقى بحدود هادئة ودولة ودية بحكم الواقع، يديرها الموارنة بتوجه غربي.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن اتصالات إسرائيل مع اللبنانيين الموارنة حملتها مسؤولية أخلاقية لدعمهم أيضاً في هذا الصراع على السلطة. فالوحدة العربية بالنسبة إلى السكان المسيحيين ستكون ترجمتها التحول إلى مكانة الأقلية والتعرض للقمع والتمييز، وهو وضع يعرفه اليهود جيداً.

وعلاوة على ذلك، كانت إسرائيل قد اتصلت بأقليات عديدة وبذلت جهدا كبيرا لإقناعهم بأن التعاون السري معها هو لمصلحتهم. وأن الامتناع عن دعم الموارنة في أزمة يمرون بها من شأنه أن يكون إشارة إلى أقليات أخرى والى حلفاء محتملين بأن اسرائيل دولة لا يمكن الاعتماد عليها. لذا، كان على إسرائيل أن تظهر كشريك متساوٍ ـ كان عليها أن تبرهن التزامها ـ وإلا فإن أسس مبدأ المحيط الذي تعتمده، سوف تنهار.

من بين كل هذه الدوافع للتدخل في الأزمة اللبنانية إلى جانب المؤسسة المارونية، بهدف الحفاظ على استقلال لبنان، وطابعه المؤيد للغرب وسيادته على أراضيه، كان الجانب العسكري هو الأهم. فالسياسة الإسرائيلية كانت دائما تخضع للحاجات الأمنية المقدمة على ما عداها. وفي الواقع، فإن سياسة إسرائيل كانت مبنية على فرضية أن أمن إسرائيل يرتكز على أساس المحافظة على توزيع مؤات للقوة بينها وبين الدول العربية[٦٦]. وبالتالي كان على إسرائيل أن تضمن أن لبنان لن يتحول إلى دولة معادية.

## إسرائيل، الولايات المتحدة والأزمة

قامت الولايات المتحدة بدور مهم، وان عن غير قصد في الغالب، في مواصلة إسرائيل سياسة خارجية تعتمد التدخل في شؤون الدول الأخرى. فأهداف إسرائيل والولايات المتحدة تداخلت إلى حد كبير بالنسبة إلى الأزمة

(٦٦) Roberts, *Survival or Hegemony?*, p.128.

الناشبة في لبنان. لذلك كان سهلاً على إسرائيل أن تبقى في الظل وتترك الولايات المتحدة تتدخل علناً في الحرب الأهلية.

لقد كان هدف إسرائيل أن تمنع تآكل السيطرة المارونية في لبنان من أجل تفادي تحول جغرافي سياسي مضر في الشرق الأوسط. أما هدف الولايات المتحدة فكان مقاومة توسع الشيوعية في الشرق الأوسط. وكان ناصر في مرمى هذين الهدفين. وبالفعل، فقد كان يُنظر إلى ناصر على أنه يهدد أمن إسرائيل، كما كان ينظر إليه على أنه يتلقى الدعم السوفياتي لنشر أيديولوجيته العروبية المعادية للغرب في المنطقة. ومن خلال الناصريين أصبح لبنان موضعاً لصراعات الحرب الباردة على المستوى العالمي.

وليس هناك ما يعكس ذلك أفضل من رأي الولايات المتحدة بالفيتو السوفياتي في الجلسة الخامسة والثمانين لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

> إن الاتحاد السوفياتي يلجأ بشكل متزايد إلى أشكال العدوان السياسية والاقتصادية والنفسية. ففي مثل لبنان، حيث إن الأغلبية الساحقة لمجلس الأمن رغبت في القيام بعمل معتدل وعقلاني لتعزيز فريق المراقبة التابع للأمم المتحدة تجاوباً مع طلب لبنان المساعدة، ووفقا لما تتطلبه تطورات الموقف بحسب تقرير فريق المراقبين التابع للأمم المتحدة في لبنان، فإن الفيتو السوفياتي لم يكن مجرد اختلاف سياسي مع خط العمل المقترح والذي كان يمكن تسجيله في الامتناع عن التصويت، بل هو إشارة مباشرة إلى الدعم السوفياتي للقوى المخربة التي تعمل متنكرة تحت ستار الأهلي[٦٧].

ومن المهم التطرق إلى مصالح الولايات المتحدة من أجل فهم علاقات التعاون الأميركية الإسرائيلية. كانت علاقات الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي هي التي تحدد كلياً موقفها حيال الشرق الأوسط. فاستيلاء الشيوعية على أوروبا الشرقية، رسخ بعمق، في المدركات السياسية للولايات المتحدة، الفكرة بأن الشيوعية هي عدوها الأكبر. لهذا كان يجب تفادي استيلاء مماثل

(٦٧) Department of State circular 111, 30 July 1958, Box 3, GR 59, D 600, US Special Files on Lebanon, NARA.



على الشرق الأوسط. ولذلك حاول وزير الخارجية جون فوستر دالس إقامة منظمة دفاع شرق أوسطية[٦٨]. إلا أن هذه المخططات لم تتحقق قط. وبدلا من ذلك فقد حولت الولايات المتحدة تركيزها نحو حلف بغداد الذي لم تكن عضوا رسميا فيه، لكنها على الرغم من ذلك، فإنها أدت دورا أساسيا عبر تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية للدول الأعضاء. أضف إلى ذلك أن جنرالا أميركيا عين لرئاسة هيئة التخطيط العسكرية المشتركة[٦٩].

وكانت أزمة لبنان في العام ١٩٥٧، واحتمال حدوث أزمات في الأردن والعراق، قد أوضحا لصانعي السياسة في الولايات المتحدة أن على أميركا أن تؤدي دوراً أكثر فعالية. وبنتيجة ذلك جرى وضع مبدأ ايزنهاور بهدف تأمين المساعدة العسكرية والاقتصادية لأي دولة شرق أوسطية معارضة لناصر والشيوعية.

أما إسرائيل، بصفتها الحصن المتقدم في الشرق الأوسط الأكثر موالاة للغرب وللأميركيين، فقد برزت بوضوح إلى جانب الولايات المتحدة، ولم يكن عليها أن تلجأ إلى الكثير من التلاعب لكي تضمن خدمة السياسة الأميركية لمصالحها الأمنية أيضاً. وحتى قبل أن يعلن بن غوريون دعمه لمبدأ أيزنهاور، كان قد فاتح الولايات المتحدة بفكرته الخاصة بمبدأ المحيط، وقد شجعه كل من ايزنهاور ودالس على إقامة معاهدة من هذا النوع[٧٠]. وشعرت إسرائيل أن عليها بأن تقدم شيئا للأميركيين. فهي لن تعود بعد الآن حليفاً صغيراً معزولاً، ودولة تقاطعها البلدان العربية كافة، بل إنها ستكون القائد والحلقة الوصل لكتلة من الدول، واحدة منها عضو في حلف شمال الأطلسي، واثنتان أخريان عضوان في حلف بغداد، وواحدة هي دولة أفريقية مهمة[٧١].

وبالفعل، وبعدما أطلق مبدأ ايزنهاور في الخامس من كانون الثاني/يناير ١٩٥٧، لدعم الأنظمة العربية الموالية للغرب عبر مدها بالمساعدات العسكرية

(٦٨) Louis and Owen, *Suez 1956*, p.350.
(٦٩) المصدر نفسه، ص٣٥١.
(٧٠) Bar Zohar, 'Ben Gurion and the Policy of the Periphery', p.170.
(٧١) المصدر نفسه، ص١٦٧.

والاقتصادية، وحظي على موافقة الكونغرس في آذار/مارس، كانت إسرائيل في موقع يمكّنها من تقديم كل التعاون. وهكذا توصلت إسرائيل إلى تفاهم مع الولايات المتحدة حول السياسة تجاه لبنان. فالطرفان لم يكونا يريدان سقوط النظام الموالي للغرب، وكانت الطريقة الفضلى لتحقيق هذا الهدف تدخلاً أميركياً مباشراً وإسرائيلياً غير مباشر[٧٢]. وقد ساعد أيضاً مجرد الوجود الإسرائيلي في كبح القوات المعادية للأميركيين[٧٣].

لكن تعاون إسرائيل مع الولايات المتحدة ذهب إلى ابعد من مجرد حضورها. فالولايات المتحدة التي لم تكن لها أي خبرة سابقة، إستعمارية أو غيرها، في الشرق الأوسط، كانت لا تزال في طور إقامة اتصالات يمكن الوثوق بها. وبالتالي كان على الولايات المتحدة أن تتكل غالباً على دول أخرى لتزويدها بالمعلومات الاستخباراتية التي لم تكن تستطيع الوصول إليها، وكانت إسرائيل إحدى هذه الدول. ففي أواخر الخمسينات استفادت الولايات المتحدة من علاقة تعاونية وثيقة بين أجهزة استخباراتها واستخبارات إسرائيل[٧٤]. وعندما نشبت الحرب الأهلية في لبنان، قام مدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، الجنرال يهوشفاط هركابي، بإبلاغ الملحق العسكري الأميركي ان النظام الماروني سوف ينهار، بحسب الاستخبارات الإسرائيلية، إذا لم تتدخل الولايات المتحدة مباشرة[٧٥].

وبنتيجة ذلك، غيرت الولايات المتحدة موقفها من عدم مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة مباشرة وترك الباب مفتوحا أمام احتمال تسوية مع المتمردين

(٧٢) Menachem Klein, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations of Israel and the Arabs between the Years 1957-1967)* (Jerusalem: Hebrew University Press, 1986), p.38.

(٧٣) Nadav Safran, *Israel: the Embattled Ally* (Cambridge: Belknap Press, 1978), p.581.

(٧٤) Menachem Klein, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations of Israel and the Arabs between the Years 1957-1967)* (Jerusalem: Hebrew University Press, 1986), p.38.

(٧٥) المصدر نفسه.





اللبنانيين، إلى الاستنتاج أن ناصر هو في أي حال رئيس معاد، وان على الولايات المتحدة أن تتدخل بموجب مبدأ ايزنهاور[٧٦]. وكان نزول المارينز على ساحل بيروت يرتكز على الاعتقاد أن مثل هذا التدخل سيشجع قوات الأمن اللبنانية على تأكيد سلطتها خارج بيروت[٧٧]. زد على ذلك، أن الحكومة البريطانية زعمت أنه إذا لم يؤت بأي عمل لإنقاذ لبنان فإن إسرائيل ستصبح أكثر عزلة، وأن الغرب سيخسر أيضا الأردن والعراق[٧٨]. وكان هذا الأمر الثاني ذا أهمية كبرى في عملية اتخاذ القرار. وفي الواقع، فإن التدخل في لبنان، وبعد وقت من مطالبة شمعون به، قد حصل بالضبط بعد يوم واحد من الانقلاب في العراق ـ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

كان تدخل الولايات المتحدة في لبنان هو لمنع حصول انقلابات مماثلة في لبنان والأردن. وقد برهنت هذه العملية لحلفاء الولايات المتحدة أن أميركا سوف تنشر قواتها وتقاتل لإنقاذ قوى صديقة صغيرة من التخريب، في حين أنها أظهرت لأنصار القومية العربية أن الولايات المتحدة لن تتردد في احتوائها أو مقاومتها، إذا تنافت مع دفاعات الحرب الباردة للعالم الحر[٧٩].

وكان دور إسرائيل في هذه العملية دور المستشار الذي يزود الولايات المتحدة بالمعلومات الاستخباراتية عن لبنان ومصر وغيرهما من دول الشرق الأوسط. كما سمحت إسرائيل أيضا لطائرات الولايات المتحدة بالتحليق في أجوائها خلال العملية وبعدها. وفي الواقع، وفي ٢٥ تموز/يوليو ١٩٥٨، فإن الجمهورية العربية المتحدة قدمت شكوى رسمية لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بأن الطائرات الأميركية كانت تنتهك المجال الجوي للجمهورية أثناء

(٧٦) من ر. روبيك في انقرة، ١١ تموز ١٩٥٨، FM 3110/5, ISA.

(٧٧) مـــن M.S. Weir (Washington) to E.M. Rose, Top secret and personal, 3 July 1958, FO 371/134156, VL 1073/6/G, Public Record Office (PRO).

(٧٨) Richie Ovendale, 'Britain and the Anglo-American Invasion of Jordan and the Lebanon in 1958', Unpublsihed paper, p.9.

(٧٩) United States Sixth Fleet, OPNAV Report 5750-5, 18 June 1959, 1958 Lebanon Crisis, Naval History Center declassified, NARA.

عودتها إلى إسرائيل.[٨٠] بالإضافة إلى ذلك، فإن الولايات المتحدة طلبت من إسرائيل أن تسمح للبريطانيين باستخدام مجالها الجوي على أثر الاجتياح مباشرة. فقد تقدم وزير الخارجية دالس من أبا إيبان طالبا منه إقناع بن غوريون بالسماح للطائرات البريطانية بالطيران في أجواء إسرائيل وهي في طريقها لتعزيز وضع الملكية الأردنية في عمان. وعلى حد ما يتذكر أبا إيبان، فإن أيا من ايزنهاور أو دالس لم يظهر أي حرج من هذا الدور[٨١]. وبالفعل، فإنه من دون استخدام المجال الجوي الإسرائيلي لكان تعذر على القوى الغربية إيصال الإمدادات إلى الأردن.

كانت إسرائيل على اطلاع على التدخل الأميركي، فهي لم توافق عليه في مراحله الإعدادية فحسب، بل كانت أيضاً تدعم هذا التدخل السافر من خلال دعمها الخاص لشمعون. فقد كان القلق من الانقلاب العراقي قد استنفر دفاعات إسرائيل، ولو لم تتدخل الولايات المتحدة لكانت إسرائيل لجأت إلى العمل العسكري، خصوصا في حال حصول أي محاولة مكشوفة للإطاحة بملك الأردن حسين أيضا[٨٢]. ولكن الذي حصل ان إسرائيل لم تضطر قط، للقيام بعمل سافر لأن التفاهم بينها وبين الولايات المتحدة كان يحمي مصالحها بقدر ما يحمي المصالح الأميركية.

## التورط الإسرائيلي في الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٥٨

لقد ذهب تورط إسرائيل في الأزمة إلى ابعد من أنها كانت الشريك الصامت للولايات المتحدة. فقد لجأت إسرائيل في الواقع إلى شكل من التدخل أكثر مباشرة في دعم حلفائها الموارنة، الذي كانت تأمل من خلاله التأثير في نتائج الأزمة. وقد سبق أن تقرر أن «إسرائيل قوية» هي الحل

---

(٨٠) Outgoing Telegram, State Department, 30 July 1958, Box 3, RG 59, D 600, US Special Files on Lebanon, NARA. See also UNSC documents/4065, 26 July 1958, United Nations Archives.

(٨١) Eban, *Personal Witness*, p.288.

(٨٢) Naval Message 2849, 18 July 1958, Box 4, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.



للوضع الأمني في لبنان ولمكانة الموارنة فيه[٨٣]. ومفهوم «إسرائيل قوية» هذا دعا بدوره، إلى اتباع طريقة أكثر مباشرة للتدخل أخذت شكل تزويد أصدقائها الموارنة بالسلاح[٨٤].

وقد تمسكت إسرائيل بالاتصالات السابقة مع الموارنة منذ تمويل الكتائب عام ١٩٥٠. وبالفعل، فقد تطورت صداقة حقيقية عبر السنين بين عضو حزب الكتائب الياس ربابي والدبلوماسي الإسرائيلي يهوشع بالمون. وعندما بدا موقف الموارنة مهدداً، دبر ربابي لبالمون لقاء مع زعيم الكتائب بيار الجميل في سويسرا[٨٥]. وقد عُقد الاجتماع عشية الحرب الأهلية. وأوضح الجميل أن ليس لدى الكتائب خطط لجعل لبنان يتخلى عن العالم العربي. لكنه أوضح أيضاً أن الموارنة، الذين التفوا حول الميليشيا الكتائبية في غياب تدخل الجيش اللبناني، بحاجة إلى مساعدة عسكرية للبقاء[٨٦]. وبالفعل، فإن نداء الجميل للمساعدة لقي آذاناً صاغية. فخلال الحرب زودت إسرائيل الكتائب بالأسلحة والمعدات العسكرية عبر مستوطنة المطلة[٨٧]. وفي مقابل هذه المساعدة كانت إسرائيل تتوقع الحصول على معلومات عن الوضع في لبنان وعن امتداد الناصرية في البلدان العربية. وعلى الرغم من المطالب الإسرائيلية البخسة نسبياً، فإن العلاقات مع بيار الجميل لم تكن مريحة، وذلك على الرغم من تعدد اللقاءات بين مسؤولين إسرائيليين والجميل خلال الخمسينات[٨٨]. بينما كانت العلاقات مع شمعون متيسرة أكثر، لكن لايمكن وصفها هي أيضا بأنها كانت تعاونية بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل إن اللقاءات بين شمعون وإلياهو ساسون كان لها طابع الثرثرة على فنجان قهوة[٨٩].

---

(٨٣) من أ. يافا إلى م. ارنون، ٢ نيسان ١٩٥٧ ISA, FM 3110/2.

(٨٤) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣. مقابلة مع أوري لوبراني، تل أبيب ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٨٥) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemay*el and his Era), p.79.

(٨٦) Benny Morris, 'The Phalange Connection', *The Jerusalem Post*, 1 July 1983.

(٨٧) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.79.

(٨٨) مقابلة مع يوسي ألفر، تل ابيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٨٩) Benny Morris, 'The Phalange Connection', *The Jerusalem Post*, 1 July 1983.

وكان الدعم الإسرائيلي الإضافي لشمعون يُرسل بطريقة غير مباشرة بواسطة مبدأ المحيط، وتحديداً عبر تركيا والعراق والأردن. لكن التعاون بين إسرائيل ودول حلف بغداد لم يمرّ من دون أن يُلاحظ. ففي الخامس والعشرين من كانون الثاني/ يناير ١٩٥٥، طرح راديو القاهرة موضوعاً مؤداه أن أي تحالف مع تركيا «صديقة إسرائيل»، يعني تعاونا غير مباشر مع إسرائيل نفسها ويعني بالتالي خيانة للقضية العربية. وقد جرى التنديد رسميا بالعراق وتركيا بصفتهما حليفين لإسرائيل(٩٠). بل أصبح هذا الموضوع أكثر بروزا إبان الأزمة اللبنانية عبر التهجم على حكام العراق والأردن ولبنان الذين كانوا يدعمون إسرائيل ويتآمرون ضد المواقف السورية(٩١). وادعت الجمهورية العربية المتحدة أن إسرائيل كانت تقدم السلاح للحكومة اللبنانية، وأن طيارين إسرائيليين كانوا يرافقون طياري سلاح الجو اللبناني في تحليقاتهم(٩٢). وفي حين أن العديد من هذه التقارير يصبّ في الخانة التقليدية لنظريات التآمر، فإن بعضها قد اقترب كثيراً من تخمين الحقيقة.

لقد حافظت إسرائيل على صلاتها مع الموارنة وكانت مستعدة لمساعدتهم. ففي كانون الثاني/ يناير ١٩٥٦، طلب راعي الموارنة في إسرائيل الأب شاهين إذناً بزيارة لبنان لمقابلة البطريرك الماروني الجديد بولس المعوشي، وعرض لو أنه يقوم بدور الرسول لتجديد العلاقات بين الكنيسة المارونية والحكومة الإسرائيلية. فقد سبق له أن سلم رسائل من المطران مبارك للإسرائيليين واعتبر هذه العلاقة مهمة وأنها ليست علاقة لمواجهة تعديات الدول الإسلامية، فحسب، بل الأهم، لدرء الخطر الداهم من الشيوعية وناصر(٩٣). وقد حصل على الإذن بالذهاب إلى لبنان، ولكن لم يعرف إن كان حمل معه رسائل من الإسرائيليين أم لا.

(٩٠) Seale, The Struggle for Syria, p.217.

(٩١) برقية رقم ١٦ من دمشق في ٣ تموز ١٩٥٨ Box 2, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(٩٢) نشرت الصحف المصرية ذلك على نطاق واسع. لكن نتيجة التحقيق الأميركي أظهرت أن رواية الطيار لم تكن صحيحة مطلقا. راجع JC-79, USAIRA, Damascus, 13 June 1958, Box 2, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(٩٣) من م. مندس إلى هـ. فاردي، ٢٧ كانون الثاني، FM 2396/B, ISA.



ومع تفكك المؤسسة السياسية في لبنان، عام ١٩٥٧، جرى استخدام الولايات المتحدة، مرة أخرى، قناة اتصال بين اللبنانيين والإسرائيليين. فقد اتصل إميل خوري حرب، مؤسس رابطة اللبنانيين في المهجر، بمكتب الاستعلامات الإسرائيلي في نيويورك حيث تحدث مع ديفيد مارمر. وأثار موضوع العلاقات الفينيقية الإسرائيلية القديمة ومن ثم انطلق لمناقشة الناصرية بصفتها حركة إسلامية خطيرة موجهة ليس ضد اللبنانيين المسيحيين، فحسب، بل أيضا ضد إسرائيل(٩٤). وأعرب في هذا الصدد، عن تعاطفه مع إسرائيل، قائلاً: إن قوة إسرائيل ووجودها هما ضمانة لوجود المسيحيين في لبنان واستقلالهم. وذهب إلى الادعاء أنه تحدث مع شارل مالك، قبل أن يتسلم منصبه كوزير للخارجية، وأن مالكا أيد مهمته لحشد التأييد خارج لبنان. كما أعرب خوري عن إعجابه بالوكالة اليهودية وقدرتها على تنظيم المساندة الصهيونية. وقد عرض عليه الجانب الإسرائيلي المساعدة في إنشاء نظام مشابه لتحريك دعم الموارنة في الشتات(٩٥). وجرى تحديد موعد آخر وطلب مارمر من خوري أن «يجلب معه بعضا من أصدقائه»، أي أشخاصا آخرين متعاطفين مع إسرائيل.

وكان شارل مالك نفسه قد حافظ على علاقة ودية مع إسرائيل عبر مبعوثها إلى الأمم المتحدة أبا إيبان. وكان إيبان قد وصف شارل مالك بأنه رجل دولة مهيب، وعلاّمة وجد نفسه عالقاً في نزاع مكرب بين وطنيته العربية وقيمه المسيحية والانسانية(٩٦). وكان مالك يجلس مباشرة إلى يمين أبا إيبان قبل انضمام إيطاليا وإيرلندا إلى الأمم المتحدة. وبحسب أبا إيبان، فقد كان هناك قبل العام ١٩٥٧، «شعور برغبة الواحد باستمالة الآخر». لكن في العام ١٩٥٧، عندما شعرت الزعامة المسيحية بأنها مهددة بعمليات تخريبية تقوم بها مصر ودعت إلى التدخل الأميركي بدعم من إسرائيل، تبادل شارل

(٩٤) من ديفيد مارمر إلى مايكل أرنون، ٧ آب ١٩٥٧، FM 3140, ISA.

(٩٥) المصدر نفسه.

(٩٦) Eban, *Personal Witness*, pp.210-11.

مالك وإيبان «ملاحظات من طرف خفي» على طاولة لجنة الأمم المتحدة التي كانت تناقش الوضع[٩٧].

في أيار/مايو ١٩٥٨، كانت عناوين رئيسية في الصحافة العربية من مثل «مساعدات من الأردن لشمعون بالتوافق مع إسرائيل» تنبئ عن التورط الإسرائيلي[٩٨]. ففي الحقيقة كانت تركيا والعراق والأردن تشحن الأسلحة إلى لبنان[٩٩]، بينما كانت إسرائيل تقوم بأعمال الدورية على الحدود اللبنانية لمنع شحنات الأسلحة من الوصول إلى القوات اللبنانية المتمردة. وقد تمكنت هذه الدوريات في التاسع من حزيران/يونيو ١٩٥٨، من القبض على عصابة من المهربين كانت تنقل أسلحة من سوريا إلى القوات المسلمة[١٠٠]. على الرغم من أن إسرائيل كانت، في الوقت نفسه، تزود شمعون بالأسلحة من دون أي تدخل[١٠١].

وكان شمعون قد وجه نداء للأردن لتقديم مساعدة عسكرية، فأرسلت في ايار/مايو ١٩٥٨، قوات عراقية واردنية إلى لبنان عبر إسرائيل[١٠٢]. كما أن شمعون طلب من الملك حسين في حزيران/يونيو أن يرسل فورا مزيدا من القوات الأردنية. وقد وصلت هذه القوات إلى لبنان أيضا عبر إسرائيل[١٠٣].

وفي تموز/يوليو، وزعت وكالة أنباء الشرق الأوسط خبرا عن قيام

(٩٧) المصدر نفسه.

(٩٨) برقية رقم ٣٠٢٧، ٢٠ أيار ١٩٥٨، Box 1, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(٩٩) برقية رقم ١١٩٨، من جدة، ٧ حزيران ١٩٥٨، Box 2, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(١٠٠) *New York Times*, 9 June 1958.

(١٠١) Klein, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations between Israel and the Arabs in The Years between 1957-1967)*, p.38.

(١٠٢) برقية رقم ٣١٢٦ من القاهرة، ٢٨ أيار ١٩٥٨، Box 1, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special files on Lebanon), NARA.

(١٠٣) FBIS, 5 June 1958.



إسرائيل بمهاجمة مركز سوري متقدم[١٠٤]. وزاد المتحدث الرئيسي باسم الجيش السوري الأول، تفصيلات أخرى حول النبأ، في التصريح الذي أدلى به، قائلاً إن إسرائيل هاجمت مركز تل هلال السوري شرق بحيرة الحولة. كما اتهمت صحيفة الرأي العام السورية العراق بحشد قواته على مقربة من الحدود السورية في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تتعرض للمواقع السورية[١٠٥]. إلا أن التدخل الإسرائيلي المباشر، الأكثر جلاء، كان تقديم الدعم المدفعي لوحدات من الجيش اللبناني كانت تقاتل الناصريين في جنوب لبنان[١٠٦].

زد على ذلك، أن إسرائيل، وبدعم من تركيا والعراق والأردن، كانت تخطط لتدخّل مكشوف في لبنان في حال لم تكن الولايات المتحدة مستعدة للتحرك عسكرياً[١٠٧]. وقد قدم شمعون، وهو يتوسل المساعدة، ضمانات لبنانية بأن يلاقي مثل هذا التحرك ترحيباً. بالاضافة إلى أن وزير الخارجية شارل مالك أعلن جهاراً الحاجة إلى سبعة آلاف عنصر لإحكام اغلاق الحدود اللبنانية، وأن الحكومة اللبنانية «لا تعارض أن يقوم أي كان، وبأي طريقة، بإغلاق هذه الحدود بدلاً منها»[١٠٨]. وفي النهاية، لم تكن هناك حاجة إلى تنفيذ مخطط التدخل من جانب «حلفاء» اسرائيل من دول المحيط، لأن الولايات المتحدة أرسلت قواتها لإنقاذ سيادة لبنان المسيحي وسلامة اراضيه.

ولكن، حتى بعد تأمين بقاء لبنان الموالي للغرب على حساب حياة الرئيس

(١٠٤) برقية رقم ٢٩، من القاهرة، ٣ تموز ١٩٥٨، Box 2, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(١٠٥) برقية رقم ١٦، من دمشق، ٣ تموز ١٩٥٨، Box 2, RG 59, Lot 59 D 600, (US Special Files on Lebanon), NARA.

(١٠٦) Klein, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations between Israel and the Arabs in the Years between 1957-1967)*, p.38.

(١٠٧) ر. روبيك (انقرة)، ١١ تموز ١٩٥٨، FM 3110/5, ISA.

(١٠٨) مقابلة مع شارل مالك في برنامج Face the Nation في شبكة CBS في ٢٩ حزيران ١٩٥٨، ص١٧. وضع الاسرائيليون خطاً عريضاً تحت قول مالك المذكور، في النسخة عن المقابلة التي تحتفظ بها وزارة الخارجية الإسرائيلية.

شمعون السياسية، فإن الفكرة المألوفة للبنان المسيحي بكامله لم تفقد جاذبيتها. ففي ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٨، رفع زفي نيئمان، الموظف في السفارة الإسرائيلية في واشنطن، تقريراً إلى مسؤول وزارة الخارجية موشي ساسون، عن مناقشة أثير فيها مجدداً التماس إقامة لبنان الصغير. وكان نئمان يستأذن من وزارة الخارجية بالتقدم من الأمم المتحدة بمثل هذا الحل للبنان(١٠٩). لكن الاذن لم يعط، ووضع الأمر جانبا مرة جديدة.

طوال هذه الفترة من التدخل الإسرائيلي المباشر وغير المباشر، استمرت العلاقات الإسرائيلية اللبنانية الرسمية أيضاً على قاعدة ودية. وهذه العلاقات الرسمية، بمعظمها، كانت تتم من خلال لجنة الهدنة المشتركة. وكان الرئيس اللبناني للجنة، العقيد مرسيل لوموان، قد وصف الوضع على جانبي الحدود المشتركة بأنه هادئ، وأن العلاقات اللبنانية الإسرائيلية، في رأيه، ممتازة، بشكل يسمح بتسوية أي مشاكل تنشأ من دون صعوبة(١١٠). وقال إنه لو أمكن وقف تسلل الفدائيين المصريين والسوريين إلى إسرائيل عبر لبنان، فإن العلاقات الإسرائيلية اللبنانية سوف تستمر على أساس ودي جداً(١١١). ومن أجل هذه الغاية ارتأى لبنان أنه من الضروري أن ينشر كتيبتين من الجيش على امتداد الحدود الإسرائيلية اللبنانية(١١٢). ومن وجهة النظر الرسمية هذه، كانت إسرائيل، تبذل جهوداً مخلصة أيضاً، لتفادي اتهامها بالتدخل، ولم تستغل التقلص الجلي في قدرة لبنان المحدودة في مراقبة حدوده إبان الأزمة(١١٣).

وجرت المحافظة على هذه العلاقات الجيدة في السنوات التي تلت في ظل

---

(١٠٩) من زفي نيئمان (واشنطن) إلى موشي ساسون، ٣٠ تموز ١٩٥٨، FM 3110/5, ISA.

(١١٠) DA Intelligence Report R-288-57, Lebanese-Israeli Relations, 26 February 1958, R-SM, RG 319, ID File, ACSI, G-2 Military Intelligence, NARA.

(١١١) DA Intelligence Report 204276, 7 March 1957, R-SM, RG 319, ID File ASCI, G-2 Military Intelligence, NARA.

(١١٢) Richards' Mission, Report of meeting at the Ministry of Defense, 15 March 1957, Box 13, RG 57 D 616 (US Special Files on Lebanon), NARA.

(١١٣) DA Intelligence Report, 7 June 1958, R-SM, RG 319, ID File, ACSI, G-2 Military Intelligence, NARA.



الرئيس اللبناني الجديد. فقد شرع شهاب بإحكام السيطرة الكاملة على الأزمة، مبعداً لبنان عن خطر السقوط في المعسكر الناصري ذي السيطرة المسلمة والمعادي للغرب. وبذلك، أنقذ استقلال لبنان، وبالتالي تحققت الأهداف الإسرائيلية المارونية. ونجح التدخل الإسرائيلي المحدود، ولكن المباشر، في خدمة موقع إسرائيل الإقليمي وتحالفها مع الموارنة في لبنان القائم على اساس مفهوم تحالف الاقليات.

## العلاقات الإسرائيلية المارونية، ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩

مرت العلاقات الإسرائيلية المارونية بتطور مهم مع حملة السويس ـ سيناء التي أدت إلى تدخّل إسرائيل لمصلحة حلفائها الموارنة في أول حرب أهلية لبنانية. فحتى العام ١٩٥٦، كانت الاتصالات بين الإسرائيليين والموارنة غير رسمية، وتجري، بشكل رئيسي، من خلال بلد ثالث مثل الولايات المتحدة أو فرنسا أو الأرجنتين أو البرازيل. ولم يكن لدى إسرائيل لا القدرة على القيام بما هو أكثر، ولا المصلحة في التورط الاكثر صراحة. وكان الموارنة لا يزالون يهتمون بإجراء اتصالات مع إسرائيل، لكنهم كانوا قد بدأوا يتحركون بحذر منذ الانتخابات النيابية عام ١٩٥١، لأنهم كانوا أكثر اهتماما بالاستقرار الداخلي اللبناني. وقد غيرت حملة السويس ـ سيناء هذا الوضع بوضوح بالغ.

فبن غوريون الذي كان لا يزال متمسكا بمهمته «إرجاع لبنان المسيحي إلى مكانه الصحيح والمحق» شرع في تطبيق استراتيجية السويس الكبرى. لكن الضغط الأميركي أوقفه قبل أن يتمكن من تنفيذ «المرحلة اللبنانية» من مخططه. ومع ذلك، فقد كان «للمرحلة المصرية» نتيجتان مهمتان. فالنتيجة الأولى، كانت التبدل في مكانة إسرائيل في المنطقة، إذ برزت إسرائيل كقوة عسكرية رئيسية وبالتالي امتلكت القوة على مؤازرة أي تورط إضافي في لبنان. أما النتيجة الثانية، فكانت وضعا سياسيا لبنانيا غير مستقر على الصعيدين المحلي والإقليمي، لأن رفض الرئيس شمعون قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا، خلق معارضة محلية (إسلامية بخاصة) وإقليمية (مصرية وسورية) لسياسة لبنان الخارجية الموالية للغرب. وقد تدخلت هذه القوى المعارضة في

السياسة اللبنانية بهدف إعطاء لبنان توجها أكثر عروبة. وقد خلق هذا الوضع السياسي المستجد اهتماماً مارونياً أكبر بتدخل إسرائيلي ضد القوى العروبية.

هاتان النتيجتان لحملة السويس ـ سيناء قادتا مباشرة إلى المساعدة العسكرية الإسرائيلية للموارنة ١٩٥٨، لقد تدهور الوضع السياسي اللبناني بشكل بالغ في العام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨، وتبع هذا التدهور مناشدات مارونية متزايدة لمساعدة إسرائيلية، كما أنه ضاعف اهتمام إسرائيل والولايات المتحدة والدول الموالية للغرب في الحفاظ على الوضع القائم في لبنان. ورداً على طلب آخر للتدخل، فقد نزلت في تموز/يوليو قوات المارينز التابعة للولايات المتحدة في بيروت «لإعطاء ضمانات لحكومة صديقة». ولم تدعم إسرائيل هذا التدخل، فحسب، بل كانت تملك أيضاً مخططات مشابهة لعمل عسكري بالتعاون مع العراق وتركيا، في حال لم تتدخل الولايات المتحدة. اضف إلى ذلك أن إسرائيليين كانوا قد التقوا ممثلين موارنة عشية اندلاع الحرب الأهلية، وقطعوا لهم وعدا بمساعدة عسكرية. وبالفعل، وبعد ذلك بوقت قصير، جرى تزويد الكتائب بأسلحة عن طريق المطلة. وجاء الدعم الإسرائيلي الأكثر علانية للحلفاء الموارنة على شكل قصف مدفعي تغطية للقوى اللبنانية المؤيدة لبقاء الوضع القائم والتي كانت تقاتل قوات المعارضة في جنوب لبنان.

لقد حال التدخل الأميركي والمساعدة العسكرية الإسرائيلية للموارنة دون أن يخسر لبنان ميزته كبلد موالٍ للغرب يهيمن عليه الموارنة. وقد خلف فؤاد شهاب الرئيس شمعون، وتحول فوراً إلى إجراء مصالحة بين الفئات اللبنانية المتحاربة. ومع إيجاد حل للأزمة الراهنة، انصرفت الجماعات المارونية إلى التفاوض حول مكانتها في الحكم الجديد. وتحولت اهتمامات سياسة إسرائيل الخارجية جنوبا بعدما ضمنت جار شمالي مستقر.



# ٤ ما بين الحربين الأهليتين اللبنانيتين: بروز الخطر الفلسطيني في الشرق الأوسط

**هناك إما بلد واحد أقل مما يجب، وإما شعب واحد أكثر مما يجب[1]**

تميزت طبيعة العلاقات الإسرائيلية المارونية، في فترة ما بين الحربين الأهليتين اللبنانيتين، بمستواها المتدني أكثر من المستوى الذي كانت عليه من قبل. فإسرائيل لم تقدم دعما مكشوفا للبنانيين الموارنة، ولم يكن مثل هذا الدعم مطلوبا. لكن الاتصالات استمرت وأدت الى شكل غير مباشر من التدخل الإسرائيلي أكثر مما كانت عليه الحال من قبل. وقد تمحورت هذه العلاقات، المكبوحة، حول ثلاث مراحل مهمة: المرحلة الأولى تغطي العلاقات حتى حرب الأيام الستة، والثانية هي مرحلة حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ وآثارها، والمرحلة الثالثة تبدأ في أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ مع انتقال الفلسطينيين من الأردن إلى لبنان.

وبعد أزمة ١٩٥٨، تراجعت العلاقات الإسرائيلية المارونية بسرعة. إذ حولت إسرائيل انتباهها إلى مسائل أكثر إلحاحا على حدودها الجنوبية. فمع التسوية الداخلية للمسائل اللبنانية، عبر الإصلاحات التي قام بها الرئيس فؤاد شهاب، أزيل خطر العروبة من على حدود إسرائيل الشمالية، وتحولت اهتمامات معظم اللبنانيين إلى الداخل، إلى إعادة بناء بلادهم. أما حزب الكتائب، صلة اسرائيل الرئيسية، فقد أصبح للمرة الأولى عضوا في

(١) شارل مالك، كما نقل عنه
Theodor Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon: Decline of a State and Rise of a Nation* (London: I.B. Tauris, 1993), p.1.

الحكومة، ولم يعد بحاجة إلى أي نوع من المساعدة الإسرائيلية. ولم يعد لإسرائيل ايضا أي اهتمام بلبنان حتى أواخر الستينات، إذ انها كانت تركز على دفاعاتها ضد التهديد الناصري من مصر[٢].

وعلى الرغم من ذلك، فإن الاتصالات لم تنقطع بين إسرائيل والموارنة[٣]. بل استمرت على مستوى أكثر تدنياً من قبل ومن دون تدخل إسرائيلي مباشر ومكشوف. فإلى جانب الفوائد الواضحة في ما يتعلق بالقدرة على جمع المعلومات الاستخباراتية وحالة الاستعداد العامة، كانت العلاقات مع الموارنة ما زالت تعتبر علاقات تستحق التمسك بها كجزء من المصلحة المشتركة ضد العروبة[٤]. وفي الواقع كان يُقال جدلاً، ان اسرائيل، حتى خلال هذه الفترة من التورط المتدني في الشؤون العربية الداخلية، والالتزام المتشدد للأنظمة العربية بمناهضة الدولة اليهودية، بقيت تؤدي دورا مهما جداً في نظام الضوابط ضمن سياق التورط في المنطقة. فقد دافعت إسرائيل، ضمنا، عن الأردن وسوريا ولبنان ضد مطامح مصر الإقليمية، وكذلك دافعت عن لبنان ضد مطامح سورية مماثلة[٥].

وكانت حرب الأيام الستة في حزيران/يونيو ١٩٦٧، قد أعادت لبنان ببطء إلى دائرة الاهتمام الإسرائيلية مع بروز الوجود الفلسطيني السياسي والعسكري فيه. وقد أدى في النهاية عجز الحكومة اللبنانية عن منع الفدائيين من مهاجمة شمال إسرائيل، إلى تجدد التدخل الإسرائيلي.

## عواقب الأزمة ـ من العام ١٩٥٨ حتى العام ١٩٦٠

ان تحالف الاقليات الاسرائيلي ـ الماروني لم ينقطع مع انزال المارينز الأميركيين في لبنان، بل تحول من تدخل مباشر إلى مستوى من التدخل غير

(٢) مقابلة مع إيال زيسر، تل أبيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٣) مقابلة مع أوري لوبراني، تل ابيب ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٤) Yair Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers and Wars* (London: Elek, 1973), p.64.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٠٠.



المباشر. ولِفَهْم هذا التحول، من المهم ان ننظر في التوزيع الجديد للقوى، وما نتج عنه من سياسات في لبنان.

فمع حلول شهر ايلول/سبتمبر كانت الحكومة قد سيطرت على الأزمة اللبنانية، واجرى الرئيس الجديد فؤاد شهاب، بالتعاون مع رئيس الحكومة الجديد رشيد كرامي، سلسلة من الإصلاحات الإدارية كان المقصود منها معالجة شكاوى المسلمين من افتقارهم الى الصلاحيات. وكان شهاب قد بقي على الحياد نسبيا خلال الأزمة، ولم يدع الجيش اللبناني يتدخل لصالح شمعون لأنه كان يخشى من تفكك هذا الجيش على اسس طائفية[٦]. فكان بعض المسيحيين يرون فيه خائناً لأنه لم يساعد شمعون، وكان بعض المسلمين يعتبرونه مجرد رئيس مسيحي جائر آخر. إلا أن معظم اللبنانيين رحبوا به وبإصلاحاته.

لم يعتمد شهاب سياسة معلنة موالية للغرب كما أنه لم ينحز أيضا إلى الجمهورية العربية المتحدة، فهو لم يقدم لناصر أكثر من التأييد الكلامي. لقد كان هدفه الرئيسي الإبقاء على لبنان مستقلا وغير منحاز ومنع وقوع حرب أهلية مرة أخرى. لكنه، خلف هذا الخط الرسمي، كان موالياً للغرب ومناهضا لناصر. وبالفعل فقد وثقت الولايات المتحدة «بتفكيره السليم» وبأنه «مراقب عربي عقلاني، ينظر إلى مشاكل الشرق الأوسط نظرة تخلو من شعور المرارة حيال الولايات المتحدة، المألوف لدى المواطن العربي»[٧].

وكانت الحكومة اللبنانية، في ظل شهاب، لا تزال تحافظ على صلة سرية مع إسرائيل. ففي آب/أغسطس ١٩٥٨، وقبل أن يتولى الرئيس شهاب صلاحياته، كانت تحصل مناقشات مألوفة بين مسؤولين إسرائيليين ولبنانيين لم

(٦) Telegram 401, State Department, 15 July 1958, RG 319, ACSI File, Unclassified, 1957-1958, NARA.

(٧) Department of the Army Intelligence Report R-229-55, Possibility of Resumption of Arab-Israeli Hostilities, 21 June 1955, R-SM, RG 319, ID File, ACSI, G-2 Military Intelligence, NARA.

تعرف اسماؤهم. وقد طلبت إسرائيل من لبنان أن يوضح ما يمكن أن تفعله إسرائيل لضمان استمرار النظام المسيحي[٨].

في العام ١٩٥٩، غادر الياس ربابي لبنان إلى البرازيل، وبهذا عُثر على مكان جديد لممارسة العلاقات الإسرائيلية المارونية. وبالفعل، لم يمر وقت طويل حتى طلب كاهن ريو دي جانيرو الماروني الأب الياس ماريا غريب اجتماعا بمسؤولين إسرائيليين[٩]. وقد اتصل بالسفارة الاسرائيلية نيابة عنه الماروني جورج ابي فاضل. وفي الاجتماع الذي عقد مع بنحاس لابيد، في أواسط نيسان/ابريل، ناقش الأب غريب مسألة استمرار التهديد الذي تشكله الجمهورية العربية المتحدة على مسيحيي لبنان. وشدد على أن هذا التهديد لا يطاول لبنان وحده، بل إسرائيل أيضا. وهكذا، جرى توحيد مصير اليهود والموارنة مرة أخرى، في البحث عن تحالف للأقليات. وبنهاية نيسان/أبريل، كان موارنة البرازيل قد أعلنوا صراحة عن صداقتهم لإسرائيل، وراحوا يجرون كل اتصال ممكن مع موظفي السفارة الإسرائيلية في المناسبات الاجتماعية[١٠].

وبعد أشهر قليلة فقط، لفتت العلاقات الإسرائيلية المارونية الانتباه الدولي أكثر من اللازم. فأثناء المعرض الدولي في نيويورك التقطت صورة لشارل مالك واقفا تحت العلم الإسرائيلي يتبادل التحيات مع المسؤولين عن الجناح الإسرائيلي[١١]. لكن مالكا ادعى أن زيارته هذه كانت مجرد التزام مهذّب بالشكليات، فهو لم يكن فيها يمثل لبنان بل الأمم المتحدة. وفيما يبقى المحتوى الحقيقي للحديث الذي دار بين مالك والمسؤولين الإسرائيليين متروكاً للتكهنات، فإن الصحافة، وبخاصة الصحافة العربية، قررت أن اللقاء كان لقاء سياسيا وأنه «إثبات» للعلاقة المارونية الإسرائيلية[١٢].

(٨) Klein, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations of Israel and the Arabs between the Years 1957-1967)*, p.69.

(٩) من بنحاس لابيد إلى السفير، ريو دي جانيرو ١٦ نيسان ١٩٥٩ FM 3110/2, ISA.

(١٠) السفير الإسرائيلي، ريو دي جانيرو، ٢٧ نيسان ١٩٥٩ FM 3110/2, ISA.

(١١) من أ. كوهين إلى أ. يافا، أول حزيران ١٩٥٩ FM 3770/31, ISA.

(١٢) قصاصة من إحدى صحف بغداد، ٢ آب ١٩٥٩ FM 3770/31, ISA.



بعد مرور سنة، وبعدما تلاشت مرة أخرى الشائعات عن التعاون الإسرائيلي الماروني، فاتح الرئيس اللبناني شهاب إسرائيل بنوايا أقل براءة. فقد طلب، في أيار/مايو ١٩٦٠، من أحد مراسلي صحيفة «لندن تايمز» أن يسأل إسرائيل هل في استطاعتها أن تفتعل حادثا صغيرا على الحدود المشتركة[١٣]. لأن من شأن ذلك أن يعطيه المبرر لإرسال الضباط والجنود الناصريين إلى جنوب لبنان في أثناء الانتخابات النيابية، وبهذا يضمن أن الانتخابات ستحصل دون تدخّل[١٤].

في السنوات اللاحقة هبطت العلاقات الإسرائيلية المارونية إلى ادنى مستوى لها. فقد انشغلت إسرائيل جنوبا، ووضعت بالتالي جارها الشمالي في الانتظار. أما الفئة المارونية التي كانت على اتصال مع إسرائيل فقد أصبحت الآن جزءا من الحكومة، ولم تعد العلاقات القوية مع إسرائيل ضرورية كما كانت عليه أيام المعارضة. وبالفعل، فقد كان من شأن علاقة قوية، اكثر مما يجب، أن تهدد مكانة الموارنة السياسية. ولذلك كان من مصلحة طرفي التحالف المتزعزع ابقاء العلاقات عند مستوى ادنى، أي علاقات تميّزت باجتماعات عرضية كان لها قيمة شخصية أكثر مما لها قيمة سياسية، لكنها كانت مع ذلك تشكل نوعا من التدخل[١٥].

## حرب الأيام الستة

أعادت حرب الأيام الستة في حزيران/يونيو ١٩٦٧، التدخل في لبنان إلى جدول أعمال إسرائيل. فقد اقترح بعض صانعي السياسة في إسرائيل شن حرب على لبنان أيضا بحيث يتم اجتياح جنوبه وضمه[١٦]. لكن هذا المخطط

(١٣) مقابلة مع موشي زاك، تل أبيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.

(١٤) مقابلة مع موشي زاك، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣. أنظر أيضاً
Klein, *Prakim Be Yahasei Israel VcHaAravim Bein HaShanim 1957-1967* (Chapters in the Relations of Israel and the Arabs between the Years 1957-1967), p.69.

(١٥) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل أبيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(١٦) مقابلة مع إيال زيسر، تل ابيب، ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

لم يطبق، شأنه شأن النسخات السابقة عنه. وهكذا، فإن لبنان وحده، من بين جيران إسرائيل، بقي خارج الحرب، وحافظ على سلامة أراضيه. لقد حرص الرئيس اللبناني شارل الحلو، أشد الحرص، على عدم زج الجيش اللبناني في القتال وعلى عدم السماح لجيوش عربية أخرى باستخدام الأراضي اللبنانية في مجهودها الحربي[١٧]. لكنه أعرب عن تضامن رسمي مع الجانب العربي، وكان هناك ادعاء أنه لو استمرت الحرب فترة أطول لما أعفي لبنان من التورط[١٨].

إلا أن حرب الأيام الستة أثرت في لبنان وفي العلاقات الإسرائيلية المارونية تأثيرا كبيرا. فالحرب أدت، أكثر تقريباً من أي شيء آخر، إلى تسييس الفلسطينيين في لبنان[١٩]. فاذا كان ممكناً في الماضي اعتبارهم جماعة متوطنة بشكل أو بآخر، فإنهم باتوا في هذه الآونة حركة ثورية، ومجتمعا في حالة تحول، وشعباً يستقطب الدعم العربي لاستعادة بلاده. فبعد الحرب أصبحت عمليات الفدائيين التي كانت تشن من لبنان والأردن ضد إسرائيل نسقا مستمراً. فقد أدت إلى سياسة انتقام إسرائيلية تهدف إلى «إقناع» السلطات الأردنية واللبنانية بضرورة منع الفدائيين من العمل انطلاقا من أراضيها[٢٠]. لكن لم يكن على الإسرائيليين وحدهم التصدي لظاهرة عسكرة الفلسطينيين الجديدة: فلقد تصادمت القوات اللبنانية والفلسطينيين بصورة متزايدة، حول مسألة الحريات السياسية والعسكرية، التي كانت تهدد النظام اللبناني الهش. وفي عملية البحث عن الاستقرار، الذي فشلت السلطات في تأمينه، أخذت كل مجموعة طائفية لبنانية تسلح نفسها وتبحث عن حماية خارجية[٢١].

(١٧) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.101.

(١٨) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.30.

(١٩) Ilan Peleg, *Begin's Foreign Policy, 1977-1983* (New York: Greenwood Press, 1987), p.144.

(٢٠) Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1978), p.48.

(٢١) David Kimche, *The Last Option* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1991), p.126.



وكان الوضع الإسرائيلي قد تغير أيضا. فسياسة إسرائيل، كما حددها رئيس الوزراء ليفي اشكول في التاسع من آب/أغسطس ١٩٦٧، لن تسمح بالعودة مطلقاً إلى حالة التهديد الدائم. لكن كانت هناك توجيهات اضافية أكثر تفاؤلا، تستهدف التعاون الاقتصادي والتخطيط الإقليمي مع كل دول الشرق الأوسط[٢٢]. وكانت هذه المخططات تتطلع إلى لبنان والأردن وهما دولتان تقيم معهما إسرائيل روابط سرية من أجل تأدية دور محوري. فأبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي والدبلوماسي البارز الذي لم يكف عن اعتبار إسرائيل جزءا من الشرق الأوسط، تحدث أمام المجلس الأوروبي في ستراسبورغ منذ أيلول/سبتمبر ١٩٦٧ عن مطابقة المثال الأوروبي لمقتضى حال المأزق في الشرق الأوسط. وعرض خلاصة لاحتمال تسوية من شأنها ان تعطي الشرق الأوسط «بنية المجموعة ذات المصالح المشتركة». كما اقترح إمكانية ان تنشىء إسرائيل وجاراتها في الشرق والشمال علاقة شبيهة باتفاق البينيلوكس، الذي كان المقدمة لإنشاء المجموعة الأوروبية[٢٣].

غير ان هذه المخططات لم تتحقق قط، وقد أدت تطورات، مثل الغارة على بيروت، إلى جعلها، أكثر فأكثر، بعيدة المنال وطوباوية. فقد كانت الغارة على بيروت في كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨، مثالاً على تداعي أمن إسرائيل الاساسي، وعلى الخلل الذي اصاب استقرار لبنان. ففي الثامن والعشرين من كانون الأول ١٩٦٨، هاجمت ثماني طائرات هيليكوبتر إسرائيلية مطار بيروت، ودمرت ثلاث عشرة طائرة مدنية، انتقاماً من قيام اثنين من العرب، قبل يومين، بمهاجمة طائرة تابعة لشركة العال في مطار أثينا[٢٤]. وقد ادعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن هذا الهجوم. ولأن الجبهة الشعبية كانت منذ العام ١٩٦٧، تعمل علناً من لبنان بمعرفة الحكومة اللبنانية

(٢٢) Yehuda Lucacs, *The Israeli-Palestinian Conflict: A Documentary Record, 1967-1990* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), p.171.

(٢٣) Eban, *Personal witness*, p.509.

(٢٤) Richard Falk, 'The Beirut Raid and the Law of Retaliation', in John Norton Moore (ed.), *The Arab-Israeli Conflict*, Vol. II: Readings (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1974), pp.221-2.

ورضاها، فإن صانعي السياسة في إسرائيل قرروا توجيه الضربة إلى لبنان. وفي اجتماع مجلس الأمن الدولي الذي تلا الغارة على بيروت، اتهمت إسرائيل لبنان «بدعم عمليات الحرب والحض عليها وعلى العنف والإرهاب والتي تمارسها منظمات وقوى غير نظامية ضد إسرائيل»[٢٥]. وكان رئيس وزراء لبنان، عبد الله اليافي، قد وصف في الواقع العمليات الفدائية بأنها «مشروعة ومقدسة»[٢٦]. وعوض أن تؤدي الغارة على بيروت إلى تشديد قبضة السلطات اللبنانية على الفلسطينيين، فإن الأحداث التي رافقتها أظهرت فقط عجز الحكومة اللبنانية عن التصدّي للنفوذ الفلسطيني المتزايد، كما أظهرت عدم فعالية سياسة إسرائيل الانتقامية في الساحة اللبنانية. فبعد اقل من ثلاثة أيام على الغارة، كعمل انتقامي مضاد، قصفت الجبهة الشعبية كريات شمونة وأوقعت قتيلين مدنيين إسرائيليين.

كانت هذه هي النقطة التي بدأ منها أمن إسرائيل القومي طريقه الطويل إلى التداعي مع تزايد عمليات التسلل وعمليات القصف عبر الحدود من جنوب لبنان، في الوقت الذي كانت فيه السياسة الداخلية اللبنانية تعاني تدخلا متزايدا من الدول العربية المروّجة للقضية الفلسطينية ومن الفلسطينيين أنفسهم في لبنان على حد سواء. وقد عُزي تآكل أمن إسرائيل إلى توسّع المؤسسة العسكرية والافتقار الى استراتيجية سياسية متوازنة[٢٧]. أضف إلى ذلك، أن الميل الى محاولة حل كل مشكلة بالوسائل العسكرية هي التي عبدت الطريق أمام تورط اسرائيل في لبنان بسياسة تعتمد التدخل المكشوف.

## اتفاق القاهرة

اعقب اتفاق القاهرة حرب الأيام الستة، وكان نقطة استدلال في العلاقات الإسرائيلية اللبنانية. فقد شكل بالفعل حافزا لاهتمام الموارنة والاسرائيليين

(٢٥) المصدر نفسه، ص٢٢٣.

(٢٦) *New York Times*, 5 January 1969; see also Lebanese Delegate Tekoa's statement before the UNSC, S/PV 1461, United Nations Archives.

(٢٧) Emanuel Wald, *The Wald Report: The Decline of Israeli National Security since 1967* (Boulder: Westview Press, 1992), p.1.



بتحالف أكثر نشاطاً، وبشكل مباشر أكثر من اشكال التدخل الإسرائيلي لدعم الوضع القائم الذي يسيطر عليه الموارنة.

في العام ١٩٦٩، شُكلت حكومة لبنانية جديدة حل فيها رشيد كرامي رئيساً للوزراء محل عبدالله اليافي. فكرامي، الذي كان قد أمر الجيش اللبناني إبان حرب الأيام الستة بالتحرك ضد إسرائيل ولم تُطاع أوامره، كان ينوي الانضمام بشكل أكثر فعالية في النضال ضد إسرائيل[٢٨]. وعبّر الصراع عن نفسه بمواقف أكثر موالاة للفلسطينيين. وأصبحت «السيطرة الفلسطينية» على لبنان الهمّ الاكثر حدة من غيره من هموم الطائفة المسيحية التي رأت في الفلسطينيين تهديدا للسيادة والوضع القائم. واندلعت اشتباكات عنيفة بين الجيش اللبناني والمقاتلين الفلسطينيين بعدما أكد كرامي أنه يمكن بسهولة إيجاد توافق بين النشاط الفدائي الفلسطيني على الأرض اللبنانية، وبين سيادة البلد وأمنه، وذلك عبر إدخال ما أسماه التنسيق بين الجيش اللبناني وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني[٢٩]. فعارض المسيحيون الفكرة معارضة تامة، وتمسكوا بوجهة نظرهم أن أفضل وسائل الدفاع هي في كبح النشاط الفلسطيني حتى لا تُعطى اسرائيل ذريعة للهجوم. لكن ضغوط جيران لبنان العرب لم تترك مجالا للمناورة، وأدت في النهاية إلى اتفاق القاهرة الذي رأى فيه معظم المسيحيين اللبنانيين خيانة لسيادة لبنان[٣٠].

وفي الثالث من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩، اضفى اتفاق القاهرة، بضغط من سوريا والسعودية والأردن ومصر، صفة رسمية على الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان. ورأى ناصر، حامي القضية الفلسطينية، في اتفاق القاهرة خطوة أخرى لضمان سيطرة مصر على الفلسطينيين، والأهم، أنها خطوة من شأنها تحويل الانظار عن هزيمته في العام ١٩٦٧[٣١]. اذ سوف يُنظر اليه كمن حلّ المشكلة وسوف يكسب قاعدة جديدة ينطلق منها

(٢٨) Falk, 'The Beirut Raid and the Law of Retaliation', p.224.

(٢٩) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.41.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٤٢-٤٣.

(٣١) Kimche, *The Last Option*, p.126.

لمهاجمة إسرائيل. وبذلك، جرى تحويل لبنان الحيادي عمليا إلى دولة مواجهة. وقد كان للأردن أسبابه الداخلية لدعم اضفاء الطابع الفلسطيني على لبنان، فعدد سكانه الفلسطينيين المرتفع كان يهدد الملكية الاردنية بنشوء «دولة ضمن الدولة»، وتشريع وجودهم في لبنان اعتُبر بمثابة صمام أمان.

وزود اتفاق القاهرة منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها المنظمة المظلة، بوسائل شرعية لمهاجمة إسرائيل من لبنان ومع حرية كاملة في الحركة، بينما طمأن اللبنانيين لجهة عدم تعرض سيادتهم وسلامة اراضيهم للخطر. كما ان الاتفاق شرّع وجود مراكز قيادة للكفاح المسلح الفلسطيني في داخل المخيمات التي ستتعاون مع السلطات المحلية وتضمن علاقات جيدة معها. وكان على هذه المراكز أن تتولى الترتيبات لحمل السلاح وضبطه داخل المخيمات آخذة في الاعتبار كلا من أمن لبنان ومصلحة الثوار الفلسطينيين[٣٢]. وجرى الاتفاق على تسهيل عمليات الفدائيين عبر مساعدتهم في بلوغ الحدود، وعلى التعاون المشترك بين قيادة الكفاح المسلّح الفلسطيني والجيش اللبناني، وعلى تعيين ممثل لقيادة الكفاح المسلح في القيادة العليا اللبنانية.

لقد جاء اتفاق القاهرة ليفاقم الكثير من المشاكل الموجودة، وكان بمثابة العامل المحفّز على تفكك لبنان والتدخل الاجنبي فيه. وقد رأى معظم الموارنة في الاتفاق مؤشراً على الرضوخ للضغوط الفلسطينية التي جعلها دعم الدول العربية ضغوطاً فعالة[٣٣]. وأصبحوا يشككون أكثر فأكثر باللبنانيين الآخرين، ولا سيما بأولئك الذين يتعاطفون مع القضية الفلسطينية. وبدأت كل المجموعات اللبنانية السياسية والطائفية تشكيل قواتها شبه العسكرية للحماية. أضف إلى ذلك، أن الطريق المفتوحة إلى الحدود الإسرائيلية سمحت بشن غارات فلسطينية أكثر نجاحا، وبدأ جنوب لبنان يصبح، أكثر فأكثر، هدفا للغارات الإسرائيلية الانتقامية[٣٤]. ومع حلول آذار/مارس ١٩٧٠، أخذت الغارات الإسرائيلية على تلك الاجزاء من جنوب لبنان التي ينطلق منها

---

(٣٢) للاطلاع على نص اتفاق القاهرة انظر Lucacs, *The Israeli-Palestinian Conflict*, p.456.

(٣٣) Peleg, *Begin's Foreign Policy*, p.146.

(٣٤) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.265.



الفلسطينيون في عملياتهم، تضفي صدقية على التخوفات التي عبّر عنها معظم المسيحيين. وقد عقدت الآمال بحصول تغيير على انتخاب الرئيس اللبناني الجديد، هو سليمان فرنجية، الذي كان يتوقع منه أن يتخذ الإجراءات نفسها التي سبق للأردن أن اتخذها في حق الفلسطينيين[٣٥]. لكن الجيش اللبناني، على عكس الجيش الأردني، لم يكن موحدا عندما يتحرك ضد الفلسطينيين بعدما أصبحوا رمزا لتطلعات المسلمين اللبنانيين ولآمالهم في الارتقاء سياسيا واجتماعيا إلى مستوى المسيحيين الذين كانوا يتحكمون بهم بكل ما لكلمة تحكم من معنى. وهكذا بدأ الموارنة، مرة أخرى، يبحثون عن طريقة تضمن سيطرتهم وبقاء الوضع القائم.

## فقدان السيطرة على الفلسطينيين ١٩٧١ ـ ١٩٧٤

ان المعضلة المتزايدة لوضع الموارنة لم تمر دون ان يلتفت اليها حلفاؤهم الإسرائيليون الذين كانت لهم مصلحة أيضا في الإبقاء على الوضع القائم. وقد أبقت إسرائيل بالفعل، عينا يقظة على الوضع السياسي لحليفها الشمالي، واقترن ذلك بقلق متنام من جراء ما شاهدته. فالنظام السياسي الهش في لبنان لم يكن يستطيع التّصدي للهوة المتسعة بين الأغنياء والفقراء، خصوصا إذا كان هؤلاء الفقراء من المسلمين الشيعة أيضاً، الذين ليس لهم سوى الحد الأدنى من القوة السياسية والاجتماعية. أضف إلى ذلك، أن الانفجار السكاني في مجتمع اللاجئين الفلسطينيين، بعد طردهم من الأردن، لم يؤد إلى تكثيف حزام الفقر حول بيروت، فحسب، بل أحيا أيضاً الخوف في وسط الكثير من المسيحيين من أن يتحولوا إلى أقلية. كما أن لا مبالاة الفلسطينيين بمشكلات الدولة المضيفة عبر خلقهم «دولة داخل الدولة»، قد ساهم في نزع الشرعية عن الحكومة اللبنانية. وأخيرا، فإن مخاوف سوريا وإسرائيل من انعدام السيطرة والاستقرار الذي يهدد أمنهما قد أدت الى اقدام قوى أجنبية على ملء الفراغ السياسي الذي خلفته الفئات اللبنانية المتحاربة. وقد أدى أيضاً، اهتمام إسرائيل المتجدد بلبنان الى إحياء المفهوم المألوف جداً، ألا وهو تحالف الأقليات.

---

(٣٥) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.51.

في العام ١٩٧٠، انتخب سليمان فرنجية رئيسا للبنان. لقد كان فرنجية قائدا تقليديا، وزعيما من زغرتا في الشمال اللبناني. كان ينظر إلى نفسه كعربي، ولكن مسيحي في الوقت عينه، ينظر الى لبنان على أنه جزء من العالم العربي، لكنه جزء مسند اليه دور خاص يلعبه. وكانت علاقات الصداقة التي تجمع بين عائلته وعائلة الرئيس السوري حافظ الأسد، قد عززتها نظرته الى تقارب لبنان مع سوريا. وقد انتخب بصفته مرشحا مقبولا من قبل الطائفتين المسيحية والمسلمة. وانطلقت بداية عهده بدون مصاعب، بالدرجة الاولى، بسبب تعاون رئيس الوزراء صائب سلام معه. لكن، مع مرور الوقت، بدأ يجد صعوبة متزايدة في جعل شركائه المسلمين يتعاونون في تشكيل الحكومات والحفاظ على الغالبية السياسية، خصوصا بعد انتخابات ١٩٧٢ التي تدخلت فيها سوريا سرا[٣٦]. كانت هذه الانتخابات البرلمانية، من عدة وجوه، نقطة التحول في سياسات لبنان الداخلية والخارجية. فقد شكلت دلالة على حلول دمشق محل القاهرة كمركز خارجي لولاء اللبنانيين المسلمين. واكتسبت دمشق سلطة الفيتو على القرارات الرئيسية المتعلقة بسياسة لبنان الداخلية والخارجية: وأصبحت العادة في هذه الآونة، أن يذهب السياسيون اللبنانيون إلى دمشق[٣٧].

في الوقت نفسه، أي في العام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، واجه لبنان مسألة تمركز منظمة التحرير الفلسطينية على أراضيه. فحتى أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠، كانت حركة الفدائيين متمركزة في الأردن الذي كانت له أطول حدود مشتركة مع إسرائيل. من هناك كانت منظمة التحرير الفلسطينية تتبع سياسة تهدف إلى انهاك قوة إسرائيل وإرادتها، وذلك من خلال عمليات فدائية لإظهار فشل إسرائيل في الحفاظ على السيطرة الفعالة وتأمين الحماية داخل اراضيها[٣٨]. وكان لإسرائيل، في المقابل، سياسة انتقامية ليست غير متناسبة مع الهجوم الأصلي، فحسب، بل تهدف أيضا إلى معاقبة الدولة التي تؤوي الفدائيين.

(٣٦) Rabinovich, *The War for Lebanon*, pp.37-41.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٣٨) Bard O'Neill, *Armed Struggle in Palestine: A Political-Military Analysis* (Boulder: Westview Press, 1978), p.15.



وكان اجتذاب ضربات عسكرية إسرائيلية غير مرغوب فيها ضد الأردن، والخوف من استيلاء الفلسطينيين على زمام الاردن، حيث أقاموا دولة ضمن الدولة، قد بلورا قرار النخب الاردنية، السياسية والعسكرية، بوقف تآكل سلطة دولتهم بالقوة. وهذا ما جعل الأردنيون يستغلون أخطاء منظمة التحرير الفلسطينية واستفزازاتها لافتعال مواجهة معها وطردها من بلدهم[٣٩]. ففي خلال ما عرف بأيلول الأسود، هاجم الجيش الأردني مخيمات اللاجئين، ما أجبر الذين حالفهم الحظ بالنجاة بأنفسهم، على عبور الحدود إلى لبنان. وبهذا، فقد أصبح لبنان حينئذ الدولة الوحيدة التي لها حدود مشتركة مع إسرائيل والتي لا تملك الوسائل الكافية للسيطرة على منظمة التحرير.

وبعد وقت قليل من انتقال مقر منظمة التحرير الفلسطينية إلى بيروت، تمتع لبنان بفترة استراحة وجيزة. فقد كان الفلسطينيون محجمين عن مواجهة مجابهة أخرى، بينما كان اللبنانيون لا يزالون راضين باختيارهم الجديد لرئيس الدولة. لكن اسرائيل لم تهمل تزايد الوجود الفلسطيني اخيراً في لبنان، بل إنه، جعلها توسع اتصالاتها مع الموارنة لتشمل موارنة ومسيحيين آخرين يعيشون في اراضي جنوب لبنان ذات الاهمية الحاسمة، معطية بذلك حياة جديدة لتحالف الأقليات.

وأخذ قائد منطقة شمال إسرائيل مردخاي غور يعقد اجتماعات مع قائد وحدات الجيش اللبناني في جنوب لبنان سعد حداد[٤٠]. ومع أن حداد من طائفة الروم الكاثوليك وغير ماروني لم يغير في الامر شيئاً، لأنه كان يمثل مصالح الموارنة في جنوب لبنان. وكان موضوع هذه الاجتماعات هو الخطر الذي يشكله الوجود الفلسطيني على حدود إسرائيل الشمالية. ويتذكر غور قوله لحداد في احد هذه الاجتماعات بأن لبنان يسمح للفلسطينيين بإقامة القواعد في كل مكان، وبأن الفلسطينيين «يمارسون الإرهاب» بغطاء لبناني[٤١]. وطلب عندها من حداد وقف مثل هذه الممارسات لأنهم يخضعون

(٣٩) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.41.

(٤٠) مقابلة مع مردخاي غور، تل ابيب، ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٤١) المصدر نفسه.

لسيطرته. ورد حداد على هذا الطلب قائلا إن هناك حدودا لما يمكن أن يفعله في ظل غياب حكومة مركزية قادرة وجيش قوي. عندها قال غور إذا لم يقم حداد بأي عمل، فإنه سيتعين على إسرائيل ان تتصرف[٤٢]. ولهذا لم يشكل الأمر مفاجأة عندما شن الجيش الإسرائيلي، في العام ١٩٧٢، الهجوم الاول في سلسلة عمليات برية واسعة داخل جنوب لبنان، في حين وقف الجيش اللبناني جانباً أو انه عمد فقط، الى التظاهر بالمقاومة، بدون أي حماس يذكر[٤٣].

وكان رئيس الأركان الإسرائيلي، الجنرال ديفيد إليعازار، قد أصدر مزيدا من الإنذارات الرسمية إلى لبنان مفادها أن «هجمات الفدائيين، انطلاقا من اراضيه، من شأنها أن تنزل الكوارث بقراه الجنوبية»[٤٤]. فكان من الحكومة اللبنانية أن طالبت بإعادة إحياء لجنة الهدنة الإسرائيلية اللبنانية المشتركة لمناقشة هذه المقاربة الإسرائيلية لمعالجة المشكلة[٤٥]. إلا أن الحكومة الإسرائيلية أعلنت أنها لم تعد تعترف بلجنة الهدنة بعدما أصدر لبنان بيانا تضامنيا مع الدول العربية في ١٩٦٧، كما أن مسؤولاً في وزارة الخارجية أعلن أن فترة الهدنة قد انتهت، وأنه يجب التوصل إلى سلام دائم[٤٦]. لكن الضغوط الإسرائيلية على الحكومة اللبنانية لم تجدِ نفعاً في وقف الفدائيين الفلسطينيين لأن لبنان لم يكن قادراً على فرض سلطته في هذا الشأن، ولم يكن قويا محليا وإقليميا، بما فيه الكفاية، لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل. وبالفعل، فإن انعدام المعارضة اللبنانية لخطوة إسرائيل قد أدى إلى إحداث ضجة سياسية[٤٧].

في هذا الوقت، واصلت إسرائيل عملياتها بهجوم استمر أربعة أيام في شباط/فبراير ١٩٧٢، لتدمير مراكز قيادة الفدائيين ومعسكراتهم ومبانيهم.

---

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.115.

(٤٤) Lester Sobel (ed.), *Israel and the Arabs: The October 1973 War* (New York: Facts on File, 1974), p.4.

(٤٥) *Egyptian Gazette*, 9 March 1972.

(٤٦) *Financial Times*, 9 March 1972.

(٤٧) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.115.



وفي آذار/مارس، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي موشي دايان أن بلاده «تحتفظ بخيار الابقاء على وجود غير محدد في لبنان، إذا فشلت بيروت في كبح هجمات الفدائيين الفلسطينيين على إسرائيل التي تنطلق من أراضيه»[٤٨]. وفي ايار/مايو، وبعد الهجوم على مطار بن غوريون، أعلنت الحكومة الإسرائيلية أنها ستعتبر لبنان مسؤولا عن كل أعمال منظمة التحرير الفلسطينية، لأنه مركز هذه العمليات[٤٩]. وفي حزيران/يونيو، أدى القصف الكثيف على كريات شمونة والاشتباكات مقابل الساحل اللبناني إلى غارة إسرائيلية أخرى.

لم يكن فرض السيطرة على تحركات الفلسطينيين في لبنان مهمة سهلة بالنسبة إلى الحكومة اللبنانية. فقد كان الفلسطينيون يتلقون دعماً كبيراً من اللبنانيين المسلمين أدى بدوره إلى انقسام داخل صفوف النخبة السياسية. لكن، في حزيران/يونيو ١٩٧٢، توصل الجانبان اللبناني والفلسطيني إلى اتفاق يقضي بتعليق الهجمات على إسرائيل مؤقتاً لتجنيب لبنان العمليات الانتقامية. إلا أن بعض الفصائل الفلسطينية لم تشعر بأنها ملزمة بهذا الاتفاق، فاستمرت الهجمات الفدائية على إسرائيل، ومعها تواصلت الغارات الإسرائيلية على لبنان. ففي ١٦ أيلول/سبتمبر، شنت إسرائيل هجوماً رئيسياً برياً وجوياً على ١٦ قرية لبنانية فدمرت ١٥٠ منزلاً وقتلت ٣٥ فلسطينياً و١٨ جندياً لبنانياً و٣٥ مدنياً لبنانياً[٥٠]. واعتبرت إسرائيل أن مثل هذه العملية هي ضرورية على الرغم من ارتفاع عدد الإصابات. بل أكثر من ذلك، فإن الولايات المتحدة تغاضت عن هذه العملية ودعم وزير خارجيتها وليام روجر مزاعم إسرائيل أن الأولوية يجب أن تعطى لمحاربة الموجة الراهنة من «الإرهاب العربي» دون أن يعرب عن أي لوم لإسرائيل على مهاجمتها القواعد الفلسطينية في لبنان[٥١].

وكان ردّ الحكومة اللبنانية بأن أمرت الفدائيين بالخروج من كل القرى

---

(٤٨) Sobel, *Israel and the Arabs*, p.6.

(٤٩) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.170.

(٥٠) Sobel, *Israel and the Arabs*, p.14.

(٥١) *International Herald Tribune*, 25 September 1972.

اللبنانية وحصرتهم في مخيمات اللاجئين، ولم تعد تسمح لهم بحمل السلاح إلا في داخلها. فاستجاب الفلسطينيون إلى الأمر؛ غير أن الإسرائيليين لم يكتفوا بذلك. ففي ١٥ تشرين الأول/اكتوبر، أعلن المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي سياسة إسرائيل الجديدة: «لن ننتظر بعد الآن أن يهاجمونا أولا. لقد حانت مرحلة تنفيذ تعهدنا ضرب الإرهابيين اينما كانوا وها هم الآن في لبنان»[٥٢]. كما شرح الرئيس الإسرائيلي حاييم هيرتزوغ هذا البيان بالتفصيل، فقال: «لسنا منخرطين في عملية انتقام، بل نحن في حرب مع الإرهاب. فمجرد وجود الإرهابيين في المنطقة الواقعة بين الحدود ونهر الليطاني هو استفزاز»[٥٣].

لم يكن الوضع قد تغير كثيرا في ربيع ١٩٧٣. فقد كان الجيش اللبناني يحاول كبح الفلسطينيين لكن دون نتيجة تذكر، ما جعل إسرائيل تشن غارات على أهداف فلسطينية في صيدا وبيروت[٥٤]، وأنزلت كوماندوس إسرائيلي فيها وقتل ثلاثة قادة من منظمة التحرير الفلسطينية في شارع فردان. وكانت التطورات المحلية والخارجية تتجه نحو أزمة لم يكن في وسع فرنجية والمجموعات التي يمثلها الاضطلاع بها. فطلب رئيس الوزراء سلام من قائد الجيش اسكندر غانم، التنحي بسبب الغارة الاسرائيلية على بيروت، لكن الرئيس فرنجية رفض الموافقة على ذلك، مما اضطر سلام إلى تقديم استقالته[٥٥]. وقد أدت استقالة سلام إلى نشوب أزمة سياسية أخرى، مشعلة اشتباكات بين الجيش اللبناني والفلسطينيين، ما لبثت أن تحولت إلى قتال عنيف أطلق الفلسطينيون خلاله صواريخهم على مطار بيروت وقصف سلاح الجو اللبناني برج البراجنة[٥٦]. واتهم الفلسطينيون وحركة القوميين العرب اللبنانيين اليساريين قوى الأمن اللبنانية بالتواطؤ[٥٧]. وقد أدى اندلاع أعمال العنف

---

(٥٢) Sobel (ed.), *Israel and the Arabs: The October 1973 War*, p.17.

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) Bailey, *Four Arab-Israeli Wars and the Peace Process*, p.298. See also Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.66.

(٥٥) Salibi, *Crossroads to Civl War*, p.66.

(٥٦) المصدر نفسه ص ٦٨.

(٥٧) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.112.



التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت إلى مواجهة مباشرة لبنانية فلسطينية. عندها اقفلت سوريا حدودها تهديدا للبنان، ونددت علنا بما وصفته بالمشاركة اللبنانية في مؤامرة موحى بها من الخارج لاستكمال تصفية المقاومة الفلسطينية[٥٨]. وكانت الرسالة واضحة: على لبنان أن يتوصل إلى تفاهم مع الفلسطينيين.

جاء هذا التفاهم على صورة اتفاق ملكارت الذي عُقد في ١٧ أيار/مايو ١٩٧٣، وقد أكد الاتفاق مجدداً دعم لبنان للقضية الفلسطينية، لكنه حظر تواجد الفدائيين والأسلحة خارج المخيمات. كذلك، جرى تعليق كل العمليات الفدائية التي تنطلق من الأراضي اللبنانية عملاً بقرارات مجلس الدفاع العربي المشترك. وقد قضى هذا الاتفاق بوجوب احترام سيادة لبنان، وتضمن بالاضافة الى ذلك، دعوة للعودة إلى المناخ الذي كان سائدا قبل الاشتباكات، وإلى تخفيف الشكوك، وإلغاء حالة الطوارئ[٥٩].

لكن الأزمة السياسية اللبنانية لم تجد حلا. فقد كان دور الإسلام يتنامى في أنحاء العالم العربي وكانت تنمو معه جرأة مسلمي لبنان وثقتهم بأنفسهم. ولم يعد ينظر إلى فرنجية على أنه مرشح تسوية. فقد وصفه النائب الشيعي محسن سليم بما يلي: «إن سليمان فرنجية شخص لطيف جدا لكنه ليس بالمفكر العظيم. وقد اختار معاونين من مستواه وأحاط نفسه بأبناء العائلات القديمة. وهو بذلك يشل لبنان لأن هذه العائلات لم يكن لديها أي اهتمام بالتقدم، مهما كان ذلك طفيفاً»[٦٠].

وأدت الثورة النفطية في الشرق الأوسط إلى ازدياد التوترات الاجتماعية والاقتصادية في لبنان. فقد كانت الفجوات الاجتماعية الاقتصادية تتسع مع تدفق العائدات النفطية. فالارتفاع الكبير في الأسعار والفساد السياسي والإداري، ومطالب العمال، والقلاقل الطلابية والاحتجاجات وازدياد المطالب

---

(٥٨) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.43. See also Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.68.

(٥٩) Lucacs, *the Israeli-Palestinian Conflict*, p.457.

(٦٠) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.368.

السياسية للطائفة الشيعية، كلها ساهمت في تفكك المجتمع. ولم تكن السلطة الحكومية تواجه تحديا داخلياً من جماعات الناخبين التي تطالب بإعادة توزيع السلطة، فحسب، بل أيضاً من الغارات الإسرائيلية على الجنوب، ومن تجدد مطالبة سوريا بحقها في لبنان. ومع مرور الوقت، بدأ الموارنة يدركون أكثر فأكثر منحى السبعينات ويرون فيه اتجاها مضادا لمصالحهم[٦١]. فالاشتباكات أدت إلى اقتناع المسيحيين، اكثر من أي وقت مضى، بأن لبنان لن يستعيد سيادته إلا برحيل الفلسطينيين جميعاً. وبدأوا منذ العام ١٩٧٣ فصاعداً يحضرون لمعركتهم الحاسمة مع الفلسطينيين بقيادة الكتائب والرئيس فرنجية والرئيس السابق كميل شمعون[٦٢]. كما أخذوا أيضا يبحثون عن التمويل والدعم في الخارج[٦٣].

وفي تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، اندلعت حرب جديدة بين إسرائيل وجيرانها العرب. ومرة أخرى تمكن لبنان من البقاء بمعزل عن التورط فيها. ومع ذلك فقد كان للحرب تأثير مباشر ومهم فيه. وفي أعقاب الحرب كان لبنان واللبنانيون، المسيحيون بخاصة، يؤيدون تسوية مع إسرائيل، لكن الراديكاليين في صفوف المسلمين اللبنانيين نددوا بذلك بصفته «مخططاً استسلامياً»[٦٤]. وهكذا بدأت تنمو بذور الشك المتبادل المزروعة من قبل.

في العام ١٩٧٤، لم يكد يمر أسبوع دون أن تتعرض بعض القرى في جنوب لبنان للغارات الإسرائيلية. وشرعت الاشتباكات تتزايد بين الفلسطينيين واللبنانيين المسيحيين في وقت كان الوضع السياسي للمسيحيين يتدهور بسرعة. وفي الواقع، فقد اعتبر الفلسطينيون اتفاق ملكارت باطلاً ولم يعودوا يشعرون بأنهم ملزمون بضبط النفس حيال إسرائيل، أو احترام المؤسسة اللبنانية[٦٥]. وفي المقابل ازداد التدخل العسكري الإسرائيلي، وبدأت عملية سبر امكانات جديدة لتحالف الأقليات بين الموارنة وإسرائيل.

(٦١) Peleg, *Begin's Foreign Policy*, p.146.

(٦٢) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.113.

(٦٣) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.69.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٦٥) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.173.



## تقويم العلاقة الإسرائيلية ـ المارونية

إن فترة ما بين الحربين الأهليتين اللبنانيتين الأولى والثانية كانت فترة مهمة لأنها شكلت رابطا بين مرحلتين من النشاط الإسرائيلي الماروني المكثف. وبالتالي، فمن المهم أن ننظر إلى التأثيرات الخارجية والداخلية في تحالف الأقليات، التي كانت سبباً في سقوطه وفي انبعاثه فيما بعد.

فعلى الصعيد الخارجي، فقد كان تفكك الجمهورية العربية المتحدة مؤشراً إلى نهاية خطر العروبة المشترك، تاركا إسرائيل تحارب منفردة على حدودها الجنوبية. ولم تعد هناك حاجة إلى «مؤامرات» وإلى «ثورات» وإلى تدخل إسرائيلي لإنقاذ هيمنة الموارنة. ولهذا، فإن الفترة الممتدة من العام ١٩٦١ حتى العام ١٩٦٧، تميزت باتصالات على مستوى متدن لم تؤد إلى نتائج عملية[٦٦]. لكن حرب الأيام الستة شهدت بداية تهديد جديد مشترك مصدره الفلسطينيون. فقد بدأ الكثيرون من الموارنة يشعرون بتآكل مكانتهم الديموغرافية في المجتمع اللبناني، عندما سلّط الضوء على هذا الشعور أيلول الأسود في العام ١٩٧٠، الذي تبعه طرد منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى لبنان. وعند هذه النقطة، أخذت العلاقات بين إسرائيل ومختلف الفئات المارونية، في الشمال والجنوب، تنتعش من جديد.

أما على الصعيد الداخلي، فلم يكن عند الطرف الإسرائيلي صعود وهبوط في ما يتعلق بالنظرة إلى الموارنة. بل يمكن رسم مستوى هذه النظرة في خط مستقيم من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٧٥. فخلال هذه الفترة، كانت إسرائيل تنظر إلى الموارنة على أنهم حلفاء، بل إنها كانت تنظر إليهم على أنهم فئة مسيطرة في لبنان. وبالفعل كان هناك زعم يقول ان صانعي القرار في إسرائيل كانوا، وحتى العام ١٩٧٥، ينظرون إلى لبنان على أنه دولة مسيحية[٦٧]. واستنادا إلى هذه الفرضية الخاطئة بقي عضو الكنيست جابوتينسكي يكرر تشجيعه على التعاون مع الموارنة حتى وفاته[٦٨]. وهكذا،

(٦٦) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٦٧) مقابلة مع مصدر في وزارة الخارجية، القدس ٢٨ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٦٨) مقابلة مع أريبه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

مع أواخر الستينات اصبحت هناك مسلّمة مؤداها أن لبنان سوف يكون الدولة الثانية (بعد الأردن) التي ستوقع معاهدة سلام مع إسرائيل[٦٩].

بالإضافة إلى ذلك، لم يحصل أي تغيير في تفكير إسرائيل بمحيطها، بل استمرت فكرة إقامة التحالفات من غير أن تتم ابداً إعادة تقويمها على اساس النجاح أو الفشل[٧٠]. وظل مفهوم تحالف الأقليات موضوع متابعة، وقد أعيد إحياؤه بسهولة في العام ١٩٧٥ دون أن يثير ذلك الكثير من التساؤل. وظلت النظرة إلى الموارنة على أنهم «حلفاء طبيعيون»، من دون إجراء أي تحليل نقدي للامر. والواقع أنه كان لا يزال ينظر إلى لبنان على أنه الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي كانت تكنّ في قرارتها نوايا صادقة، لأنها بحسب بن غوريون «الحلقة الأضعف في السلسلة العربية». وهذه المدركات، أو بالأحرى غياب أي تغيير فيها، ربطت ربطاً مباشراً بين علاقات إسرائيل بالموارنة في الماضي وعلاقاتها معهم في المستقبل.

(٦٩) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٧٠) مقابلة مع يعقوب شيموني، القدس ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣.



# ٥ تفكك دولة: الموارنة يتحولون صوب إسرائيل

يمكن للمرء ان يفكر ملياً فيما لو كان باستطاعة لبنان تفادي عاصفة الشرق الاوسط لو ان سياسييه كانوا أقل استخفافاً بالعواقب. ولو افترضنا لبنان اكثر تجانساً وافضل حكماً ـ كأن يكون مسلماً بأغلبيته ومنحازاً الى البلدان العربية الاخرى، أو مسيحياً بأغلبيته، اقل خوفاً من العجز السياسي، ومنحازاً انحيازاً مماثلاً ـ لما استطاع أن يتجنب دوامة العنف، لمجرد موقعه الجغرافي[١].

تُظهر الفترة الممتدة بين اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية الثانية وانتخاب حكومة الليكود في إسرائيل، اهتماماً اسرائيلياً ومارونياً متجدداً بتحالف الأقليات، وبالطبع بشكل أكثر مباشرة من اشكال التدخل الاسرائيلي. فقد تفجرت أزمة سياسية في العام ١٩٧٥ إبان اضراب لصيادي السمك في صيدا حيث تعرض جنود لبنانيون لكمين أثناء إزالتهم أحد الحواجز[٢]. وتوسعت الأزمة في ١٣ نيسان/ ابريل، بعدما أطلق فلسطينيون النار على رئيس الكتائب بيار الجميل، اذ اقدمت الكتائب على الرد بالمثل، فنصبت كميناً لباص فلسطيني كان ماراً في عين الرمانة. وأشعل هذا الحادث مزيداً من الاشتباكات بين المسيحيين والفلسطينيين، وبدأت الحرب الأهلية. وتابع صانعو السياسة الإسرائيليون الأحداث عن كثب، ولم يتوقعوا أقل من مناشدة مارونية للمساعدة ولتحالف أوثق يقوم على اساس تجربة سابقة.

(١) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.178.
(٢) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.95.

## الحرب الأهلية اللبنانية، ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، ومصالح إسرائيل

كانت إسرائيل تعتبر أن وجود دولة مستقرة ومسالمة على حدودها الشمالية هو أمر مهم لأمنها. لكن مع انتقال قيادة منظمة التحرير إلى بيروت، أصبح لبنان مصدر قلق أمني متزايد. وقد حولت الحرب الأهلية في العام ١٩٧٥ هذا القلق إلى مشكلة حقيقية وبلورت سياسات إسرائيل الأمنية. فقد كانت إسرائيل ترصد الحرب عن كثب، خصوصاً في ضوء امكانية سقوط لبنان في يد منظمة التحرير الفلسطينية، فينتهي به الامر الى مجرد دمية في يد حكومة سوريا، أو تستمر الحرب الأهلية وتنتشر القلاقل في المنطقة[٣]. أضف إلى ذلك، ومن وجهة نظر استراتيجية، أن هزيمة الموارنة يمكنها ان تكفل لسوريا جبهة على شكل هلال مع إسرائيل تتألف من لبنان وسوريا والأردن[٤]. ولهذا كانت لإسرائيل مصلحة في إحياء تحالفها النائم مع الموارنة.

حتى ان الحاجة الى التحالف مع إسرائيل كانت أكبر لدى بعض الموارنة، لأن اللاجئين الفلسطينيين ومنظمة التحرير كانوا قد ساهموا مساهمة فعالة في السبعينات في نسف شرعية الحكم اللبناني الذي يسيطر عليه الموارنة، من خلال إنشاء «دولة داخل الدولة». فبعد حرب ١٩٤٨، لجأ أكثر من مئة ألف فلسطيني إلى لبنان، وفي أواسط السبعينات كان عددهم قد ازداد الى نحو ٢٧٠ الفاً، بفعل التكاثر الطبيعي بالدرجة الاولى[٥]. وكان هذا العدد الكبير هو الذي أثار خوف الطائفة المارونية من مسألة المشاركة في السلطة. فلو جرى استيعاب هؤلاء اللاجئين في النظام اللبناني كمواطنين، لشكّل ذلك تهديدا للتوازن السياسي المضطرب، ولحرم الموارنة من موقعهم المسيطر في الحكم. فالذي حصل، ان وجودهم كان قد أخل عدديا بالميزان العسكري في غير صالح المؤسسة المسيحية.

(٣) Zeev Schiff and Ehud Ya'ari, *Israel's Lebanon War* (London: George Allen & Unwin, 1984), p.14.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) UNRWA estimate as cited in Rabinovich and Reinharz, *Israel in the Middle East*, p.352.



وبالنتيجة، فقد عزز الفلسطينيون مخاوف الموارنة من أنهم محاطون «ببحر إسلامي»، ما زاد في تفاقم الانقسام الطائفي. هذا الشعور بفقدان المناعة هو الذي جعل حزب الكتائب الماروني يستجير بإسرائيل، مرة أخرى، مع اندلاع القتال في العام ١٩٧٥. فقد اتصلوا بالإسرائيليين، ليس من باب العداء المشترك لمنظمة التحرير، فحسب، بل أيضا بصفتهم أقلية متجانسة معهم معرّضة لضغوط العالم الإسلامي[٦]. وقد تطلعوا إلى إسرائيل على أنها عامل مهم للتوازن في المنطقة، تربطهم بها صلة قربى معينة[٧].

كانت إسرائيل، في ذلك الوقت، مستعدة استعدادا تاما لمساعدة أي كان. فقد كان لديها فائض من عائدات حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ بالإضافة إلى اسلحة سوفياتية. وكانت مساعدة الموارنة أمراً قليل التكلفة صائباً سياسياً بالنسبة إلى صانعي القرار في إسرائيل[٨]. لكن التجاوب الإسرائيلي انحصر بالمساعدة العسكرية عملاً بسياسة «مساعدة الموارنة على مساعدة أنفسهم»[٩].

في هذا الوقت كان الشيعة والسنة والدروز ومختلف القوى اليسارية اللبنانية والفلسطينية يصطفون ضد الموارنة. كان هدفهم ارساء أسس مساواة سياسية واقتصادية أكبر وإضفاء هوية أكثر عروبة على لبنان. ولم يكن مع ذلك ممكنا بأي شكل من الأشكال، وضع «اليسار» في خانة موحدة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وأيديولوجيا، إذ لم يكن سهلا وصف «اليسار» أو تتبع اطواره ضمن السياق اللبناني، حيث تمثل الوضع بتراصف قوى كانت نتاج تطورات اجتماعية واقتصادية وإقليمية متفاوتة[١٠].

وكانت إحدى المشكلات التي قامت على اساسها الحرب هي مشكلة

(٦) Zeev Schiff, *A History of the Israeli Army* (London: Sidgwick & Jackson, 1987), p.241.

(٧) مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٨) مقابلة مع يوسي الفر، تل أبيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٩) Rabinovich and Reinharz, *Israel in the Middle East*, p.348.

(١٠) Roger Owen, *Essays on the Crisis in Lebanon* (London: Ithaca Press, 1979), p.60.

الانصهار بين الأقلية والأغلبية. فبدل أن يعمد القادة السياسيون إلى موازنة الطوائف المختلفة وخلق أساس لهوية لبنانية أشمل، كان الشك المتبادل يحكم علاقة الطوائف بعضها ببعض، فهي لم تكن تثق بأن المؤسسات الرسمية كانت من القوة والتجرّد بما يكفل حماية مصالحها المحلية(١١). وهكذا برزت الولاءات الطائفية لتصبح الولاء الأول، حتى قبل حرب ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، عندما كان النظام السياسي يعاني ضغوط الانماء الوطني. وأصبحت الميليشيات الطائفية المتنوعة تدعم الضغوط المتزايدة من أجل تمثيل أكثر عدالة، وتوزيع منصف للثروة والمكانة.

ففي خلال الحرب، والسنوات التي تلتها، نجح الفلسطينيون في السيطرة على كامل جنوب لبنان تقريباً. وللإبقاء على هذه السيطرة وعلى حرية العمل ضد إسرائيل، كانت لمنظمة التحرير الفلسطينية مصلحة حيوية في وجود حكومة مارونية ضعيفة في أسوأ الاحوال، أو حكومة مسلمة قوية في أحسن الاحوال. وعلى عكس ذلك، فقد كانت لإسرائيل مصلحة كبيرة في الإبقاء على الوضع القائم، بل في تعزيز وضع الموارنة لإنشاء حكومة صديقة تناصب منظمة التحرير العداء. فمن شأن ذلك ان يكون مؤداه، على الصعيد الامني، بسط سيطرة الحكومة اللبنانية على جنوب لبنان وتجريد الفلسطينيين من السلاح.

ولم تكن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تحاول حماية مصالحها من خلال التدخل في الحرب الأهلية اللبنانية. ففي العام ١٩٧٦، تدخلت سوريا بهدف إحلال الأمن بعدما أقلقها تشكيل حكومة عسكرية وامكانية قيام حكم عسكري في لبنان مستقبلا(١٢). لكن التدخل السوري جعل كل شيء يتحول إلى الأسوأ، فقد بدأت الميليشيات كلها تقاتل وفي ذهنها التقسيم(١٣). أضف إلى ذلك أن أهداف الرئيس السوري، حافظ الأسد، الحقيقية كانت الحؤول دون حصول اجتياح إسرائيلي، والسيطرة على لبنان لأن سوريا لم تتخل على

(١١) Hudson, *The Precarious Republic*, p.60.

(١٢) Salibi, *Crossroads to Civil war*, pp.107-8.

(١٣) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.49.



الاطلاق عن أطماعها الإقليمية فيه منذ أيام الانتداب. ولا يكون الأسد، عن طريق التدخل في لبنان وحل أزمته، قد وضع حدا لوضع يهدد مصالح سوريا فحسب، بل يكون قد أثبت أيضا أن سوريا هي القوة العربية الأكثر فاعلية في هذا الجزء من الشرق الأوسط(١٤). فضلاً عن أن القيادة العسكرية السورية كانت تخشى قيام إسرائيل بهجوم على سوريا تتقدم فيه عبر الأردن أو عبر لبنان. ولهذا كان ضرورياً لسوريا أن تسيطر على سهل البقاع في شرق لبنان، بهدف خلق عمق استراتيجي، وحماية دمشق. ولكن سياسات سوريا التي كانت تتعمد الاخلال بالاستقرار في لبنان كانت تهدف إلى منع قيام حكومة مارونية قوية يمكن ان تؤدي إلى التقسيم والى انشاء دولة مسيحية موالية لإسرائيل(١٥).

وهكذا أصبح لبنان عاملا مهما في الحوار الردعي الإسرائيلي السوري. لقد شعرت إسرائيل بالتهديد من جراء اقتحام قوات سورية ضخمة للبنان وانتشارها على مقربة من حدود إسرائيل الشمالية(١٦). وبموجب هذا المنطق، كانت الدولتان في حاجة إلى التواجد في لبنان، لكي تردع كل منهما الاخرى عن التقدم. وكانتا تتنافسان على اكتساب عمق استراتيجي وجيوش وكيلة. فقد كانت سوريا تستخدم فصائل فلسطينية، مثل الصاعقة، لشن حرب بالوكالة على إسرائيل. بينما انشأ الإسرائيليون، منذ العام ١٩٧٦ فصاعداً، جيشهم بالوكالة، مع قوات بغالبيتها مسيحية، في جنوب لبنان، لحماية حدودهم الشمالية.

وهكذا نرى أن المواقع السورية والفلسطينية في لبنان قد أثارت اهتماما إسرائيليا أكبر. فقد تعمّق التورط الإسرائيلي في لبنان مع نشوب الحرب الأهلية التي قدمت بدورها فرصا سياسية وعسكرية جديدة للإسرائيليين.

(١٤) المصدر نفسه، ص٤٨.

(١٥) Valerie Yorke, *Domestic Politics and Regional Security* (London: Gower for The International Institute for Strategic Studies, 1988), pp.130-1. See also Richard Gabriel, *Operation Peace for Galilee* (New York: Hill & Wang, 1984) p.41.

(١٦) Rafael, *Destination Peace*, p.362.

وكان غياب أية سيطرة لبنانية على الفلسطينيين قد أدى إلى تطوير بنية تحتية فلسطينية في الجنوب، واطلق يد الإسرائيليين أيضاً للسعي من أجل هذه السيطرة. فالحكومة اللبنانية لم يكن لها من القوة ما يكفي لفرض تطبيق قوانينها، كما أن محاولاتها في ابقاء الجيش خارج الصراع (كما حصل في أزمة ١٩٥٨) لمنع تسييسه، أدت عوضاً عن ذلك، إلى تفكيكه[١٧]. وفقدت البقية الباقية من السلطات اللبنانية المركزية سيطرتها على الجنوب، ما دفع إسرائيل إلى ادراك ضرورة فرض سياساتها الأمنية الخاصة في المنطقة بدءا من أواخر ١٩٧٦ فصاعداً. وقد وضعت هذه السياسات لحماية حدود إسرائيل الشمالية من الاعمال العدوانية المنطلقة من لبنان. ولكن، على عكس ما هو متوقع، فإن معظم الاشتباكات في المنطقة حصلت بعد العام ١٩٧٦ وكانت، في الغالب، نتيجة للتورط الإسرائيلي نفسه.

## مقاربة حزب العمل للأمن القومي

كانت فاتحة السياسة الخارجية ازاء لبنان القائمة على مبدأ التدخل، كما أسلفنا القول، هي تلك السياسة التي وضعتها، في الخمسينات، الحكومة العمالية برئاسة بن غوريون. فقد كان بن غوريون ينظر إلى لبنان على أنه الحلقة الأضعف في الائتلاف العربي. وقد ادعى أن «الحكم المسلم فيه سطحي ويمكن تقويضه بسهولة. ومن الضروري أن نقيم هناك دولة مسيحية يشكل نهر الليطاني حدودها الجنوبية. وأن نقيم عند ذاك تحالفا معها»[١٨]. لكن التدخل المباشر لفصل لبنان عن الدول العربية الأخرى وتحويله إلى حليف لإسرائيل لم يوضع قط، موضع التطبيق على الرغم من أنه نوقش في عدة مناسبات. وقد شكّل هذا الامتناع عن التدخل قاعدة لسياسة ضبط النفس التي اعتمدها رابين، وقوامها اتصالات سرية على مستوى متدنٍ مع الموارنة، وتقديم مساعدات عسكرية خلال الحرب الأهلية اللبنانية الثانية[١٩]. ويمكننا،

(١٧) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.47.

(١٨) Yair Evron, *War and Intervention in Lebanon* (London: Croom Helm,1987), p.27.

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٨.



في الواقع، وصف حكومة رابين العمالية، بأنها هي وحدها الحكومة التي نجد مقاربة شاريت هي السائدة فيها من بين كل الحكومات العمالية التي اعقبت رئاسة شاريت.

لقد كانت مصالح إسرائيل الرئيسية، من ناحية، هي في عدم تحول لبنان الى جزء من الائتلاف العربي العسكري، وفي عدم شن منظمة التحرير الفلسطينية هجماتها انطلاقا من أراضيه، من ناحية أخرى. وكانت سياسة إسرائيل الانتقامية مصممة أساسا ضد قطاع غزة والاردن ردّا على الهجمات عبر حدودهما. وقد طبقت هذه السياسة أيضا منذ أواخر الستينات ضد الفلسطينيين في لبنان. وحتى اواسط السبعينات، كانت هذه العمليات الانتقامية نادرة، لكنها ازدادت مع انتقال قيادة منظمة التحرير إلى بيروت، وجرى وصفها أيضاً كردّ على هجمات ضد أهداف يهودية أو إسرائيلية في الساحة الدولية.

وكانت إسرائيل تواجه تحديين على الصعيد الأمني العام: تأمين المثابرة العسكرية في منطقة معادية استراتيجيا، وتوطيد مكانتها الدولية في ضوء تحدي شرعيتها كدولة ذات سيادة[٢٠]. أما بالنسبة الى المثابرة العسكرية، فقد كان على إسرائيل التركيز على حدودها مع مصر والأردن. إذ لم يكن لبنان، حتى ذلك الوقت، قد صنف منطقة معادية استراتيجيا. ولم تكن منظمة التحرير تتحدى وجود إسرائيل تحدياً ذا شأن.

وبعد طرد منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن في العام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، أصبح لبنان البلد الوحيد الذي منه يمكن للمنظمة أن تواصل مقاومتها المسلحة ضد إسرائيل بحرّية. ومنذ ذلك الوقت، أخذت الحدود مع لبنان تزداد عداء، ما أدى إلى إعادة تقويم لسياسة إسرائيل الأمنية. فعلى الصعيد الجغرافي، انتقلت هذه السياسة من حدود إسرائيل الجنوبية الغربية مع مصر، إلى الحدود الشمالية مع لبنان. كما أن هناك سبباً إضافياً لهذا التحول وهو أن حرب الاستنزاف مع مصر كانت قد انتهت. كذلك استقرت الحدود

(٢٠) Dan Horowitz, 'Israel's War in Lebanon: New Patterns of Strategic Thinking in Civil - Military Relations', in Moshe Lissak (ed.), *Israeli Society and its Defense Establishment* (London: Frank Cass, 1984), p.88.

الاردنية بعد الحرب الأهلية وما نتج عنها من إعادة تأكيد الحكومة سلطتها على كامل أراضيها.

ومع ذلك، فإن سياسة حزب العمل في أوائل السبعينات، كانت في طبيعتها سياسة «ردة الفعل». ولكن هدفها لم يعد محصورا بالرد الانتقامي على هجمات محددة، بل أصبح يستهدف تحييد جنوب لبنان وتحويله منطقة عازلة. وكان قوام الاستراتيجيات المتبعة قصف قواعد الفلسطينيين، وتوغل القوات البرية الإسرائيلية في جنوب لبنان لتوجيه ضربات مباشرة لهذه القواعد فضلا عن شن عمليات كوماندوس. أضف إلى ذلك، أنه في العام ١٩٧٦، أقيمت علاقات مع المسيحيين على امتداد حدود إسرائيل الشمالية، عملاً بسياسة «الجدار الطيب».

وعلى الرغم من ذلك كله، فان اهتمام حكومة رابين بلبنان بقي محدودا. فصانعو السياسة كانوا منشغلين بالترتيبات الإسرائيلية المصرية، وبالعلاقات الإسرائيلية الأميركية. لكن معارضة سوريا اتفاق سيناء ـ ٢، وتدخلها في لبنان عام ١٩٧٦، بدّلا هذا الاهتمام المحدود. فتحولت استراتيجية إسرائيل الرئيسية الى استراتيجية ردع مع تحديد الخطوط الحمر التي تعين حدود صبر اسرائيل على السوريين[٢١]، وطبقاً لذلك، فقد اعتمد أمن الدولة على قدرة جيش الدفاع على الردع، وعلى التحرك عندما تدعو الحاجة. لكن كان على جيش الدفاع، في هذه الأثناء، حصر نفسه بأهداف دفاعية استراتيجية. وبنتيجة ذلك، فإن إسرائيل، امتنعت في عهد حكم العمل، وحتى العام ١٩٧٧، عن القيام بمبادرات رئيسية في لبنان لأنها قد تنطوي على مواجهة عسكرية غير مرغوب فيها. فقد كان موقفها ضرورة عدم انجرارها الى الحرب الاهلية اللبنانية الجارية. وفي الواقع، فإن إسرائيل، في ما يتصل بالحرب الأهلية اللبنانية، مارست، على ما يبدو، سياسة فعالة ساهمت في جر السوريين إلى مواجهة مع منظمة التحرير، في الوقت الذي ارغمت فيه الطرفين على البقاء على مسافة بعيدة من حدودها الشمالية[٢٢].

(٢١) Ariel Levite, *Offense and Defense in Israeli Military Doctrine* (Boulder: Westview press, 1989), p.28.

(٢٢) Safran, Israel: *the Embattled Ally*, p.194.



## مطالب الموارنة للحصول على مساعدات اسرائيلية

في العام ١٩٧٥، تصاعدت أصوات مسيحية في كل من جنوب لبنان وبيروت تطلب مساعدة من إسرائيل. فكان الرد الإسرائيلي على هذه المطالب تزويد الجنوب بالأسلحة والمواد الغذائية والطبية، وتزويد الشمال بالأسلحة والتدريب[٢٣]. إذ إن القرى المسيحية على حدود إسرائيل الشمالية كانت قد ارسلت تطلب المساعدة من إسرائيل لمواجهة منظمة التحرير الفلسطينية[٢٤]. وقد قرر قادة إسرائيل التأثير في شؤون الجار الشمالي، فكان إرسال المساعدة إلى القرى المحاذية للحدود من أجل قتالها مع منظمة التحرير يخدم هذا الغرض.

وفي الوقت نفسه، كان بعض الموارنة من بيروت ومنطقة جبل لبنان يبحثون أيضاً عن المساعدة. فقد بدأوا يدركون، كونهم يشكلون غالبية قوى الأمر الواقع، أنهم لا يستطيعون الانتصار، وبدأوا بالتالي يناقشون موضوع التقسيم والعودة إلى لبنان الصغير المسيحي[٢٥]. وكان الذين يؤمنون بوجود مخطط لتقسيم لبنان، مقتنعين بأن إسرائيل كانت وراءه، وكانوا يشكون في أن الزعامة المارونية كانت تتعاون، في الواقع، مع إسرائيل في الجهود المبذولة لإنجاح هذا المخطط. كما أن تصريحات إسرائيل اللاحقة، لدعم الموقف المسيحي، كانت قد أضفت صدقية على هذه الشكوك[٢٦]. لكن هذه التصريحات لم تصدر، إلا بعد فترة طويلة من اتصال منظمات مارونية مختلفة بإسرائيل. وكانت الاتصالات الأولى من هذا النوع قد جرت عبر سفارات إسرائيل في الخارج. وفي الواقع، وبعد اندلاع القتال، كاد الموارنة ان يكونوا مصطفين عند مداخل السفارتين الإسرائيليتين في باريس وروما[٢٧]. وكان أعضاء في حزب الكتائب قد تقدموا من موظفين في السفارة بطلبات

(٢٣) مقابلة مع رفائيل إيتان القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٢٤) Kimche, *The Last Option*, p.128.

(٢٥) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.47.

(٢٦) Salibi, *Crossroads to Civil War*, p.118.

(٢٧) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣.

لمساعدات عسكرية من سلاح وذخيرة[٢٨]. كما أن داني شمعون، نجل الرئيس السابق كميل شمعون، كان قد أجرى، في ايلول/سبتمبر ١٩٧٥، اتصالا منفصلاً في باريس[٢٩]. وقد كان داني شمعون يتصرف وفق نصيحة العاهل الأردني، الملك حسين، الذي اقترح عليه أن يتقرب من الإسرائيليين، لأن إسرائيل وحدها تستطيع أن تنقذ سلطة الموارنة في لبنان[٣٠]. وكان والده، كميل شمعون، قد استشار الملك حسين، بصفته صديقا قديما، حين أخذ وضع الموارنة يتدهور[٣١]. لكن إسرائيل رفضت طلب داني القاضي بالتدخل المباشر، واكتفت بأن وعدته ببعض الأسلحة الخفيفة.

في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥، شكلت قيادة موحدة من المسيحيين اللبنانيين. ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى قررت الكتائب، في آذار/مارس ١٩٧٦، إيفاد مبعوث إلى إسرائيل لترتيب تدفق مستمر للأسلحة. فقد أصبح القتال صعبا بسبب النقص في الذخيرة، وكانت اتصالات سابقة مع الإسرائيليين قد أظهرت أن إسرائيل مستعدة لتزويد الذخيرة على الأقل[٣٢].

لم يكن زعيم الكتائب، بيار الجميل، يريد أن يظهر هو نفسه بمظهر من يقيم أي اتصالات مع الإسرائيليين. وهو كان قد جنّب الكتائب الصراع العربي الإسرائيلي، متظاهراً بأنه لا يعرف ان افراداً موارنة اقاموا، خلال السنوات الماضية، صلات مع الإسرائيليين. لكن، عندما راح قتال الطائفة المارونية، يتحول بصورة متزايدة، الى قتال من أجل البقاء، وجدت الطائفة المارونية نفسها عند مفترق تاريخي خطير[٣٣]. وعلى الرغم من أنه ليس من الحكمة الذهاب مباشرة إلى إسرائيل، فإن الضغط العسكري والقصف

(٢٨) Kimche, *The Last Option*, p.130.

(٢٩) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.365.

(٣٠) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.80.

(٣١) مقابلة مع موشي زاك، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٣٢) اتصل بالسفارة الاسرائيلية في قبرص، بالاضافة إلى داني شمعون، مسؤول كتائبي لم يذكر اسمه وأكد استعداد إسرائيل للمساعدة. جوزف ابو خليل: قصة الموارنة في الحرب، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٠، ص٤٥.

(٣٣) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.12.



الشديدين جعلا الوضع ميؤوساً منه ولم يعد هناك مجال كبير للتحرك. عندها تتمسك بشيء، وما تأخذه بيدك قد يكون مميتاً او غير مميت. والمشكلة هي في أن أي شيء خلال هذه الفترة سيؤثر في السنوات الخمس أو الثماني المقبلة، لكن ليس هناك متسع من الوقت للتفكير في ذلك، في زمن الأزمات[٣٤].

وأخيراً وبعد الاستماع إلى المزيد من الآراء المؤيدة في قيادة الحزب، وافق بيار الجميل على إيفاد مبعوث من غير أن يفوته التشديد على «أن العلاقات مع إسرائيل قد تكون شديدة الخطر»[٣٥]. وكان المبعوث رئيس تحرير جريدة العمل الكتائبية جوزف أبو خليل[٣٦]. وطلب، في ١٢ آذار/مارس، أن ينقل إلى إسرائيل وغادر في الليلة نفسها[٣٧]. وقد أقلّه، برفقة ماروني آخر قارب صغير رسا في شاطىء حيفا[٣٨]. وهناك قبضت عليهما الشرطة فورا على أثر طلبهما لقاء مع مسؤول في الجيش أو في وزارة الدفاع[٣٩].

والتقى أبو خليل، مسؤولان إسرائيليان هما بنيامين بن إليعازر وإميل بيراخ[٤٠]. كان هذا لقاءه الأول مع إسرائيليين، وقد أصيب ببعض الخيبة لأنه كان قد تصورهم فوق مستوى البشر[٤١]. وانتقلا به بعد ذلك لمقابلة فريق من المسؤولين العسكريين، من بينهم وزير الدفاع شمعون بيريز. وبعد الضرب على وتر المصير الواحد في الشرق الأوسط والعداوة المشتركة لمنظمة التحرير الفلسطينية، أشار أبو خليل إلى فكرة تحالف الأقليات[٤٢]، معلنا أن مستقبل الطائفة المارونية هو مع العرب، ومضيفاً أن الموارنة دافعوا أيضا عن يهود لبنان في وادي أبو جميل، وعلاوة على كل هذه الالتباسات، فإن بقاء الموارنة يظل

(٣٤) مقابلة مع انطوان باسيل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٣٥) أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب ص٥١.

(٣٦) مقابلة مع جوزف ابو خليل بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٣٧) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.11.

(٣٨) مقابلة مع جوزف ابو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٣٩) مقابلة مع شلومو غازيت، تل أبيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٤٠) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.82.

(٤١) أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب، ص٤٩.

(٤٢) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.11.

هو الأهم[٤٣]. وعندها طلب من الإسرائيليين أن يزودوهم بالسلاح[٤٤]. فسأله بيريز عن نوع الأسلحة المطلوبة وكمياتها، فكان جواب أبو خليل الوحيد أن ليس للكتائب جيش منظم، وأنه لا يعرف كمية الأسلحة اللازمة[٤٥]. ففي الواقع، كان جميع المقاتلين من المتطوعين،الذين لم يتلقوا أي تدريب والذين يستخدمون أسلحتهم الخاصة. وقال أبو خليل إن الإسرائيليين ربما كانوا أدرى منه بما تحتاجه الكتائب من مساعدة. فأجابه بيريز أنه «سينظر في الطلب» بعد رفعه إلى الحكومة، وانه سيعلمه بالنتيجة[٤٦]. وفي اليوم التالي، التقى أبو خليل مسؤولين إسرائيليين في أحد مطاعم تل أبيب، وأبلغوه أن الحكومة وافقت على تزويد الكتائب بالسلاح والذخيرة. ثم أمضى بعد ذلك ثلاثة أيام يدرس مع اختصاصيين عسكريين طرق نقل سرية[٤٧].

يؤكد أبو خليل، في استعراضه للماضي، أن اتصاله بالإسرائيليين كان مغامرة شخصية لم يسبقها أي قرار سياسي أو تحضيرات، لكن الاسرائيليين كانوا مع ذلك، يتوقعون أن تتصل بهم الكتائب[٤٨]. وقبل مغادرته، أجرى أبو خليل الترتيبات لعقد اجتماع مع بيار وبشير الجميل في إسرائيل[٤٩]. وكانت العلاقة قد ارسيت على مستوى شخصي في البداية، ثم ما لبثت أن توسعت مع تصاعد الحرب[٥٠]. وفي نيسان/ابريل ١٩٧٦، طلب الملك حسين من السفير الإسرائيلي في لندن مساعدة الموارنة[٥١]. ومع منتصف آب/ اغسطس، ١٩٧٦، كان هناك الكثير من الأدلة المثيرة للاهتمام التي أخذت شكل شحنات اسلحة، وتقارير عن اتصالات إسرائيلية ـ مارونية سرية[٥٢].

(٤٣) أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب، ص٥٢.
(٤٤) مقابلة مع جوزف ابو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.
(٤٥) أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب، ص٥٣.
(٤٦) المصدر نفسه ص٥٤.
(٤٧) المصدر نفسه.
(٤٨) المصدر نفسه، ص٥٥.
(٤٩) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.82.
(٥٠) مقابلة مع أنطوان باسيل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.
(٥١) مقابلة مع موشي زاك، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.
(٥٢) Cobban, *The Making of Modern Lebanon*, p.143.



وأُرسل ضباط استخبارات إسرائيليون إلى لبنان للقاء بشير الجميل، الإبن الأصغر للشيخ بيار، الذي كان يؤيد بشدة التحالف مع إسرائيل. لقد كان بشير الجميل يسوق «للخيار الإسرائيلي» في مواجهة «الخيار السوري» الذي كان يروجه والده[٥٣]. وكان قد التحق بالكتائب في شبابه، وقاد، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، إحدى فرق الميليشيا في الاشتباكات الأولى مع الفلسطينيين في السبعينات. كان يعتقد أن القوة السياسية تنبع من القوة العسكرية، فهو لم يكن يؤمن بالتعايش. وفي الحقيقة، فإن الميثاق الوطني بالنسبة إليه كان عبارة مسيئة. وقد وصفه انداده بأنه شخص يتمتع بمزايا قيادية، متفان وسهل الجانب، اهتم بطائفته وخلق روحا من التضامن بين المسيحيين. لقد كان صريحا ولديه ما يقدمه إلى الجميع[٥٤].

أما ضباط الاستخبارات الذين أرسلوا لمقابلة بشير وكان قد اصطحبهم إلى منزل ذويه لمقابلة شقيقه امين ووالده بيار،[٥٥] فلم ينخدعوا بشخصيته، وكان انطباعهم أن بشيراً لا يمكن الوثوق به[٥٦]، كما لم يكن انطباعهم عن شقيقه أمين بأفضل. وليس في هذا ما يثير الدهشة على اعتبار أن أمينا، وهو محام ورجل أعمال، وفي بداية معترك حياته البرلمانية، كان يروّج علنا للتوافق بين الطوائف اللبنانية وللتعاون مع سوريا. وأوصى تقرير للاستخبارات بمواصلة الاتصالات دون تقديم معونة عسكرية مباشرة إلى حين إعداد تقويم مفصل عن وضع الموارنة[٥٧].

واستمرت الاتصالات مع مختلف الفصائل المارونية. وأثيرت مسألة المساعدة العسكرية مرة جديدة في اجتماع آخر مع داني شمعون الذي قال إنّ تزويد الموارنة بالسلاح سيسمح لهم «بذبح الفلسطينيين[٥٨]». وكان الإسرائيليون يكنون لداني شمعون احتراما أكبر من الذي يكنونه للأخوين

(٥٣) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.72.
(٥٤) مقابلة مع فؤاد أبو ناصر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.
(٥٥) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.87.
(٥٦) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.14.
(٥٧) المصدر نفسه.
(٥٨) المصدر نفسه، ص١٥.

الجميل. فقد كانوا يشعرون بأنه في الوقت الذي كان فيه داني يبدو مستعدا للقتال حتى النصر، فإن آل الجميل بدوا متعبين ولن يحبطوا وقفاً لإطلاق النار اذا جرى ترتيبه[٥٩]. وكانت النصيحة الاسرائيلية لكل من كان يرتبط بهم من الموارنة ضرورة توحيد القوى.

وفي آب/أغسطس ١٩٧٦، اجتمع الرئيس السابق كميل شمعون مع رئيس وزراء إسرائيل اسحق رابين على متن سفينة تابعة للبحرية الإسرائيلية. فقد كان شمعون واحدا من قادة الجبهة اللبنانية، وهي الجبهة التي جمعت، في توحيد غير محكم، الموارنة وغيرهم من القوى التي كانت تدعم الوضع القائم في العام ١٩٧٦، وكانت تضم كتائب بيار الجميل، وحزب كميل شمعون الوطنيين الأحرار، وأتباع سليمان فرنجية. وكان أولادهم يؤدون دورا مهما بصفتهم جيل القادة الجديد وهم: أمين وبشير الجميل، داني ودوري شمعون، وطوني فرنجية. وقد ناقش شمعون ورابين أثناء اجتماعهما شروط المساعدة الإسرائيلية، فالمساعدة العسكرية سوف تكون مجانية لكن يجب دفع ثمن الغذاء والمحروقات[٦٠]. وفي هذا الاجتماع أطلق رابين على عادته من الحذر وعده المعروف «بمساعدة المسيحيين اللبنانيين على مساعدة أنفسهم»[٦١]. وفي الواقع، فإن العلاقات التي تطورت على اساس هذه الفرضية كانت تخضع كليا للسيطرة الإسرائيلية[٦٢].

في هذه الأثناء، كان بيار الجميل منخرطاً في اللعب على كل الحبال. فقد كلف نجله أمين أن يحافظ على الصلات مع السوريين، بينما يحافظ بشير على العلاقات مع إسرائيل. ولأنه كان مستعدا لقبول أي مساعدة عسكرية ممكنة للمحافظة على السيطرة المارونية، فقد دعا سوريا للتدخل في صيف ١٩٧٦ كـ «قوة حفظ سلام». وقد تجلى الموقف الكتائبي الملتبس أيضاً، في حقيقة أن

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٦.

(٦٠) Shimon Shiffer, *Kadoor Sheleg: Sodot Milhemet Levanon (Snowball: Secrets of the Lebanon War)* (Tel Aviv: Edanim/ Yediot Ahronot, 1984), p.22.

(٦١) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.18.

(٦٢) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.



الرعيل القديم في الحزب عبّر عن ازدرائه للروابط مع إسرائيل، في وقت كان فيه بشير يريد طلب تدخل إسرائيلي لأنه لم يكن يثق بالسوريين[٦٣]. وفي الواقع، فإن حزب الكتائب انقسم إلى فئتين: الفئة الأولى، وكانت بقيادة أمين الجميل وكريم بقرادوني، وتعتبر أن الموارنة سيتمكنون من البقاء فقط إذا تفاهموا مع محيطهم، بينما كانت الفئة الثانية، بقيادة بشير الجميل، تشكك في التسامح العربي والمسلم، وتطالب بتقوية الطائفة المارونية عبر التحالف مع إسرائيل، واستنفار الجاليات في الخارج، والدعم الأميركي[٦٤]. وقد وصف بشير الجميل التزامه كالآتي:

> سيسيطر علينا السوريون يوما ما، وعندها سنكون قد ضعنا. لن يبقى لنا ما يذكر بعدما سيحل بلبنان في المستقبل، وبعدما يحصل ما أتوقعه نتيجة تعاوننا معكم. لا يمكن للبنان، أبدا، أن يعود جزءا من العالم العربي. وعليه أن يسير يدا بيد مع إسرائيل، لأن البلدين يعيشان الوضع نفسه، وكلاهما يمقتان العالم العربي. ولهذا التعاون معنى بالغ الأثر حتى، ولو شهدت الطريق المؤدية اليه منازعات وسوء تفاهم وكانت هناك مقاربات مختلفة في الجدل حول بلوغ الهدف[٦٥].

وهكذا، وفي الوقت الذي كان أمين الجميل يغازل السوريين، كان بشير الجميل يوجه النقاش، ببطء، داخل حزب الكتائب في اتجاه إسرائيل، مشددا على مسائل تقنية وعلى المساعدة الاسرائيلية وكيف يمكن لهذه المساعدة أن تعمل على انجاح الأهداف السياسية الداخلية للموارنة[٦٦]. وعلى الرغم من أنه نجح في كسب تأييد الكثيرين من الأعضاء في حزب الكتائب، فإن الشقاق بينه وبين والده وشقيقه بقي، في السنوات التي تلت، إشارة انذار واضحة بالنسبة إلى الاستخبارات الإسرائيلية.

(٦٣) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.22.

(٦٤) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.64.

(٦٥) Rafael Eitan with Dov Goldstein, *Sipur Shel Hayal (Story of a Soldier)* (Tel Aviv: Maariv Library, 1985), pp.154-5.

(٦٦) Reinich, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, p.201.

لقد كانت الفصائل المسيحية الأخرى أكثر توحدا من الكتائب، إذ كانت تبعث رسائل أقل تباينا في شأن رغبتها في التحالف مع إسرائيل. فإتيان صقر، القائد السياسي والعسكري لحراس الأرز، كان صريحا بما جاوز حدود المألوف في موضوع علاقات الموارنة بإسرائيل. فحين كان حزبا الكتائب والوطنيين الاحرار يحاولان إخفاء صلاتهما بإسرائيل، كان حراس الأرز يجادلون علنا في العام ١٩٧٦ بأنه في حال فشل التدخل السوري، فإن «على اللبنانيين أن يستنجدوا بإسرائيل لينقذوا ما تبقى من لبنان»[٦٧]. لقد كان من الأسهل، على من التزم الأيديولوجية الفينيقية المجاهدة، أن يتحدث علنا ضد العروبة وضد المسلمين.

وكانت الكنيسة المارونية أيضا واضحة في موقفها الذي لم يتغير كثيرا منذ علاقاتها الأولى بإسرائيل في الثلاثينات. وبينما كان البطريرك بطرس خريش يحاول أن يبقى ضمن مجال القيادة الروحية متحاشيا التدخل المباشر في السياسة، كان بعض الكهنة الموارنة يتخذون المواقف العلنية. فالأباتي شربل القسيس على سبيل المثال، كان يطالب «بلبنان نقي»، ويرفض فكرة لبنان ذي الوجه العربي. وكان يعارض أي وجود فلسطيني، كما عرف عنه أنه كان يخزن الأسلحة والذخائر في الأديرة المارونية[٦٨]. وهكذا، يمكننا أن نرى أن إسرائيل قامت في بداية الحرب باستكشاف عدة خيارات. فالإسرائيليون «تحدثوا إلى بشير الجميل وجماعته، وإلى أبو أرز (اتيان صقر) وجماعته، وإلى جورج عدوان وجماعته. لقد بدأوا رويدا رويدا يشكلون شبكات صغيرة»[٦٩].

## نظرة إسرائيل للموارنة

كانت إسرائيل بقيادة رابين أبعد ما تكون عن التدخل المباشر في لبنان. فبالنسبة إلى رابين: «شعرت إسرائيل بتجانس طبيعي مع الطائفة المسيحية في لبنان، لكننا لا نستطيع، في أي ظرف من الظروف، أن نتحمل مسؤولية

(٦٧) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.70.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٦٨.

(٦٩) مقابلة مع أنطوان باسيل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.



سياسية أو عسكرية عن مصيرها. فالمساعدة لم تصل إلى حدّ التورّط في التعقيدات اللبنانية»[٧٠]. ومع ذلك استمر الموساد في تنمية العلاقة مع الموارنة. وقد قيل إن بعض ضباط الاستخبارات بدأوا يتورطون أكثر مما يجب في «قضية» الموارنة. وعزي إلى هذه الحماسة المفرطة، السبب في القصور عن استخدام تحليلات الاستخبارات وتقويماتها، استخداماً صحيحاً، في الأزمة اللبنانية المستمرة[٧١]. وبالفعل، فإن خطأ كبار الضباط في الموساد هو أنهم، في خضم هذا الوضع المعقد، بدأوا يضعون ثقة أكبر من اللازم، بأصدقائهم الجدد. ولهذا من المهم أن نجاوز تصريح رابين، لننظر إلى مدركات مختلف اللاعبين الإسرائيليين لحليفهم الماروني.

وبعبارات عامة، فقد كانت النظرة التاريخية لصانعي السياسة الإسرائيليين السابقين هي النظرة السائدة، ولا سيما في المجال الأمني. لقد ساد هذا الشعور بين ضباط الاستخبارات الإسرائيليين والموساد، بصفة خاصة، بأنهم عثروا على نوع مختلف من العرب: نوع أفضل من الجيران، أناس أكثر لطفا وظرفا واكثر أوروبية. وقد ولّد لديهم اجتماعهم بالموارنة شعورا بأن خرق «الحصار» المضروب حول اسرائيل قد أصبح وشيكاً[٧٢].

إن نظرة اسرائيل لنفسها على أنها دولة محوطة بجيران عرب معادين، قد أدت دورا مهما في تعاطيها مع الموارنة. وقد رحب صانعو السياسة الإسرائيليون بمناقشة المصالح المشتركة، ولا سيما أن الاتصالات، التي بقيت طويلا تتم بسرية، قد بدأت تتخذ طابعاً أكثر علنية. أضف إلى ذلك، أنهم كانوا لا يزالون ينظرون إلى الموارنة على أنهم الطرف الأهم في التركيبة السياسية اللبنانية والطائفة الأكثر عدداً[٧٣]. لكن هذه النظرة كانت بعيدة عن الواقع لأن وتائر التكاثر العالية في وسط المسلمين اللبنانيين كانت قد حولت

(٧٠) Rabin, *The Rabin Memoirs*, p.220.

(٧١) Ronald Payne, *Mossad: Israel's most Secret Service* (London: Bantam Press, 1990), p.109.

(٧٢) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل ابيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٧٣) مقابلة مع أوري لوبراني، تل ابيب ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.

الموارنة الى أقلية. وأن الرئاسة المارونية، التي كان ينظر إليها في السابق على أنها مفتاح السياسة اللبنانية، تبين أنها منصب ضعيف غير قوي، وان الإسرائيليين لم يكونوا يتعاطون حتى مع رئيس الجمهورية، بل مع فئة واحدة فقط من الطائفة المارونية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العلاقات الوثيقة التي نمت، جعلت بعض ضباط الاستخبارات يعتقدون بإمكانية تقوية المسيحيين الى الحد الذي يفي بالحاجة، وأن لبنان، في ظل رئيس كتائبي، قد يتمكن من السيطرة على الفلسطينيين. وكان الحلم أن المخططات السرية قد تدفع الموارنة إلى أن يفعلوا في لبنان، ما فعله الملك حسين من قبل، في الأردن ـ أي طرد منظمة التحرير الفلسطينية ـ وبالتالي ضمان أمن حدود إسرائيل الشمالية[٧٤]. ورد بعضهم هذا التقويم غير الواقعي، إلى الظاهرة النفسية التي تصيب العملاء الذين يعيشون وسط مضيفيهم المحليين. فالاتصال المباشر والطويل الأمد يمكنه أن يؤدي بهؤلاء الى فَقْدِ صلتهم بالواقع في وقت يأخذون في تصديق مضيفيهم المحليين دون تحفظ[٧٥].

وكانت التقويمات الأخرى للموارنة أكثر تشكيكا خصوصا من قبل الاستخبارات العسكرية التي نظرت إلى الموارنة بصفتهم عربا، ورأت في اتصالهم بإسرائيل عملا جريئا وخطرا. لكن كانت لديها شكوك قوية بالنسبة إلى ما يمكن للموارنة أن يقدموه لإسرائيل. ولهذا، فإنها كانت مترددة ولم تعتمد في الحقيقة اطلاقا على أية علاقات سياسية وثيقة قوية ومستمرة[٧٦]. لكنها مع ذلك اعتبرتهم اناساً يمكن التعويل عليهم نظراً إلى مصلحتهم الخاصة في التحرر من السيطرة السورية[٧٧]. وعلى الرغم من هذه الآراء، أو ربما بسببها، فإن رابين قرر أن يكون التورط محدودا. فوافق على مساعدة الموارنة، إلا أنه لم يكن مستعدا لإلزام الجنود الإسرائيليين القتال عنهم. ويمكن رد هذا

(٧٤) Payne, *Mossad*, p.104.

(٧٥) مقابلة مع شلومو غازيت، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.

(٧٦) المصدر نفسه.

(٧٧) مقابلة مع مردخاي غور، تل ابيب ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣.



القرار السياسي إلى نظرته الواقعية والى فهمه للوضع، بقدر ما يمكن رده إلى مقاربته الحذرة حينما يتعلق الأمر بالأمن القومي لإسرائيل. لقد كانت سياسة البلد، حيال الموارنة والتحالف الإسرائيلي الماروني، تتقرر على أعلى المستويات، بحيث كانت تُراعى تقديرات الاستخبارات، لكن دون السماح لضباط الاستخبارات باتخاذ القرار النهائي. ومع ذلك، فإن وجود مثل هذه المدركات المشوهة الملتوية للحليف الماروني وللساحة السياسية اللبنانية يظهر الخطر الكامن في اقدام قياديين إسرائيليين أقل اطلاعا وأكثر ايماناً بمبدأ التدخل، على صنع القرارات.

# ٦ إحياء تحالف الأقليات

أنا مقتنع بعدم وجود قائد فلسطيني واحد لا يزال يعتقد جدياً بإمكانية العودة يوما ما إلى فلسطين. بل، على العكس من ذلك، انهم يؤمنون اليوم بأن لبنان سيشكل بلداً فلسطينياً مناسباً. هل يريدون دولة علمانية؟ ليست لديهم أية فكرة عن الدولة العلمانية، وكل ما يعرفونه عن هذه الكلمة هو أن لها صدى طيبا في آذان الغرب. هل قرأوا العهد القديم؟ هل يعرفون ما تعني القدس بالنسبة إلى اليهود، وقوة هذا الحلم الألفي عليهم؟ لا، فلو كان الأمر كذلك لما كانوا يتشدقون بهذه التفاهات عن دولة علمانية. هل تريد أي دولة عربية أخرى الفلسطينيين عندها. لا، فهم يخضعونهم لمراقبة متشددة أو يلقون بهم خارجاً. فقط لبنان الغبي الذي سمح لنفسه بأن يكتسحه الفلسطينيون[1].

لقد شهدت الاعوام الممتدة من العام ١٩٧٧ حتى العام ١٩٨٠، تطورا في العلاقات الإسرائيلية المارونية من علاقات غير مباشرة وسرية، إلى علاقات مباشرة وعلنية. كما حصل في الجانب الإسرائيلي أيضا تحول مواز من التدخل غير المباشر في لبنان إلى التدخل المباشر. ونجمت هذه التطورات عن عاملين: الأول وهو انتقال السلطة في إسرائيل من حزب العمل إلى الليكود، والثاني وهو إدراك الموارنة المتزايد أن المواجهة الحاسمة مع سوريا والفلسطينيين أصبحت محتومة. ولم تعد المساعدة الإسرائيلية للموارنة تقتصر على «مساعدتهم

(١) شارل مالك وزير خارجية لبنان السابق وأحد زعماء القوات اللبنانية، كما نقل عنه في Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.384.

لمساعدة أنفسهم» بل أصبحت «مساعدة الموارنة على مساعدة إسرائيل في القضاء على التهديد الفلسطيني». وقد كانت «عملية الليطاني»، في آذار/مارس ١٩٧٨، تشكل خطوة في هذا الاتجاه، أما الخطوة الثانية فكانت إقامة الحزام الأمني في السنة نفسها. ثم جاءت خطوة ثالثة، في العام ١٩٧٩، عندما قامت إسرائيل بعرض للقوة في سماء بيروت الشرقية المارونية بهدف ترهيب السوريين. إلا ان الأهم هو التفكير الكامن وراء التوجه الجديد الذي تسلكه إسرائيل. فعلى الرغم من انشغال رئيس الوزراء مناحم بيغن بمحادثات كامب ديفيد مع مصر، فإنه كان ينظر الى مسألة مساعدة الموارنة على أنها قضية أخلاقية، وأن من واجب إسرائيل التدخل لإنقاذهم من التصفية. وقد أيد رئيس الأركان الجديد رفائيل إيتان ايضا التدخل في الشؤون اللبنانية، لأنه كان يرى أن العمل المباشر هو الطريقة الوحيدة للتعاطي مع الفدائيين الفلسطينيين. ولم يكن لتحذيرات رئيس الوزراء السابق رابين من مغبة التدخل أي تأثير على النقاش المألوف الذي كان يدور فيما مضى، بين بن غوريون وشاريت.

## تأثير الليكود على السياسة الخارجية

وصل الليكود إلى السلطة في العام ١٩٧٧، وكانت المرة الأولى في تاريخ إسرائيل التي تشكلت فيها حكومة مغايرة للحكومات الائتلافية التي كان يشكلها حزب العمل. لقد كانت أيديولوجية هذه الحكومة الجديدة أكثر تطرفا من أيديولوجية العمل، وكانت جذورها التاريخية تنبع من الحركة الإصلاحية. فتوجهات الليكود أشد قومية، وتركز على الأمن القومي، وتناهض العرب في شكل صريح. ويمكن وصف فلسفته بأنها محافظة ورأسمالية وأكثر تدينا من فلسفة العمل. وكانت مقاربته لمشكلات الأمن القومي وللشرق الأوسط مقاربة تعتمد العمل وتستند إلى الدعم الغربي.

تشكل الليكود، عام ١٩٧٣، كاتحاد بين حيروت، والاحرار، ولاعام، والوسط الحر، وحركة إسرائيل الكبرى. وكان جزء أساسي من الأجزاء المكونة لهذا التكتل، يمثل الطبقة الوسطى، الأمر الذي أثر في سياساته الاقتصادية المتوجهة نحو الاقتصاد الحر والمطالبة بانسحاب الدولة من القطاع







الاقتصادي. والأهم من ذلك كله، برنامجه الأيديولوجي الداعي إلى سياسة استيطان ناشطة في الضفة الغربية باعتبار هذه المنطقة جزءاً لا يتجزأ من أرض إسرائيل. واما عرب هذه الأراضي، ومعهم عرب إسرائيل، فهو يعتبرهم غرباء عن البلد وربما كانوا عرضة للطرد[٢].

وكان موقف الليكود المناهض للعرب موقفاً ممزوجا بنوع من الرومانطيقية الاستيطانية الاصلاحية. وفي الحقيقة لم يكن أعضاء الجناح اليميني المتطرف في الليكود يرون في مستوطنات الضفة الغربية ارصدة استراتيجية فحسب، بل كانوا يحنون أيضا إلى الأيام الخوالي لليشوف عندما كان لكل مستوطنة أهميتها وكان الدفاع «أمراً حقيقياً»، وكان اليهود يقلقون على اليهود وليس على العرب[٣]. وكان موقف الليكود في شأن الدفاع ثمرة لمثل هذه الآراء الإصلاحية، وقد وضع الأمن القومي فوق كل اعتبار آخر، لأنه كان يرى اسرائيل دولة محاصرة. ولكن، بدلا من الانصراف فقط إلى تدعيم دفاعات البلاد، كانت مقاربة الليكود مقاربة لتوسع جغرافي مقرون بالإيمان بالقوة العسكرية.

لقد شكلت هذه الأيديولوجية مبدأ إسرائيل الأمني وسياستها حيال لبنان في وضوح لا لبس فيه. وفي الواقع، هناك من ادعى أن مبدأ إسرائيل الأمني قد تغير في ظل الليكود. وهذا التغيير يمكن أن نراه في المجالات التالية: دور الحرب والموقف من عملية حل النزاعات وإمكانات القوة العسكرية والهدف القومي الجوهري.

وكان دور الحرب في مبدأ الأمن الإسرائيلي التقليدي دور الحرب الدفاعية. فالحرب ينبغي تفاديها بأي ثمن لأنها سيئة وغير أخلاقية. لكن النخبة السياسية العسكرية في الليكود كانت ترى في الحرب أداة لتحقيق الأهداف القومية. وهكذا بات مبدأ إسرائيل الأمني ينطوي على البديل الآخر

(٢) Ian Lustick, 'Israel's Arab Minority and the Begin Era', in Robert Freedman (ed.), *Israel in the Begin Era* (New York: Praeger, 1982), p.126.

(٣) Ehud Sprinzak, *The Ascendance of Israel's Radical Right* (Oxford: Oxford University Press, 1991), p.16.

المسمى «خيار الحرب»، والذي انعكس انعكاسا مباشرا في نظرة الليكود إلى النزاع العربي الإسرائيلي.

أما موقف حزب العمل من عملية حل النزاعات فكان يوصف بالموقف القاضي بـ «اطفاء الحرائق» وبـ «نزع فتيل التفجيرات»[٤]. لكن مقاربة النزاع العربي الإسرائيلي في ظل الليكود تبدلت إلى «الحل من خلال تخطيط عسكري مسبق يهدف إلى تغيير الوضع برمته». وبعبارة أخرى، فقد استبدل الليكود بالاستخدام المحدود للقوة عمليات عسكرية واسعة، من دون أن تكون نتيجة استفزاز، تهدف إلى تغيير الوضع الجغرافي الاستراتيجي للشرق الأوسط.

وفي ظل حكومة العمل الإسرائيلية، كان ينظر إلى القوة العسكرية على أساس الاستخدام المحدود لها. لكن وزير الدفاع في الليكود أرييل شارون قرر أن إسرائيل تملك القدرة على فرض الحل العسكري، وبالتالي، عليها استخدام هذه القوة. وباختصار، فقد حل الهجوم محل الدفاع. وتبدل، في النهاية، الهدف الأساس للأمن القومي، إلى سعي إسرائيلي علني من أجل الهيمنة.

وكان مناحيم بيغن هو الذي تبنى علناً، هذا المبدأ الأمني الجديد خلال ولايته الثانية. لكن الأفكار التي ينطوي عليها هذا المبدأ لم تكن جديدة، أو خاصة بالليكود. فقد سبق للحركة الإصلاحية أن دعت إلى استخدام القوة وسيلة لتحقيق أهداف قومية. وكان كل من رئيس الوزراء مناحيم بيغن، بصفته الرئيس السابق للإرغون، ووزير خارجيته اسحق شامير، بصفته الرئيس السابق لعصابة شتيرن، قد عارضا سياسات ضبط النفس في الأربعينات. وكذلك في الخمسينات، كان كل من وزير الدفاع شارون، ورئيس الأركان إيتان، قد دعا إلى مقاربة ذات توجه هجومي[٥].

أضف إلى ذلك، أن كل هذه المواقف في شأن القوة العسكرية والهيمنة

(٤) Yoram Peri, 'Coexistence or Hegemony? Shifts in the Israeli Security concept', in Dan Caspi, Abraham Diskin and Emanuel Gutman (eds.), *The Roots of Begin's Success: The 1981 Israeli Elections* (London: Croom Helm, 1984), p.208.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٠٤.



يمكن إيجادها في تفكير بن غوريون في الخمسينات. وفي الواقع، فإن حملة سيناء في العام ١٩٥٦، لم تكن سوى حرب خيار ارتكزت على تخطيط واسع ومسبق، يهدف في النهاية إلى بسط هيمنة إسرائيل على المنطقة من خلال استخدام القوة العسكرية. لكن بن غوريون لم يتمكن على الإطلاق من جعل هذه الأفكار مبدأ لأمن إسرائيل، لأنه لم يكن يعمل ضمن الوضع الامثل الذي يفترض ذلك الاجماع على السياسة الخارجية والأمن القومي الذي كان قائماً في وسط النخبة الحاكمة، صانعة القرار، في الثمانينات. ومع ذلك، فإنه يظهر لنا جلياً الارث الذي تركه بن غوريون لحكومة الليكود.

## سياسة لبنانية فاعلة: بيغن، إيتان وشارون

لا يشكل مبدأ الأمن الإسرائيلي مجموعة من المبادئ الأمنية، بل هو سلسلة من العناصر الأساسية التي تنعكس في مسلك النخبة العسكرية السياسية[٦]. ولهذا فمن الضروري أن ننظر في وجهات نظر صانعي القرار الاساسيين لنتبين تأثيرهم في التبدلات التي طرأت على سياسة إسرائيل اللبنانية. هذه الشخصيات الرئيسية هي رئيس الوزراء مناحيم بيغن، ورئيس أركانه منذ العام ١٩٧٩ رفائيل إيتان، ووزير دفاعه منذ العام ١٩٨١ أرييل شارون.

لقد وصفت زعامة بيغن بأنها لم تكن نابعة من مكانة فكرية أو من عمق تفكير، بل من مزايا، اتصف بها طوال فترة حكمه، تمثلت بثبات المقصد، والتصميم المطبوع باستقلالية الرأي، وشعوره بأنه صاحب رسالة، ويقينه الداخلي المطلق بأنه على صواب وفي صواب[٧]. وتنطبق هذه المزايا على الليكود بقدر ما تنطبق على بيغن. فالليكود كان قلقا من احتمال هيمنة سوريا على لبنان، وقد تملكه الذعر من أن القومية الفلسطينية في لبنان قد تنتشر إلى الأراضي المحتلة، ما يؤدي إلى نشوء دولة فلسطينية. وزاد من حدة هذه الرؤية للتهديد الفلسطيني تصاعد الاشتباكات عبر الحدود التي كان يثيرها كل من جيش الدفاع الإسرائيلي، وجيش لبنان الجنوبي، والفدائيين الفلسطينيين

(٦) المصدر نفسه، ص١٩١.

(٧) Meir Merhav, *Jerusalem Post*, 23 August 1977.

ومجموعات أخرى لبنانية. وكان كل حادث، تقريبا، يليه عمل انتقامي من الجانب الآخر، ويساهم في تصعيد العنف. وقد أصبح هذا العنف المتزايد، المقرون بتركيز الليكود على الهموم الأمنية، عاملاً مهماً في نظرة بيغن إلى التحالف مع الموارنة. وبهذا المعنى، كان ينظر إلى الموارنة على أنهم قادرون على المساهمة في أن تصبح إسرائيل أكثر أمنا لأنهم كانوا أيضا يحاربون الفلسطينيين[٨].

وانتهج بيغن سياسة الهجمات الوقائية والضربات الانتقامية ضد لبنان رداً على هجمات إرهابية كانت تنطلق من أراضيه. وقد أجمل رفائيل إيتان هذه السياسة بقوله: «إننا نخوض حربا ضد الإرهاب. وعلى الحرب المكافحة للإرهاب أن تحتذي حذو الإرهاب. نحن نعتمد هذه الأساليب في جنوب لبنان ـ نلائمها مع الموقف... ومع انتشارهم في لبنان... ومع طبيعة عملياتهم»[٩]. وأضاف أن «التطبيق الفعلي لهذا المبدأ العدواني يتمثل في ضربنا قواعدهم ومقرات تنظيماتهم ومناطق تحضيراتهم ومستودعات التموين والمعدات وفق الوسائل المؤثرة بالنسبة للهدف المحدد»[١٠].

أما سياسة «الجدار الطيب» التي بادر فيها رئيس الوزراء السابق اسحق رابين للاغاثة الانسانية في اعقاب اتصال مسيحيين في جنوب لبنان بإسرائيل، فقد توسعت الى علاقة وكالة منتظمة نتيجة «عملية الليطاني» لأن الليكود كان ينظر الى الوضع المتفجر في لبنان نظرة شك، ولم ينحصر هذا الشك بالفلسطينيين وحدهم، بل بسوريا أيضا التي كانت تهدد استقلال الموارنة في بيروت. وقد أصبحت سياسة إسرائيل، نتيجة التحالف الأوثق مع القوات اللبنانية التابعة لبشير الجميل، والتزام بيغن حماية الموارنة، سياسة أكثر عدوانية تجاه سوريا تقلصت معها حدود صبر اسرائيل عليها.

(٨) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل أبيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٩) مقتطفات من مقابلة أجراها راديو الجيش الإسرائيلي مع رئيس الأركان إيتان في ٨ أيلول ١٩٧٩ كما وردت في Meron Medzini, *Israel's Foreign Relations, Documents 1979-1980* (Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs, 1984), pp.123-7.
(١٠) المصدر نفسه.



ومع ذلك لم يحصل أي تغيير مفاهيمي حقيقي في سياسة الأمن إلا بعد تشكيل حكومة بيغن الليكودية الثانية في العام ١٩٨١. ويعود سبب ذلك الى تركيبة الحكومة بعامة، وتعيين أرييل شارون في منصب وزير الدفاع بخاصة. لقد كانت حكومة بيغن الأولى منقسمة أيديولوجيا مع وجود عازار وايزمان وزيراً للدفاع، وموشي دايان وزيراً للخارجية، والحركة الديمقراطية للتغيير، الممثلة لليسار السياسي، الشريكة في الائتلاف. لكن دايان استقال لأسباب خاصة عام ١٩٧٩ وتبعه وايزمان عام ١٩٨٠ لأسباب مماثلة. وأحدثت انتخابات ١٩٨١ المزيد من التحول مع إحلال حزب أغودات اسرائيل اليميني محل الحركة الديمقراطية للتغيير. وهي تغييرات أدّت إلى تقوية جناح الصقور في الليكود.

وكانت لهذه التغييرات علاقة مباشرة بسياسة إسرائيل حيال الموارنة ولبنان. فحكومة بيغن الأولى واصلت في شكل عام سياسة رابين نفسها حيال لبنان، بمعنى انها لم تكن قد أقرت بعد التدخل الشامل الذي طالب به الموارنة. فقد كان يُنظر إلى لبنان ضمن السياق اللبناني ـ الإسرائيلي المحدود، ولهذا يجب التطلع، من وجهة النظر هذه، إلى التعهد الذي قدم للمسيحيين اللبنانيين بتوفير الحماية الكاملة من السوريين[١١].

والتغيير الوحيد الذي أجراه بيغن، والذي شكل إشارة للمستقبل، هو امكانية تصوّر اقدام إسرائيل على مساعدة الموارنة في ساحة القتال أيضاً[١٢]. وقد أعلن ذلك بالفعل بعد نحو ثلاثة أشهر على انتخابه، إذ قرر أن تشارك إسرائيل في معركة، في مكان ما من شمال الحدود، لإنقاذ الموارنة من كارثة كان على يقين أنها ستقع[١٣]. وكان وزير دفاعه عازار وايزمان قد دعم هذه الخطوة بقوة. وهكذا أرسلت إسرائيل في العام ١٩٧٨ قوات مظلية وبرية عبر الحدود الدولية لمساعدة الموارنة. لقد كان بيغن، شأنه شأن معظم صانعي القرار الإسرائيليين، يرى في مجموعات الموارنة في الشمال وعلى طول الحدود

(١١) Schiff, *A History of the Israeli Army*, p.244.
(١٢) مقابلة مع اريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(١٣) المصدر نفسه.

الاسرائيلية في الجنوب طائفة واحدة متراصة ومتجانسة، مع فارق واحد هو حصول كل منهم على أنواع مختلفة من المساعدة على الصعيد العملي[١٤].

وفي العام ١٩٧٨ وبعد «عملية الليطاني»، عقد بيغن سلسلة من الاجتماعات مع الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون ومع بشير الجميل. وفي أحد هذه الاجتماعات، في منزله في القدس، تعهد لهما أنه «في حال تعرضهما لخطر حقيقي وطلبهما حماية جوية فإن سلاح الجو الإسرائيلي سيقدم لهما المساعدة اللازمة»[١٥]. وبالفعل تدخلت إسرائيل في العام ١٩٨١ لمساعدة الموارنة وأسقطت طائرتي هيليكوبتر سوريتين في منطقة تسمى «الكوريدور الفرنسي»[١٦].

لم تتبدل نظرة بيغن إلى لبنان من ولايته الأولى إلى ولايته الثانية، بل أضاف إليها هدفا يتمثل في استئصال منظمة التحرير الفلسطينية. لكن ثمة تغييراً حصل مع تعيين أريبل شارون وزيراً للدفاع. إذ لم يعد يُنظر إلى المساعدة المقدمة إلى الموارنة من المنظور اللبناني الإسرائيلي الصرف، بل من منظور اقليمي اسرائيلي ـ شرق أوسطي. وبعبارة أخرى، فإن الوقت بالنسبة إلى إسرائيل كان قد حان لتصفية حساباتها مع سوريا، وللقضاء على الخطر الفلسطيني، بهدف تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة أقل عداء. وكان التدخل في لبنان من خلال تحالف علني مع الموارنة الوسيلة لبسط الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة. وهكذا أصبحت العلاقات الإسرائيلية المارونية نقطة محورية للبلدين للانطلاق الى تغيير الشرق الأوسط. وكانت الدلالة على هذا التحول من علاقة إلى تحالف، التدخل الاسرائيلي في العام ١٩٨١، عندما استدرج الموارنة السوريين إلى مواجهة قرب زحلة. ولما وجد الموارنة أنهم لن يتمكنوا من النجاح بمفردهم، استنجدوا بإسرائيل لمساعدتهم. وقد وافق بيغن، الذي تعهد أنه لن يسمح للسوريين بالقضاء على المسيحيين، وافق على توجيه ضربة

(١٤) مقابلة مع مردخاي غور، تل أبيب ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣. مقابلة مع أريبه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣. مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(١٥) مقابلة مع أريبه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(١٦) المصدر نفسه.



جوية إسرائيلية ضد الهيليكوبتر السورية، مثيرا بذلك أزمة[١٧]. ولم تبدل حكومة الليكود بهذه الخطوة علاقاتها مع الموارنة فحسب، بل غيرت أيضا في سياسة «الخطوط الحمر» الرادعة حيال سوريا.

ان آراء شارون الصقرية المتطرفة هي التي رسمت سياسة التعاطي مع منظمة التحرير الفلسطينية المعدلة، محاولة للموازنة في ما خص الأمن بين الآراء المتطرفة والمعتدلة[١٨]. واعتمد شارون على القوة العسكرية لتحقيق أهدافه بدون تقدير النتائج السياسية. لقد بات هدف إسرائيل الآن تحقيق الأمن على الحدود الشمالية من خلال تقليص قدرات منظمة التحرير على الهجوم. وكان هذا يعني، عمليا، ممارسة ما أمكن من الضغط على الفلسطينيين من خلال هجمات متكررة عليهم، بحيث تصبح المنظمة عرضة لهذه الهجمات باستمرار في المكان والزمان اللذين تختارهما إسرائيل، بدلا من التعرض لعمليات انتقامية عقاباً على هجمات ترتكبها[١٩]. وهذا التشديد غيّر سياسة الليكود الامنية من سياسة «ردة الفعل» إلى سياسة «استباق الفعل»، التي ركزت على اللجوء الى استخدام القوة لإحداث تغييرات جغرافية سياسية في المنطقة[٢٠].

وعلى الرغم من ذلك، فإن محللين اسرائيليين زعموا أنه ما زال بالإمكان اعتبار هذه الاستراتيجية الهجومية استراتيجية تدخل ضمن المبدأ العسكري الإسرائيلي العام بغرض الدفاع عن النفس، الذي يتضمن خيار شن الهجمات الاستباقية أو الوقائية[٢١]. وطبقاً لذلك، فإن الادعاءات الرسمية الاسرائيلية تزعم أن الاساليب العسكرية كانت حتى «عملية سلامة الجليل» في العام ١٩٨٢، تستخدم فقط لغايات دفاعية، عوضاً عن استخدامها لتحقيق أهداف

(١٧) Schiff, *A History of the Israeli Army*, p.243.

(١٨) Horowitz, 'Israel's War in Lebanon', in Lissak (ed.), *Israeli Society and its Defense Establishment*, p.85.

(١٩) Avraham Tamir, *A Soldier in Search of Peace* (New York: Harper & Row, 1988), p.116.

(٢٠) Seliktar, *New Zionism and the Foreign Policy System of Israel*, p.224.

(٢١) Levite, *Offense and Defense in Israeli Military Doctrine*, p.53.

سياسية. لكن هذه الادعاءات لا تصمد أمام التدقيق الشديد. اذ لا يمكن اعتبار قلة الأعمال العسكرية المكشوفة مؤشراً على مسلك دفاعي محض عندما يكون الهدف النهائي الهيمنة الإسرائيلية. وفي ضوء التصعيد ضد سوريا و«التحالف» الماروني، يصح القول ان الوسائل العسكرية التي استخدمت فقط لأهداف دفاعية مسألة مشكوك فيها جداً، بل غير معقولة. وفي الواقع يجب النظر إلى هذه السياسات، وإلى طريقة عرضها في الفكر الإسرائيلي السائد، على أنها نتاج مباشر لسياسة إسرائيل الخارجية التي تتحكم بها الحجج العسكرية.

ويمكن إلقاء جانب من اللوم على غياب التعريف الواضح، في القوانين المرعية، للعلاقات بين جيش الدفاع الإسرائيلي والحكومة. فالقوات المسلحة تخضع لسلطة الحكومة عبر وزير الدفاع الذي يؤدي دور القائد الاعلى لهذه القوات، على الرغم من أن منصبه لا يحمل هذا اللقب بصريح العبارة. فوزير الدفاع ليس في حاجة إلى التشاور مع الحكومة، أو إلى الحصول على موافقة الكنيست قبل اتخاذ قرارات كبرى[٢٢]. وبالتالي، فإن وزير الدفاع وفي معظم الأحيان، هو الذي يصنع سياسة إسرائيل الخارجية بدلا من وزارة الخارجية.

## إنشاء الحزام الأمني

كان إنشاء الحزام الأمني في جنوب لبنان الدليل الأبلغ على سياسة اسرائيل القائمة على مبدأ التدخل، وعلى التعاون مع المجموعات المارونية. فقد ظهر اهتمام إسرائيل بالأمن على حدودها الشمالية أولا بُعيد نشوب الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥. وكان وزير خارجية اسرائيل، إيغال آلون، قد توصل بعد استقالة حكومة رشيد الصلح اللبنانية إلى استنتاج مؤداه أن «أي اتفاق لوقف النار لن يصمد في لبنان». وبالطبع، فقد كان من المنطقي توقع انتشار الاضطرابات الى الجنوب لتشمل إسرائيل أيضاً[٢٣]. وعلى أثر هذا التقويم، بدأ الإسرائيليون يفكرون ببعض صلاتهم في لبنان، ورأى رئيس

(٢٢) Seliktar, *New Zionism and the Foreign Policy System of Israel*, p.195.

(٢٣) Beate Hamizrahi, *The Emergence of the South Lebanon Security Belt* (New York: Praeger Publishers, 1988), p.49.



الأركان مردخاي غور الأمر على النحو الآتي: إن معظم «الإرهابيين» الفلسطينيين موجودون في لبنان وعلى مقربة من المناطق المسيحية، وما دام المسيحيون قادرين على مشاركة إسرائيل في منع هذا «الإرهاب»، فإن ذلك يفي بحاجات المصالح الإسرائيلية[٢٤]. وهكذا تم إحياء المخطط، الذي وضعه موشي دايان عام ١٩٥٥، والقاضي بتجنيد عسكري لبناني لحماية مصالح إسرائيل، بعدما اعتبرت إسرائيل، في العام ١٩٧٦، ان احتمال تجنيد الرائد سعد حداد، احتمال ممكن. وحداد ضابط في الجيش اللبناني من طائفة الروم الكاثوليك، كان يعارض الفلسطينيين بقوة، ولا سيما بعد قيام الفلسطينيين بتدمير الدامور المسيحية في كانون الثاني/يناير ١٩٧٦.

وابتداء من ربيع ١٩٧٦، سمح للاجئين اللبنانيين من المناطق الحدودية، مسيحيين ودروزا، بالعبور إلى إسرائيل لأسباب انسانية. وكان مبعث هذه السياسة الحاجة السياسية إلى حدود ودية ومأمونة، وإلى إيجاد منفذ إلى الساحة السياسية اللبنانية. أضف إلى ذلك، أن الاتصالات السياسية المباشرة كانت قد اجريت، وأن عناصر يمينية في إسرائيل قد نمّت صلات مع مسيحيين لبنانيين في العام ١٩٧٤ لتسويق فكرة دولة مسيحية. ففي العام ١٩٧٦، على سبيل المثال، توجه أعضاء من الحركة الكنعانية برئاسة أهارون أمير إلى مسيحيي جنوب لبنان من أجل إقامة «اتصالات ثقافية». فقد كان أمير يؤمن بوجود ارضية ثقافية مشتركة بين الكنعانيين والفينيقيين، ما جعله ينشط في الترويج لتحالف ماروني إسرائيلي[٢٥]. لهذا، لم تفاجأ إسرائيل عندما اقام جنود لبنانيون من مرجعيون صلة مع جيش الدفاع الإسرائيلي ولم تتردد في حماية القرى المسيحية في جنوب لبنان. وكان الردّ على هذا الطلب ما سمي بسياسة «الجدار الطيب»، تلك السياسة التي فتحت الحدود رسميا أمام المساعدة الاقتصادية والانسانية. إلا أن الأهم هو أنها مكّنت الجيش الإسرائيلي من تدريب جنود من جنوب لبنان في معسكرات معزولة.

(٢٤) مقابلة مع مردخاي غور، تل أبيب ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٢٥) لمزيد من التفاصيل عن الفلسفة الكنعانية راجع Aharon Amir, *Levanon: Eretz, Am, Milchama (Lebanon: Country, People, War)* (Tel Aviv: Hadar, 1979).

لقد كانت المساعدات الإسرائيلية لدواع استراتيجية اكثر مما كانت لمساعدة المسيحيين إكراماً لخاطرهم. ففي الواقع كانت سياسة «الجدار الطيب» بمثابة الرد على فقدان الحكومة اللبنانية السيطرة على جنوب لبنان، فقد كان على إسرائيل أن تؤمّن لنفسها سلامة حدودها الشمالية، وكانت النتيجة أنها استغلت فرصة سانحة لتلبية حاجاتها الأمنية. وعندما تحركت حكومة حزب العمل رداً على تطورات أثارتها مجموعات داخل لبنان، امتنعت عن اتخاذ مبادرات رئيسية، أساساً، لأن المنطقة لم تكن تُعتبر ذات أهمية حاسمة، ولأن تدخلاً كاملاً قد يجر إلى مواجهة عسكرية غير مرغوب فيها[٢٦]، ولهذا اختارت إسرائيل انتهاج سياسة أمنية محدودة. فهي لم تجد حاجة إلى التدخل ما دام الصراع محصوراً في لبنان، لكنها على الرغم من ذلك، فقد عمدت إلى تجنيد مسيحيين لبنانيين لضمان موقعها على الحدود الشمالية.

لذلك، بدأت الوحدات المعادية للحكومة في آذار/مارس ١٩٧٦، تتحرش بقرى مسيحية في الجنوب، الأمر الذي جعل الحكومة اللبنانية تكلف سعد حداد قيادة وحدات الجيش المنتشرة هناك لحماية هذه القرى. عندئذٍ أخذ حداد ينشئ ميليشيا خاصة به بمساعدة من إسرائيل[٢٧].

وبدءاً من أواخر العام ١٩٧٦، أصبح المسيحيون في القطاعات الثلاثة الخاضعة لسعد حداد هدفا لعمليات منظمة التحرير الفلسطينية، وهي عمليات كانت، في الغالب، تعقب أعمالا عدائية يبدأها جيش لبنان الجنوبي. كما ازداد التوتر في المنطقة بفعل الصحوة السياسية الشيعية. وأصبح واضحاً، إبان معارك الطيبة في نيسان/ابريل ١٩٧٧، أن إسرائيل قللت من شأن القوى الفلسطينية واللبنانية اليسارية[٢٨]. فقد اخفقت اسرائيل في فهم التغيرات الحاصلة في لبنان، ولذلك تحول الهجوم المسيحي المعاكس إلى مهزلة لجيش لبنان الجنوبي، ما أرغم إسرائيل على إعادة تقويم سياستها الأمنية المحدودة، لكنها لم تشعر بالحاجة إلى إعادة تقويم فهمها للساحة اللبنانية.

(٢٦) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.32.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٤١-٤٧.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٣٢.



لقد فشل النظام الاستشاري الإسرائيلي لأنه كان يركز أساسا على تنظيم التعاون مع القرى اللبنانية الحدودية. فالضباط الإسرائيليون لم يشاركوا مباشرة في الأحداث العسكرية إذ إن الافتراض العام كان يقول إن في إمكان حداد اتخاذ القرار الصائب على المستويين المحلي والتكتيكي، وانه شجاع ومتمرس[٢٩]. لكن الهزائم في الطيبة خلقت نفوراً بين حداد والجيش الإسرائيلي، إذ باتت إسرائيل تنظر إليه على انه أقل قدرة مما كان متوقعا. لذلك، ومن أجل إعادة اعتباره، بدأ هجوما في آذار/مارس ١٩٧٧، بهدف السيطرة على قرى مهمة وتوسيع قطاعاته الثلاثة، إلا أن العملية انزلقت إلى حرب استنزاف، وإسرائيل لم تتدخل في المراحل الأولى منها، بل اكتفت بإرسال دوريات ليلية مدرعة إلى المنطقة لرفع معنويات المسيحيين ولتوجيه تحذير إلى أعدائهم.

ومع تزايد هجمات حداد، تزايدت عمليات منظمة التحرير الفلسطينية الانتقامية إلى حد القصف المدفعي المنتظم، ما حتّم على ضباط الجيش الإسرائيلي قضاء وقت أكبر في القرى اللبنانية بحثا عن طريقة للتخفيف من هذا الضغط، إذ إن المشكلة الامنية لن تلبث ان تصل الى حدود اسرائيل اذا ما تعذّر احتواؤها. وعلى الرغم من ذلك، فإن ردات الفعل الاسرائيلية كانت حذرة، لأسباب، منها ان اسرائيل لم تكن تنظر إلى المسألة على أنها تشكل تهديداً كبيراً للأمن الإسرائيلي، كما ان المشكلات السياسية الداخلية التي أثارتها استقالة رئيس الحكومة رابين أخذت الاولوية على غيرها. فضلاً عن أن الولايات المتحدة نصحت باعتماد الحذر الشديد، في وقت كانت تحاول حصر نشاط منظمة التحرير ودفع سوريا لردعها[٣٠].

لكن الموقف في جنوب لبنان لم يتغير. فالفراغ الأمني كان بمثابة دعوة لدخول الفلسطينيين الذين لم يكونوا يخضعون لسيطرة أي من الحكومتين السورية أو اللبنانية، ولم يكن في إمكان السكان الشيعة، كذلك، أن يقاوموا هذا الدخول. وبالتالي، كان على الجيش الإسرائيلي أن يقوي مواقع حداد،

(٢٩) Hamizrahi, *The Emergence of the South Lebanon Security Belt*, p.153.

(٣٠) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.70.

وأن يزيد من نشاطاته الحدودية. لقد أصبح واضحا للفرع الخاص في الجيش الإسرائيلي المسؤول عن جنوب لبنان، أنه يجب السماح لقوات حداد بنشاط عسكري كامل.

وأدّى فوز حزب الليكود النصير الاشد لمبدأ التدخل، في انتخابات أيار/مايو ١٩٧٧، إلى إزالة كل حاجز داخلي يحول دون تعميق التورّط في جنوب لبنان. وهكذا تم اطلاق «عملية التعاون» في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٧٧، بعدما تصاعدت العمليات الفلسطينية نتيجة استفزازات جيش لبنان الجنوبي، وبعدما تصاعدت أيضاً الاعتداءات الفلسطينية في إسرائيل والأراضي المحتلة، فقصف الجيش الإسرائيلي أهدافاً لمنظمة التحرير حول مناطق حداد مركّزاً على تل صريفة. وفي اليوم التالي، تمركزت وحدات إسرائيلية في مواقع مختلفة من مناطق حداد وبقيت هناك حتى جرى انسحابها نتيجة الضغط الأميركي. وبهذا فقد شكل قرار دعم المسيحيين اللبنانيين العلني تحولاً ذا مغزى عن سياسة حكومة رابين. إذ تعهد وزير الدفاع عازار وايزمان ان الجيش الإسرائيلي، في حال تدهور وضع المسيحيين مرة أخرى، سيتدخل بقوة أكبر[٣١].

وقد بذلت سوريا ومنظمة التحرير بين «عملية التعاون» و«عملية الليطاني» جهودا للاتصال بحداد ووضع حد لنفوذ إسرائيل. وبالفعل فقد توصلت منظمة التحرير وحداد إلى «اتفاق شرف»، أعيد بموجبه التيار الكهربائي إلى القرى المسيحية. لكن هذا الاتفاق لم يضع حدا للقتال المتقطع بين جيش لبنان الجنوبي ومنظمة التحرير، في الوقت الذي كانت اسرائيل تقصف فيه المواقع الفلسطينية. وبذلك، فإن أي وقف لأعمال العنف لم يدم أكثر من بضعة أسابيع.

## عملية الليطاني

كانت «عملية الليطاني» في العام ١٩٧٨، أول تدخل عسكري واسع النطاق للجيش الإسرائيلي في لبنان ردّا على هجوم فلسطيني داخل إسرائيل انطلاقا من أراضيه. لكن الاهم من ذلك، هو أن هذه العملية البرية ربطت

(٣١) Hamizrahi, *The Emergence of the South Lebanon Security Belt*, p.41.



الموارنة بالمسيحيين الآخرين في جنوب لبنان وبإسرائيل. ويمكن اعتبارها أيضاً أنها المحاولة الاولى للتعاون العسكري مع قوات بشير الجميل في الشمال.

وفي ١١ آذار/مارس ١٩٧٨، خطف فدائيون من منظمة فتح باصاً إسرائيلياً على طريق حيفا ـ تل أبيب الساحلية. لقد أوقف الباص عند حاجز في شمال تل ابيب، واشتعل نتيجة تبادل النيران بين الفدائيين وقوات الأمن الإسرائيلية. وهذا الحادث الذي وقع في قلب البلاد، وقتل فيه ٣٧ وجرح ٧٨، أشار إلى مرحلة جديدة من التدخل الإسرائيلي في لبنان وفي جنوبه، بصفة خاصة. وبرر بيغن الرد الانتقامي كسياسة، بقوله إن «الذين يقتلون يهودا في ايامنا هذه لا يمكنهم أن يبقوا من دون قصاص وان إسرائيل ستقطع الذراع الشريرة لمنظمة التحرير»[٣٢].

وبعدما أثبتت الاستخبارات الإسرائيلية بأن الفلسطينيين انطلقوا من لبنان، اتخذ قرار بالرد من خلال عملية عسكرية واسعة النطاق ضد جنوب لبنان، كان الهدف الأساسي منها معاقبة منظمة التحرير وتدمير بنيتها التحتية جنوب الليطاني. وقد خططت العملية لضرب جميع قواعد المنظمة في الجنوب، وكان يفترض أن تتم بأقل عدد ممكن من الضحايا الإسرائيليين ومن دون صدام مع القوات السورية. وأضيف هدف آخر في سياق العملية يقضي بإقامة حزام أمني في جنوب لبنان بالتعاون مع قوات حداد.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يثار فيها مفهوم المنطقة الأمنية الفعلية، الأمر الذي سيعني وجوداً إسرائيلياً أكثر بروزاً في جنوب لبنان. إذ إن تبني فكرة الحزام الامني المتواصل لم يحصل قبل ذلك الوقت لأن ضباط الاستخبارات العسكرية لم يكونوا يؤمنون بقدرة جيش لبنان الجنوبي على السيطرة على السكان الشيعة، بأغلبيتهم، في الشريط الحدودي[٣٣]. أضف إلى ذلك، أن «اليسار» الإسرائيلي كان يخشى أن يسارع «اليمين الاسرائيلي» إلى الضغط على الحكومة لبناء مستوطنات في جنوب لبنان. ولهذا لم يتم وضع

(٣٢) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.363.

(٣٣) Naomi Weinberger, *Syrian Intervention in Lebanon*, (Oxford: Oxford University Press, 1986), p.18.

أي مخططات لإنشاء حزام أمني قبل «عملية الليطاني»، بل ان التحضير لمثل هذه الخطط جرى على عجل كبير بعد تحقيق الأهداف العسكرية، وباتت هناك حاجة إلى إبراز النجاحات الملموسة.

واتخذت إسرائيل قرار التقدم إلى الليطاني بسبب ضغوط أميركية لحل تتقدم به الأمم المتحدة. ففي ١٩ آذار/مارس، سيطرت إسرائيل على المنطقة كلها الممتدة من حدودها إلى الليطاني باستثناء «جيب صور»، أي من ٨ إلى ١٠ كيلومترات أكثر مما حدده المخططون في البداية. وكان سبب هذا التوسع فيما بعد هو: أنه في حال قرر مجلس الأمن الدولي إرسال مراقبين أو قوات دولية إلى جنوب لبنان، فإن منطقة عملياتهم ستمتد إلى الليطاني امتدادا يخلق منطقة عازلة أكثر اتساعا بين إسرائيل والفلسطينيين. وعندما اتخذ القرار ٤٢٥ واضطرت إسرائيل للانسحاب تحت الضغط الأميركي، باتت قوات الامم المتحدة المنتدبة الى لبنان «اليونيفيل» هي المسؤولة عن ابقاء كامل المنطقة الواقعة جنوب الليطاني خالية من قوات منظمة التحرير الفلسطينية. لكن قوات حداد كانت في ذلك الوقت قد سيطرت على «المنطقة الأمنية» التي حددتها إسرائيل، وشرعت تسيّر دوريات في هذه الأراضي متحولة إلى جيش بالوكالة.

لقد كان جيش لبنان الجنوبي مثل أي جيش بالوكالة، يتمتع بمرونة تكتيكية في تطبيق الأهداف التي يمليها عليه اربابه. وقد أصبح يعتمد اعتماداً كلياً على الإسرائيليين وحدهم في دعمه. وكان الحافز لاستعداد حداد للتدخل لصالح اسرائيل تلاقي المصالح بين الطرفين. وبعبارات عامة، فإن مثل هذا التلاقي يبرز إذا كان لدى الوكيل اسبابه الخاصة للتدخل، ولكنه يفتقر إلى الوسائل للقيام بذلك دون دعم من أربابه[٣٤]. وفي حالة جيش لبنان الجنوبي، فإن جماعته كانت من السكان المحليين، قليلة العدد، وتتألف، أساساً من مسيحيين لبنانيين جنوبيين، ومن بعض الشيعة ايضاً، الذين يرفضون وجود الفلسطينيين في أراضيهم. وهكذا كان لحداد وللإسرائيليين هدف مشترك في الواقع، وهو تقليص وجود م.ت.ف. في جنوب لبنان. ومع

(٣٤) Tamir, *a Soldier in Search of Peace*, p.112.



ذلك، فإن إسرائيل أبقت وكيلها خاضعاً لمراقبة شديدة حتى لا تنحرف قواته عما هو مخطط إلا في أمور تكتيكية ثانوية.

وعلى الرغم من أن «عملية الليطاني» أدت إلى انشاء الحزام الأمني وإلى تحويل جيش لبنان الجنوبي جيشا إسرائيليا بالوكالة، بل حدّدت أيضا عتبات الردع لكل من سوريا وإسرائيل بإعادة رسم «الخطوط الحمر»، فإنها لم تؤد الى فرض نظام سياسي جديد أو إلى تدمير المنظمات الفلسطينية في الجنوب. فخلال التقدم الإسرائيلي، هرب معظم مقاتلي منظمة التحرير إلى شمال الليطاني، ولم يلبثوا أن أقاموا قواعد جديدة بين نهري الليطاني والزهراني[٣٥]. وسببت عمليات التسلل من هذه المنطقة إلى منطقة اليونيفيل مشكلات للمهمة التي انتدبت من أجلها «اليونيفيل» والمتمثلة في تأمين منطقة عازلة.

ولم تتحقق الأهداف الرامية إلى تقوية موقف المسيحيين ولا الأغراض السياسية الاستراتيجية الأوسع التي أضيفت خلال العملية. من هنا، فإن ممارسات إسرائيل لسياسة «الإكراه»، أي استخدام القوة العسكرية لخلق حقائق سياسية جديدة[٣٦]، ستحتاج إلى مرحلة أخرى.

## المساعدة الإسرائيلية للموارنة

في العام ١٩٧٧، بدأت تتوطد علاقة إسرائيل ببشير الجميل.[٣٧]. وكان ضباط الاتصال في الموساد يقومون بزيارات منتظمة لبيروت، ليبقوا على تماس بقيادة الكتائب وعلى تماس أيضاً بالطموحات النامية لهذه القيادة[٣٨]. وما ان اصبح الوجود السوري أكثر تعسفا، حتى تحول بشير الجميل رمزا للأمل بلبنان حر لا يكون للموارنة وحدهم؛ وقد انعكس ذلك في أهدافه التي أوضح انها الرغبة في بناء لبنان جديد متحرر من التقاليد الاقطاعية الخانقة، ومنفتح على التحديث.

(٣٥) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.77.

(٣٦) Levite, *Offense and Defense in Israeli Military Doctrine*, p.49.

(٣٧) مقابلة مع فؤاد ابو ناضر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.

(٣٨) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, pp.22-3.

وفي أيار/مايو ١٩٧٧، ومع انتخاب حكومة الليكود الأولى في إسرائيل، اجتازت العلاقات المارونية الإسرائيلية عتبة مهمة[٣٩]. فقد حاول بشير الجميل أن يكسب رئيس الوزراء مناحيم بيغن إلى جانب القضية المارونية. وعلى الرغم من أن بيغن تابع حتى العام ١٩٨١ سياسة رابين القاضية بتدخل غير مباشر، وانتقد بشدة اداء بشير خلال «عملية الليطاني»، فإن وضع الموارنة، إذا لم يكن بشير نفسه، قد ترك لديه انطباعا عميقا ومستديماً. وشدد مردخاي غور، الذي كان رئيسا للأركان في عهدي العمل والليكود، على دور بيغن في تغيير سياسة رابين:

> كان علينا أن نقرر هل نحافظ على علاقة جيدة معهم أم لا. وكان الجواب بأن نحافظ، في الاساس، على علاقة جيدة معهم، في الجنوب حيث كانت الامور عملية، فنحن نعرف بعضنا وقد دربناهم وزودناهم بالمعدات. أما في الشمال فقد كان الامر عبارة عن تقديم مساعدات عامة أكثر: بعض الأسلحة وبعض التدريب. لكن الأمور تغيرت مع مناحيم بيغن، على الرغم من كل تحذيراتي له. فهو كان يؤمن أن مسؤوليتنا، كشعب يهودي، أن نمنع نشوء وضع يجد فيه الموارنة أنفسهم في حرب[٤٠].

وهكذا بدأ بيغن، عام ١٩٧٧، في تعزيز العلاقة مع بيروت. وكان معنى ذلك على الصعيد العملي، مزيداً من الأسلحة، ومزيداً من التدريب، وإرسال مستشارين عسكريين إلى قوات بشير[٤١]. وبدأت عناصر من ميليشيا الكتائب بالتوجه إلى إسرائيل لتلقّي دورات تدريبية في معسكرات أقيمت خصيصاً لهذه الغاية على مقربة من الحدود اللبنانية. وازدادت الزيارات ايضاً بين الموارنة والإسرائيليين[٤٢].

وفي أيلول/سبتمبر ١٩٧٧، انتخب لبنان الياس سركيس، الذي رشحته سوريا، رئيسا جديدا للجمهورية. وهذا الافتقار الى القدرة على الاختيار جعل

(٣٩) مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.
(٤٠) مقابلة مع مردخاي غور، تل أبيب ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٤١) مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٤٢) المصدر نفسه.



الموارنة يدركون افتقار لبنان الى الاستقلال. وبالفعل، فإن كميل شمعون، الذي لم يكن دائما مؤيدا للكتائب، اتفق مع بشير الجميل على أن المعركة الحاسمة مع السوريين باتت أمراً محتوماً. إذ إن سوريا، بحسب قوله، مصممة على البقاء، ولهذا، رأى أن توثيق التحالف مع إسرائيل أصبح أمراً مرغوباً فيه، فشجع الجهود الرامية إلى تعزيز التقارب مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة، وجعلها تتعهد بالتزام أكبر نحوهم[٤٣]. ومع نهاية العام ١٩٧٧، كان بشير الجميل قد حصل على دعم شمعون الكامل لزياراته إلى إسرائيل التي مارس خلالها ضغطاً علنياً على اسرائيل للتحرك ضد سوريا[٤٤].

وكان صعود بشير الجميل كزعيم سياسي وعسكري موحد للموارنة، مع برنامج يتضمن المواجهة مع سوريا، قد عززا التحول في سياسة بيغن من أنها كانت نسخة تصعيدية عن سياسة رابين إلى أنها أصبحت التزاما أعمق ينطوي على المزيد من التدخل. وقد انعكس هذا الالتزام في «عملية الليطاني» المعلم التالي على الطريق نحو تدخل إسرائيلي مباشر لدعم المسيحيين اللبنانيين. وكان لتوغل الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان في آذار/مارس ١٩٧٨، نتيجتان أوليتان متناقضتان في ما يتعلق بالعلاقات الإسرائيلية المارونية. فمن ناحية، أدى الاجتياح وإقامة المنطقة الأمنية إلى توفير ترتيبات أمنية لمسيحيي جنوب لبنان قرّبتهم أكثر من إسرائيل، لكنه بدا، من ناحية أخرى، كما لو أنه استبعد مسيحيي وسط لبنان وشماله عن ترتيبات مماثلة. فقد طُلب من بشير الجميل أن يرسل ٨٠٠ رجل لدعم الرائد حداد، فقبل على مضض، لكن رجاله ما لبثوا أن فروا. وأثار رفض بشير الجميل دعم حداد علنا بعض التساؤلات في الدوائر الأمنية الإسرائيلية حول امكانية التعويل على الكتائب كحليف[٤٥].

لكن هذه التحفظات وضعت جانباً، شأنها شأن التقويمات السلبية الأخرى السابقة لها واللاحقة. وفي الواقع، فإن ضباط في الاستخبارات العسكرية

(٤٣) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.110.
(٤٤) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.23.
(٤٥) المصدر نفسه، ص٢٤.

كانوا قد حذروا بيغن من أن بشير الجميل يستفز السوريين ويحاول جر إسرائيل إلى حرب، لكن بيغن أهمل هذه التحذيرات[٤٦]. ومضت إسرائيل في الطريق الذي اختارته مزودة الموارنة بمزيد من السلاح والذخيرة والتدريب والخبرة[٤٧]. وكان الآلاف من المسيحيين يتوجهون إلى إسرائيل للتدرب سواء على الأمن، أو الاستخبارات، أو الأعمال الجندية[٤٨]. وهكذا استطاع بيغن أن يؤدي دورا حاسما في اقتراب اسرائيل أكثر فأكثر نحو التدخل المباشر في لبنان. ويستذكر شركاؤه السابقون كيف كان رئيس الحكومة يستلذ بفكرة القدرة على التأثير في أحداث الدول المجاورة[٤٩].

وجاء أول تدخل إسرائيلي مكشوف لمصلحة المسيحيين في وقت كان السوريون فيه يضغطون عليهم لتسليم اسلحتهم، فأرسل سلاح الجو الإسرائيلي في عرض للقوة فوق بيروت الشرقية، توقفت على أثره التحرشات السورية بالموارنة[٥٠]. وهذا التدخل الفعّال، والقصف على بيروت الشرقية في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٨، زادا في قناعة القوات اللبنانية بأن مستقبلهم هو مع إسرائيل. [٥١] وانعكست هذه النظرة في كتاب لفؤاد افرام البستاني، العضو في مجلس قيادة القوات اللبنانية، بعنوان «مسألة لبنان»، نُشر في الكسليك، في جامعة الروح القدس، الخزان الفكري للقوات اللبنانية. وبالفعل فقد كانت الكسليك في طور أن تصبح نواة الدولة المسيحية في حماية جيش صغير درّب في إسرائيل[٥٢].

وفي العام ١٩٧٩، طُلب من الجيش الاسرائيلي اجراء مسح شامل

---

(٤٦) مقابلة مع مردخاي غور، تل أبيب ٨ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٤٧) Sheikh Najib Alamuddin, *Turmoil - The Druzes, Lebanon and the Arab-Israeli Conflict*, (London: Quartet Books, 1993), p.183. See also Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.24. See also Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.333.

(٤٨) مقابلة مع أنطوان باسيل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٤٩) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.25.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٥١) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.240.

(٥٢) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.115.



لحاجات الموارنة العسكرية. فأُرسل ضباط إسرائيليون إلى لبنان لمساعدة الكتائب في استغلال إمكاناتهم استغلالاً كاملا في وقت كان فيه بيغن مأخوذاً بفكرة أن «إسرائيل كانت تعمل على انقاذ الطائفة المسيحية العريقة في لبنان من خطر الإبادة»[٥٣]، وقد أعلن على الملأ «لن نترك المسيحيين، في أي حال من الأحوال، في ايدي معذبيهم»[٥٤]. ان تصريحات من هذا النوع يجب ان تفهم من ضمن رؤية بيغن للعالم. لقد تأثر فكره تأثرا عميقا بتجاربه الماضية في القتال من أجل البقاء في الحرب العالمية الثانية وفي قتاله في سبيل إقامة إسرائيل بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٨. فبيغن الذي ولد في روسيا وتعلّم في وارسو أوقف عام ١٩٣٩، وسجن في أحد معسكرات الاعتقال. وهذا ما ترك عنده مرارة حيال العالم غير اليهودي. ومن هذا المنطلق تطورت نظرته إلى العالم متمحورة حول الاتكال على الذات وإرادة البقاء بأي ثمن. وفي ناحية من النواحي، لم تغب يوماً عن باله المحرقة النازية كعلامة استرشاد، فشبّه عرفات بهتلر وأطلق على ميثاق منظمة التحرير اسم «كفاحي» الثاني، وكان ينظر الى الموارنة على أنهم جماعة تواجه الإبادة محرقتهم الخاصة. والفكرة بأن اسرائيل تساعد المسيحيين، في وقت لا يساعدهم فيه أحد، كانت قد أعطته رضى لا يمكن فهمه إلا في سياق نظرته المتميزة الى العالم.

في العام ١٩٨٠، تطورت فكرة إنقاذ الموارنة الى نقطة اللاعودة. فقد ادعى في مقابلة للراديو في ٢٠ حزيران/يونيو: «لقد غيرنا الوضع في لبنان ومنعنا القضاء على الأقلية المسيحية. وهذا انجاز أخلاقي من الطراز الأول يقدره المسيحيون في العالم كله»[٥٥].

---

(٥٣) بيان لرئيس الوزراء بيغن في افتتاح الدورة الصيفية للكنيست في ٧ أيار ١٩٧٩، كما نشر في كتاب Meron Medzini, *Israel's Foreign Relations, Selected Documents, 1979-1980*, pp.16-19.

(٥٤) رئيس الوزراء بيغن في مؤتمر حيروت في ٣ حزيران ١٩٧٩، كما نشر في كتاب Meron Medzini, *Israel's Foreign Relations, Selected Documents, 1979-1980*, pp.45-48.

(٥٥) مقتطفات من مقابلة أجراها راديو الجيش الإسرائيلي مع رئيس الوزراء بيغن، كما نشرت في كتاب Meron Medzini, *Israel's Foreign Relations, Selected Documents, 1979-1980*, p.287.

ولم تكن المدركات الإسرائيلية وحدها التي تغذي العلاقة وتخلق التوقعات. وهاكم ما يتذكره أحد الموارنة:

كان ذلك في آذار أو نيسان/مارس، ابريل ١٩٨٠. انها رحلتي الأولى إلى إسرائيل. كان هناك هذا التعتيم الكامل والأمن من الموساد والجانب المسيحي فيما كانت تضاء الإشارات لهبوط الهيليكوبتر... حلقنا فوق لبنان، وأول أمر لاحظته كان انقطاع التيار الكهربائي على طول الشريط الساحلي. وفجأة، وبعد عشرين دقيقة، ظهرت الأضواء: إنها إسرائيل. كنت في الحقيقة مذهولا: هناك (في لبنان) الدمار، وهنا مدينة جديدة. كان لذلك وقع في نفسي. التقيت هناك عددا من الناس وكانوا لطفاء. هذا الانطباع هو الذي دام على ما أعتقد.

وبغض النظر عن الانطباع بأن إسرائيل قوية ويمكنها أن تحقق أي شيء، توهم أولئك الموارنة، الذين أقاموا صلات كثيرة مع الإسرائيليين، بأن الاسرائيليين كانوا أكثر من مجرد قوم يشاطرونهم الرأي أو التفكير. «كان المسيحيون خلال تلك الفترة يعتبرون الإسرائيليين مسيحيين في وجه من الوجوه. وكان الإسرائيليون ينظرون إلى المسيحيين على أنهم يهود في وجه من الوجوه. وهكذا كان كل طرف يتوقع الكثير من الطرف الآخر ولم يكن أي منهما يقرأ (الموقف) بطريقة براغماتية».

وفي موازاة هذه المدركات الإسرائيلية والمارونية، وقع حدث مهم في الطائفة المارونية سوف يحدد شكل العلاقات الإسرائيلية المارونية. فقد انهى حزب الكتائب في السابع من تموز/يوليو ١٩٨٠، حملة بدأها قبل عامين للسيطرة على القوات اللبنانية. وكان هدف بشير الجميل لبناناً موحداً، وقد شرع لتحقيقه بإزالة أي مقاومة داخل صفوف القوات اللبنانية. فدمّر الوطنيين الأحرار وميليشياتهم النمور، وقتل ٨٠ من رجال شمعون(٥٦)، وكانت النتيجة أن من تبقى من الشمعونيين رضخوا لسلطة بشير(٥٧). وبعدما وحّد قواته،

(٥٦) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.28.

(٥٧) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.114.



بدأ عملية توحيد لبنان ـ تحت سلطته أيضا. لقد كانت فكرته الاحتفاظ بكامل لبنان، وليس فقط من أجل المسيحيين. وإذا لم تنجح فكرته هذه فباستطاعة الموارنة دائما أن يتراجعوا إلى لبنان الصغير:(٥٨) «اذا كان ممكناً الاحتفاظ بلبنان موحد، من شأنه ان يحفظ بنية السلطة للكيان اللبناني التقليدي ويحفظ روحية هذا الكيان، فإن على الجبهة عندئذ، السعي من اجل ذلك. واذا كان الامر غير ممكن، ينبغي اللجوء الى استراتيجية لبنان الصغير»(٥٩).

ففي كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠، نشرت القوات اللبنانية وثيقة بهذا المعنى بعنوان «لبنان الذي نريد». وجاء في الوثيقة أن الميثاق الوطني لم يعد صالحا، وان هناك دورا للمسيحيين اللبنانيين بغض النظر عن ارقام عدد السكان، وأنهم في حاجة إلى حماية. وفي النسخة الانكليزية من الوثيقة وُصف الشرق الأوسط بأنه منطقة تعددية تتألف من دول أخرى غير عربية، مثل تركيا وإيران وإسرائيل. لكن النسخة العربية، كما يلاحظ إيتامار رابينوفيتش، أغفلت الإشارة إلى إسرائيل(٦٠).

ويمكن، اعتبار هذه الوثيقة في نواح عديدة، إشارة أخرى إلى العلاقة المبهمة بين إسرائيل ولبنان. ومن الأمور المثيرة للقلق التي اعربت عنها عناصر في الاستخبارات الإسرائيلية أن بشيرا لا يمكن الركون إليه وأنه يميل إلى الكلام الموارب، ويحاول جرّ إسرائيل إلى حرب مع سوريا، أضف إلى ذلك، أن القوات اللبنانية كانت تعاني ضعفا عسكريا مزمنا. لكن رئيس الوزراء بيغن تجاهل كل التحذيرات وسرعان ما وجد في وزارة الدفاع التأييد الذي دعم رؤيته كـ «مخلص الموارنة».

## التطورات الإقليمية: الردع ما قبل العام ١٩٨٢

كانت استراتيجية إسرائيل الرئيسية، في السياق الإقليمي، استراتيجية ردع موجهة إلى سوريا في شكل رئيسي. بهذا المعنى أعلن وزير الدفاع في حكومة

(٥٨) مقابلة مع فؤاد أبو ناصر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.

(٥٩) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.114.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١١٥.

العمل شيمون بيريز في التاسع من كانون الثاني/ يناير ١٩٧٦، أن إسرائيل لن تقف موقف اللامبالي حيال التدخل السوري، واستخدم واشنطن قناة اتصال لنقل هذه الرسالة إلى سوريا، وقرن ذلك بتحركات عسكرية على طول حدود إسرائيل الشمالية.

في ذلك الوقت، لم تكن المسألة اللبنانية تحتل أولوية قصوى. وكانت مسألة المفاوضات المباشرة بين إسرائيل وسوريا قد درست في نقاش جرى بين رئيس الوزراء رابين ووزير الخارجية الأميركي كيسنجر في العام ١٩٧٦[٦١]، لذا، فإن تهديد التدخل السوري، لم يؤدِّ دوراً مركزياً في الاعتبارات السياسية الاستراتيجية الإسرائيلية، في ظل حكومة حزب العمل.

كان الردع الإسرائيلي ـ السوري يستند إلى ما سمي بـ «الخطوط الحمر» التي رسمها الإسرائيليون في ٢٤ آذار/مارس ١٩٧٦، مخولين أنفسهم، علاوة على ذلك، حق ممارسة تفوقهم الجوي العسكري في الأجواء اللبنانية. وقد حددت هذه الخطوط جغرافياً، حدود التحمل الاسرائيلي للتدخل السوري، وهي حدود الليطاني. لذا، وقفت إسرائيل جانباً تراقب بحذر عندما دخلت سوريا الى لبنان. وكان مردُّ ضبط النفس والحذر الإسرائيليتين إلى تفاهم غير مباشر بين سوريا واسرائيل، ويقضي بأن توجه سوريا مجهودها العسكري ضد منظمة التحرير الفلسطينية وحلفائها. فضلاً عن أن الولايات المتحدة كانت تدعم التدخل السوري في لبنان لإعادة الاستقرار.

لكن الدخول السوري الى بيروت دفع بوحدات منظمة التحرير من المناطق الخاضعة للسيطرة السورية إلى جنوب لبنان، حيث أصبحت خارج نطاق القبضة السورية، وغير خاضعة لسلطة أحد. وكان معنى ذلك بالنسبة إلى إسرائيل أن كبح نشاطات منظمة التحرير ضد جيش لبنان الجنوبي والجليل أصبح من مسؤوليتها بسبب عدم وجود طرف آخر يتولى ذلك. وحاول وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر أن يقنع إسرائيل بأن تقبل الانتشار السوري في جنوب لبنان للسيطرة على منظمة التحرير وتجريدها من السلاح، إلا أن

(٦١) Hamizrahi, *The Emergence of the South Lebanon Security Belt*, p.56.



إسرائيل لم تقبل، وبالتالي، وجدت نفسها في مواجهة معضلة رئيسية ستتكرر في سنوات لاحقة. فالقبول بالانتشار السوري في الجنوب، كإجراء سلمي، يعني أن الجنوب سيتحول إلى قاعدة عسكرية سورية[٦٢].

لقد أثار الوجود السوري في لبنان المخاوف من إقدام سوريا على فتح جبهة ثانية على طول الحدود اللبنانية الإسرائيلية. وكان هذا الخوف ظاهراً، بصفة خاصة، في التفكير الاستراتيجي لليمين الإسرائيلي، وأدى دوراً مهماً في حكومة الليكود الثانية. فقد كانت إسرائيل تنظر إلى سوريا بصفتها الدولة العربية الأكثر عداء لها، وهذا ما منع إسرائيل من اعطاء السوريين الضوء الأخضر لفرض سلطتهم على منظمة التحرير.

لكن التدبير الذي اتُّخذ للردع بواسطة «الخطوط الحمر» لم يكن تدبيراً ناجعاً دائما. ففي العام ١٩٧٧، تجاهلت سوريا تهديدات اسرائيل بردعها وتحركت جنوباً عندما شعرت بأنها مهددة من قبل الميليشيات المسيحية ومنظمة التحرير وانتشرت وحداتها في النبطية منتهكة هذه الخطوط[٦٣]. وكان هذا التحرك يهدف، من جهة، إلى مصادرة الأسلحة وإلى فرض السلطة السورية، ومن جهة أخرى، إلى اختبار موقف إسرائيل من «الخطوط الحمر».

ولم يكن في استطاعة إسرائيل، وذلك من أجل مصداقية موقفها الردعي، أن تسكت عن الوجود السوري في لبنان حتى لو تطلّب الأمر أن تقوم وحدها بتجريد منظمة التحرير من السلاح. فقد كانت إسرائيل تخشى أن تستخدم سوريا هذا الموقع نقطة انطلاق لهجوم تقليدي عليها لأن الانتشار السوري في النبطية على الرغم من أنه انتشار محدود ومبهم، فقد يتبعه، إذا لم يتم ردعه، مزيد من التحركات العسكرية. ومن شأن هذا أن يؤدي إلى تآكل الموقف الإسرائيلي في جنوب لبنان وإلى فقدان «الخطوط الحمر» فعاليتها[٦٤]. لذلك، وجهت إسرائيل تحذيرات من خلال حشد قواتها على الحدود الشمالية مهددة بالتوغل في جنوب لبنان، ومستخدمة، في الوقت عينه، المساعي

(٦٢) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, pp.56-8.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٦٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٦٤.

الحميدة الأميركية للتفاوض مع سوريا، الأمر الذي أدى إلى انسحاب السوريين.

## إسرائيل والفلسطينيون في لبنان

عيّن الجنرال إيتان رئيسا للأركان في نيسان/إبريل ١٩٧٩، وقد أحدث هذا التعيين مزيداً من التغييرات في استراتيجية إسرائيل وتكتيكاتها. فقد استبدلت بـ «استراتيجية ردة الفعل» حملة انهاك متواصلة للقوات الفلسطينية، برية وجوية وبحرية. وكان الهدف الجديد تدمير الخصم، أو على الأقل اجباره على اتخاذ موقف دفاعي لمنعه من شن هجمات على إسرائيل التي لم يعد يمكنها الاعتماد على الردع لضمان أمنها.

كان الجيش الإسرائيلي مدربا أساسا لإحباط تهديد تقليدي استنادا إلى مبدأ الهجوم المعاكس وإلى ضمان أن الحروب يجب ألا تخاض على الأرض الإسرائيلية[٦٥]. وقبل العام ١٩٧٩، كانت العقيدة العسكرية الإسرائيلية تتضمن سياسة الرد الانتقامي التي تفرض عدم تكافؤ العمليات الانتقامية مع الهجوم. وكان أحد الأسباب التي تقوم عليها هذه السياسة هو اعتبار إسرائيل أن سلوك الدول العربية مسلك العنف، من خلال القيام بهجمات ضدها أو التغاضي عن مثل هذه الهجمات، هو شكل من أشكال الانحراف. فقد كانت تنظر إلى العرب على أنهم معادون ألدّاء لوجودها، ومصممون على تدميرها. ولهذا يجب مواجهة التهديد برد عسكري حاسم. لكن هذا الردّ العسكري لم يكن هدفا في حد ذاته، بل ان استراتيجية إسرائيل الانتقامية تمثلت في «دبلوماسية الاكراه» التي تهدف إلى تقويض إرادة الخصم[٦٦].

ومنذ العام ١٩٧٩ فصاعداً، أضافت إسرائيل مبدأ الضرب الوقائي إلى سياستها حيال لبنان. وأغار الجيش الإسرائيلي على كل قاعدة تدريب فلسطينية معروفة. وأدت هذه السياسة إلى تزايد الهجمات على أهداف عسكرية

(٦٥) Weinberger, *Syrian Intervention in Lebanon*, p.275.

(٦٦) Avner Yaniv, *Dilemmas of Security: Politics, Strategy and the Israeli Experience in Lebanon* (Oxford: Oxford University Press, 1987), p.78.



ومدنية[٦٧]. أما على الصعيد التكتيكي، فقد كان لسياسة إيتان الوقائية فعالية محدودة، في احراز «الإكراه السلبي» أي في إقناع الفلسطينيين بوقف عملياتهم. إلا أنه لم يحصل أي تراجع في العمليات المسلحة الفلسطينية، لأن تزايد الهجمات الإسرائيلية كان قد أدى إلى تطرف الفلسطينيين.

وفي أواخر العام ١٩٧٩، بدأ الفلسطينيون عملية التخندق في لبنان فأبدلوا بعملياتهم الفدائية، التي كانت تزعج إسرائيل، تركيز إمكانات بعيدة المدى من خلال نشر قاذفات صواريخ الكاتيوشا والمدفعية. وكانت منظمة التحرير قد شرعت في تغيير استراتيجيتها والتركيز على إقامة بنى تحتية واسعة مدنية وعسكرية، فأخذت تنشئ ما اصطلح على تسميته «دولة ضمن الدولة» تتضمن جيشا شبه نظامي.

## تحولات في العلاقة المارونية ـ الإسرائيلية

تطورت العلاقات الإسرائيلية المارونية، بين العامين ١٩٧٧ و١٩٨٠، من صلات سرية إلى تحالف مكشوف. واقترب الموارنة أكثر من إسرائيل بعد العام ١٩٧٧، بعدما شجعهم الليكود على ذلك. كذلك، فإن وجود الكسندر هيغ في الشرق الأوسط أشعرهم بأمان أكبر في صلتهم بإسرائيل، وقد فُسّر ذلك بأنه موافقة أميركية. وفي النهاية، فقد كانت خطوة الموارنة في اتجاه إسرائيل نتيجة لبروز بشير الجميل القوة السياسية الأولى[٦٨].

وكان تأثير الليكود على سياسة إسرائيل حيال الموارنة ولبنان، يستند إلى أيديولوجية الليكود اليمينية، وإلى التبديل الحاصل في عقيدة إسرائيل الأمنية، وإلى المتشددين من صانعي القرار أنفسهم. فأيديولوجية الليكود شددت تشديداً بالغاً على الأمن القومي، وكانت معادية للعرب وتروّج لإسرائيل الكبرى، مما أدى إلى مقاربة توسعية غير مهاودة لا تحجم عن احتلال الأرض عسكرياً او طرد السكان الاصليين العرب منها. وكان تغيير العقيدة الأمنية من عقيدة دفاعية إلى عقيدة هجومية مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بهذه الأيديولوجية. وعوضاً

(٦٧) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.87.

(٦٨) مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

عن تسكين العداوات الشديدة وانتظار العرب ليقرروا متى ينهون حال الحرب، قررت النخبة العسكرية السياسية في الليكود أن لإسرائيل ما يكفي من القوة لفرض حل نهائي للصراع العربي ـ الإسرائيلي. فالحرب لم تعد الفعل الشرير واللاخلاقي، بل تحولت إلى أداة لتحقيق أهداف سياسية. وفي الواقع، فقد حددت، الأهداف القومية وفقاً للقدرات العسكرية، فضلاً عن أن هذه الأهداف باتت في تلك الآونة، تعرّف، علنا، على أنها أهداف تقضي بالهيمنة الإسرائيلية على الشرق الأوسط كله.

وكانت عناصر الليكود الصقرية، التي تتشكل منها النخبة صانعة القرار، قد روّجت لهذه المقاربة الجديدة للأمن القومي. ففي حكومة الليكود الأولى، كان لا يزال في إمكان المعتدلين موازنة مواقف المتطرفين في السياسة الخارجية. لكن استقالة وزير الدفاع وايزمان ووزير الخارجية دايان قرابة نهاية ولاية بيغن الأولى، لم تؤد إلى إزالة التأثيرات المعتدلة من الحكومة، فحسب، بل تركت أيضاً منصب الدفاع الحساس شاغراً ليشغله أحد المتطرفين.

ونتج عن تأثير الليكود في السياسة الخارجية ازدياد الالتزام الاسرائيلي حيال الموارنة. إذ لم تعد إسرائيل بيغن تدعم الموارنة بالسلاح والمال، فحسب، بل وجدت نفسها ملزمة أخلاقيا بإنقاذهم من الإبادة. وهذا الانفصال عن سياسة رابين القاضية بالتدخل المحدود يصبح واضحاً عندما ننظر إلى الدعم الإسرائيلي الفعلي للموارنة. ففي العام ١٩٧٨، اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان لإبعاد الفدائيين الفلسطينيين ولحماية القرى المسيحية على طول الحدود والجليل الشمالي. ثم قامت بعد هذه العملية والتي أطلق عليها اسم «عملية الليطاني» بإنشاء المنطقة الأمنية في جنوب لبنان التي استخدمت كمنطقة عازلة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وجعلت هذه المنطقة العازلة أيضاً موارنة جنوب لبنان حليفاً، إذ بدأت قواتهم تتلقى التدريب والسلاح والمشورة من إسرائيل. وباختصار، فإن جيش لبنان الجنوبي الجديد عمل كجيش بالوكالة لإسرائيل. في هذه الأثناء، كان موارنة بيروت يضغطون أيضا لمزيد من الالتزام الإسرائيلي، وحتى لاجتياح مماثل لطرد المزيد من الفلسطينيين، والأهم، لطرد السوريين. وهكذا وعدهم بيغن بإرسال



سلاح الجو إذا ما هددتهم سوريا. وجُرّت إسرائيل، نتيجة هذا الوعد، إلى معركة حاسمة مع السوريين في العام ١٩٨١.

ومع ذلك لم يكن الصقور والآراء المتطرفة لصانعي القرار وحدهم من مهّد الطريق أمام اجتياح لبنان في العام ١٩٨٢، بل إن اتفاقات كامب ديفيد هي الأخرى كانت قد أدت دوراً مهماً[٦٩]. فالصلح الذي عقدته مصر أخرجها في الواقع، من ساحة المعركة بصورة نافذة المفعول. ولم يكن السلام مع مصر خطوة في اتجاه سلام شامل في المنطقة، بل كان لإعطاء إسرائيل حرية الحركة. وهكذا فإن «مأزق» الموارنة، ورفعهم إلى مرتبة الحليف الاصغر، وتحول منظمة التحرير من مصدر إزعاج إلى عدو، والحاجة إلى هزيمة سوريا، وغياب مصر، والمقاربة الأمنية الهجومية الجديدة، كلها أمور أثرت في قرار شن حرب الخيار في العام ١٩٨٢. وكان الهدف النهائي لهذه الحرب، كما سنرى، هو الهيمنة الإسرائيلية.

(٦٩) مقابلة مع فؤاد أبو ناصر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.

# ٧ نشوء التحالف وسقوطه

ان الاجتياح الإسرائيلي للبنان، الذي ولد من رجل عنيد ومتهور، كان مستنداً الى الوهم، مدفوعاً بالتضليل، محتوماً أن ينتهي بفاجعة[١].

لقد ظهر التحالف الإسرائيلي الماروني إلى العلن في العامين ١٩٨١ و١٩٨٢، إذ إن التزام إسرائيل كان قد أصبح مكتملاً، وبلغت سياسة التدخل ذروتها في حزيران/يونيو ١٩٨٢ باجتياح لبنان. وكان تنفيذ الخطط التي طُرحت مرارا، منذ العام ١٩٣٦، نتيجة لجملة من العوامل كان منها: العامل الأول وهو أن القيادة الاسرائيلية صانعة القرار تفلتت من أي وازع، لذلك، انتقلت الحكومة انتقالاً قاطعاً إلى التدخل. والعامل الثاني وهو أن التحالف ارتكز على شخصيتين طموحتين متشابهتين جداً، هما بشير الجميل وأرييل شارون اللذان اعتقدا أن القوة العسكرية مساوية للقوة السياسية، وأن القوة العسكرية يمكنها أن تنتج حقائق سياسية. والعامل الثالث وهو النظرة إلى الفلسطينيين والسوريين على أنهما يشكلان تهديدا يكفي لتبرير العمل العسكري بنظر المواطنين الإسرائيليين. لكن نطاق العمل العسكري الذي كانوا يتصورونه كان مختلفاً كلياً.

## ولاية بيغن الثانية

وبنجاح المفاوضات مع مصر، أصبح صانعو القرار الاسرائيليون أحراراً في تحويل تركيزهم نحو الجار الشمالي، لبنان. ففي حكومة بيغن الأولى أدّى

(١) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.301.

موشي دايان وعازار وايزمان وييغال يادين دور القوة الوازعة، محذرين رئيس الوزراء بيغن ورئيس الأركان إيتان من التورط اكثر من اللزوم في لبنان. لكن، كان لوزير الخارجية الجديد اسحق شامير ووزير الدفاع الجديد أرييل شارون، تأثير عكسي في الحكومة. فنظام الزواجر والضوابط المركّب بدقة والذي عملت بموجبه، إلى حدٍ ما، الحكومات الإسرائيلية السابقة، كان غائباً غياباً لافتاً عن هذه الحكومة[٢].

وبعد تعديل حكومة بيغن عام ١٩٨١، أثبتت السياسة التي اتُّبعت حدوث تحول قاطع في إسرائيل. ويردّ محللون كثيرون هذا التحول إلى تعيين أرييل شارون وزيرا للدفاع. كما أنهم يميلون أيضا إلى اعتباره مسؤولاً عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان[٣]. ولكن، على الرغم من انه قد يكون الدماغ المخطط لِ «عملية سلامة الجليل»، فإنه لم يكن في إمكانه السير قدما في مخططاته دون دعم من النخبة السياسية العسكرية، صانعة القرار. وفي الواقع، فإن رؤيته للبنان كانت تتطابق كثيرا مع رؤية كل من إيتان وبيغن. لقد كان بيغن يفكر في حرب على منظمة التحرير قبل تولي شارون وزارة الدفاع بوقت طويل، وكان يفكر بأكثر من تحرير الجليل من هول صواريخ الكاتيوشا. وقد سمع قبل الحرب بكثير، وهو يتعهد بمجيء اليوم الذي يأمر فيه جيش الدفاع الإسرائيلي بالتقدم «حتى بلوغ معقل عرفات»، أي مقر قيادة منظمة التحرير في بيروت[٤]. حتى ان رئيس الأركان إيتان وضع خططا لإرسال الجيش إلى منطقة سيطرة المسيحيين في بيروت للالتقاء مع الكتائب وضرب منظمة التحرير من هناك[٥].

(٢) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل أبيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٣) في كتاب *New Zionism and the Foreign Policy System of Israel* تدعي Ofira Seliktar أن رئيس الوزراء بيغن اعتمد كليا على شارون. ويقول Ilan Peleg في كتابه *Begin's Foreign Policy 1977-1983* إن هجوم إسرائيل على لبنان يشكل انحرافا عن سياستها الدفاعية التقليدية. وقد أعفي شارون من منصبه كوزير للدفاع على أثر تقرير لجنة كاهان الذي دفع بالكثيرين إلى الاعتقاد انه اتخذ كل القرارات بمفرده.

(٤) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.60.

(٥) المصدر نفسه.



وكانت لبيغن نظرة شاملة للواقع لا تشغل نفسها بالتفاصيل، بل حورت السياق والأحداث[٦]. فقد قدمت له الاستخبارات العسكرية عدة مرات معلومات ديمغرافية وسياسية عن الموارنة ولبنان، لكن ذلك لم يكن له تأثير مهم فيه[٧]. وعلى نحو مماثل، كان هناك ادعاء أن بيغن لم يفهم لبنان مطلقاً[٨]. وقد قارب صنع القرار السياسي من هذا الموقع، مركّزاً سياساته على نقطتين: الموارنة ومنظمة التحرير، أو الحليف النهائي والعدو النهائي.

لقد كان بيغن يعتبر الموارنة أقلية مضطهدة على وشك أن تصبح ضحية للإبادة. وكان يؤمن بأن من واجب إسرائيل انقاذ المسيحيين، بل أكثر من ذلك، كان يريد أن يظهر للعالم كله أنه بينما أحجمت معظم البلدان المسيحية عن مساعدة الموارنة، كان موقف اليهود مختلفاً ـ أي كانوا أفضل منها[٩]. وكان أساس هذا الخط في التفكير هو عدم قدرته على الطلاق بين الحاضر والماضي:

قارن بيغن بين مصير المسيحيين في ظل الحكم الإسلامي وبين الفي عام من اضطهاد اليهود في الشتات. كان هذا مفهومه للتاريخ: اضطهاد، قتل، وكل أنواع الوحشية. وكان يجري مقارنة بين هذا كله ووضع الموارنة. وكان يؤمن بأن الموارنة هم على حق، وبأنهم ضحايا الحقد، وبالتالي، فإن من واجب دولة إسرائيل أن تمد لهم يد العون.

وذهب إلى أبعد من ذلك، إلى حد تشبيه الموارنة بالتشيكوسلوفاكيين في مؤتمر ميونيخ عندما تخلت عنهم فرنسا وإنكلترا. وقال إنه لن يفعل أبدا شيئا مثل هذا لحلفائه. وكانت هذه أمثولة تعلمها من المحرقة: اذا لم تواجه المعتدين وأنت قوي، سيكون عليك أن تواجههم وهم أقوى[١٠].

وكانت قراراته في ما يتعلق بالموارنة، تعكس إلى حد بعيد، نظرته إليهم

(٦) Sofer, *Begin*, p.100.

(٧) مقابلة مع اريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٨) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل ابيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) مقابلة مع أرييه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

كشعب وكطائفة. فقد كان يعتبرهم قبل كل شيء فينيقيين وليسوا عرباً[١١].
وكان هناك ادعاء أن نظرته كانت ترتكز على رؤيته العامة للشرق الأوسط في إطار تفكيره الخاص بالمحيط. كما كان يؤمن بأن لإسرائيل مصلحة حقيقية في العثور على أصدقاء وحلفاء بين الأقليات غير العربية في المنطقة وبأنه «عندما يريد سياسي العثور على أحد ما سيجده»[١٢]. لقد تأثر أيديولوجيا بالحركة الإصلاحية وبعضو الكنيست السابق إيلي جابوتينسكي الذي كان صديقا كبيرا للموارنة وداعيا إلى التحالف معهم. اضف الى ذلك، أن بيغن كان متأثراً بالموساد الذي كان يؤمن بتحالف كهذا. وكان مردّ قبوله بوجهة نظر الموساد، إلى أن تقويم الموساد كان يتلاءم ومفاهيمه الأيديولوجية. فضلاً عن أن هناك من رد ذلك إلى خلفية بيغن المتمثلة في أنه كان قائدا لمنظمة الإرغون السرية. فقد كان يقوم بأعمال شبيهة بأعمال عملاء الموساد، وبالتالي، كان يتقبل طريقتهم في التفكير[١٣].

كان بيغن يعتبر منظمة التحرير العدو النهائي. وكان موقفه من المسائل الاستراتيجية ينبع من اقتناعه بأن لإسرائيل قدرة تاريخية شبه دائمة على الهجوم المستمر او الهجوم المضاد المستمر، بدلا من عمليات انتقامية محدودة. وقد عارض منذ العام ١٩٥٠، الحلول الوسط مثل التسويات الدولية الجزئية التي لم تنته إلى معاهدة سلام، ولم تنهِ التهديد العربي[١٤]. ولهذا عرض حرب الخيار بصفتها عقيدته الأمنية.

وما يثير الاهتمام في هذا السياق، هو نظرة بيغن للشرق الأوسط. فقد كان يرى المنطقة بمثابة حلبة يدور فيها صراع بين الأمم المسلمة والأمم غير المسلمة. وكان يعتقد أيضا ان التدخل والتوسع السوفياتيين خطر حقيقي وجزء من الحياة اليومية[١٥]. وبهذا المعنى كانت نظرته مهمة لمصالح الغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة. وبالطبع، فقد كان يعتبر إسرائيل دولة غربية مؤمنا

(١١) المصدر نفسه.
(١٢) المصدر نفسه.
(١٣) المصدر نفسه.
(١٤) Sofer, *Begin*, p.202.
(١٥) مقابلة مع أريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.



بأن عليها أن تكون الذراع الطويلة للغرب في الشرق الأوسط. ويتذكر سكرتير الحكومة، أرييه نيئور، أن بيغن كان يصف إسرائيل كما يلي: «ليست إسرائيل فقط دولة شرق أوسطية، بل نحن أيضاً بلد من بلدان حوض البحر المتوسط، والمتوسط يضم أوروبا وآسيا وافريقيا. نحن جسر للعالم الغربي عبر المتوسط»[١٦]. ولبنان، بموارنته الفينيقيين، كان مشابها.

وكانت مقاربة أرييل شارون لأمن إسرائيل مقاربة تتّسم بالواقعية السياسية المطلقة. فهو أمضى معظم حياته ضابطا محترفا. وكانت قيادته للعمليات خلال حرب سيناء، دون غيرها، قد أكسبته شهرته كبطل. لكن قيادته للوحدة ١٠١ صوّرته أيضا شخصا ميالاً الى اخذ القانون بيديه، متجاهلا الأوامر في الغالب. وقد سُحر بيغن به بصفته ضابطا قوي المراس يرمز الى الشجاعة والطاقة، ويجسد اليهودي المتحرر. حتى إن رابين رأى فيه رجلا عمليا كفؤاً عندما طلب منه أن يصبح مستشاره للأمن القومي[١٧]. لقد كان شارون يرى إسرائيل تعيش تهديداً دائماً من جيرانها العرب الذين كان هدفهم الوحيد تدميرها كلياً، وكان يرى أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لمقاومتهم. وقد تطابقت نظرته في هذا الشأن مع نظرة رئيس الأركان إيتان الذي أعلن مرارا أن «العربي الجيد الوحيد هو العربي الميت»[١٨]. وكان شارون قد أعلن في العام ١٩٧٧ إبان جولته على الحدود الشمالية وزيارته الرائد سعد حداد، أن حرب لبنان هي حرب إسرائيل[١٩]. وكان يعتبر موقع وزير الدفاع هو الموقع الأهم في الحكومة لأنه يعطيه الفرصة لتحديد مستقبل البلاد.

كان موقف شارون من المسيحيين يختلف عن موقف بيغن. فقد كان أبعد ما يكون عن الشعور بأي واجب أخلاقي لحماية الموارنة. كان يريد أن يستخدمهم لتحقيق أهدافه؛ كان يريد ان يتحكم بهم[٢٠]. وكان يركز على

(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) Uzi Benziman, *Sharon - An Israeli Caesar* (London: Robson Books, 1987), p.184.
(١٨) المصدر نفسه، ص٢٦٣.
(١٩) المصدر نفسه، ص١٩٩.
(٢٠) مقابلة مع أرييه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

الفلسطينيين وعلى إمكان نقلهم إلى الأردن، خصيصا لإقامة دولة فلسطينية شرق نهر الأردن. لقد كان يؤمن انه اذا فعل ذلك، تستطيع إسرائيل في النهاية ضم الضفة الغربية، ويتمكن هو، أي شارون، من ممارسة سيطرته على إسرائيل ولبنان والأردن/ فلسطين. وهكذا فإن التحالف مع الموارنة بالنسبة إليه قد شكل أداة لتحقيق هدف آخر. وما عدا ذلك، لم يكن مهتما على الإطلاق بالموارنة أو بتاريخهم أو بفلسفتهم السياسية[٢١]. أضف إلى ذلك، أن شارون اعتبر لبنان وسيلة لتصفية الحسابات مع سوريا، فالسوريون في ذلك الوقت، وفي أوج الحرب الإيرانية العراقية، كانوا معزولين وكان لديه شعور بأنه يستطيع أن ينبري لهم، فقد كان يريد، في قرارة نفسه، أن يلقنهم درساً. وكان يعتقد أيضا أنه «ما إن يتخلص من السوريين حتى ينتهي أمر الفلسطينيين»[٢٢].

وكان رجل القرار الثالث في هذا الثالوث رئيس الأركان رفائيل إيتان. لقد كانت أفكاره مزيجا من آراء شارون وآراء بيغن. فهو مثل شارون لم يصرف وقتا كبيرا على تعريف الموارنة بمصطلحات تاريخية أو إثنية. لكنه، مثل بيغن، لم يعتبرهم عرباً حقيقيين[٢٣]، بل كان يعتبرهم أكثر أوروبية، إذ كانوا أكثر ثقافة ويتحدثون عدة لغات، ويلبسون مثل الأوروبيين، وفي كل مرة كان يلتقي بهم كانوا يشربون الخمرة ويعدون الولائم الشهية. أما نظرته إلى منظمة التحرير الفلسطينية فكانت تتفق مع نظرتي بيغن وشارون، فهي العدو الأكبر لإسرائيل ويجب تدميرها بالوسائل العسكرية. كما لم يكن يؤمن بوقف اطلاق النار باعتباره يعطي منظمة التحرير الفرصة لإعادة التسلح فقط لا غير[٢٤].

وكانت النخبة، صانعة القرار، تنظر إلى لبنان نظرة مماثلة واضعة الموارنة في قلب سياسات التدخل الاسرائيلية. ويمكن رؤية ذلك من خلال الأحداث

(٢١) المصدر نفسه.
(٢٢) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل أبيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٢٣) مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٢٤) المصدر نفسه.



التي أحاطت بأزمة الصواريخ في زحلة في ربيع ١٩٨١. فقد فسّرت سوريا محاولات الجبهة اللبنانية بسط سيطرتها على زحلة بأنها تهديد لها. ونشب النزاع بين الطرفين في شتاء ١٩٨١ حول المنطقة المحيطة بجبل صنين. وفي الربيع تمكنت وحدة كتائبية من الدخول إلى زحلة ونجحت في تطويق وحدة سورية، ما دفع السوريين إلى قصف المنطقة. عندئذٍ، أرسل بشير الجميل الرسالة التالية يطلب فيها المساعدة من بيغن: «ما يرتكب اليوم في حق المسيحيين في لبنان هو تماماً ما فعله النازيون باليهود في الأربعينات في أوروبا»[٢٥]. اما أن يكون بشير قد تعمد مناشدة نظرة بيغن إلى العالم فهذا أمر قابل للتخمين، لكنه استطاع أن يحقق ما كان مزمعاً على تحقيقه. وكان رد بيغن أن أبلغ لجنة الدفاع والأمن في الكنيست بأنه لن يقف مكتوف اليدين[٢٦]. فقد اعتبر الأزمة «تحدياً أخلاقياً» ولذلك أرسل سلاح الجو الإسرائيلي لوضع حد للقصف، وخلال ساعتين أُسقطت طائرتا هيليكوبتر سوريتان ودخلت إسرائيل في مواجهة مباشرة مع سوريا، مما حمل سوريا على تركيز صواريخ مضادة للطائرات في زحلة، مهددة بذلك حرية إسرائيل في التحرك الجوي. وفي النهاية لم يُنزع فتيل الأزمة إلا من خلال الوساطة الأميركية.

ان ردة فعل صانعي القرار الاسرائيليين تجاه الأزمة تسلط الضوء على موقفهم من الموارنة. إذ لم يفترض أحد منهم، كما قيل لاحقاً، أن بشير الجميل قصد المواجهة مع السوريين بهدف جر إسرائيل لاقتناعه بأن التدخل الاسرائيلي المباشر وحده يستطيع مساعدة الموارنة على تحرير أنفسهم من سوريا[٢٧]. وفي الوقت الذي لم يفكر فيه بيغن حتى في حرب مع سوريا، اعتقد شارون أن مهاجمة سوريا كانت فكرته هو. أما مدى تورط إيتان في مخططات شارون السورية فما زال غير واضح. وفي مقابلة مع راديو إسرائيل، عرض بيغن أزمة زحلة بعبارات مبسطة جدا: «جاءت الهيليكوبتر

(٢٥) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.368.
(٢٦) Kimche, *The Last Option*, p.139.
(٢٧) المصدر نفسه.

من دمشق ثم هبطت في مكان ما ثم توجهت إلى الجبل محاولة قتل كل المسيحيين هناك واحتلال المكان»[٢٨].

وبعد يومين، برر شارون العملية الإسرائيلية بالقول إن «لبنان في جزء كبير منه قد ضُمّ عمليا إلى سوريا، والعالم يلتزم الصمت في مواجهة المذبحة التي يقوم بها المسلمون ضد المسيحيين اللبنانيين، وهناك جزء كبير من البلد يسيطر عليه الإرهابيون الذين حولوه مقراً عالميا للإرهاب الذي يديره السوفيات»[٢٩]. وفي أثناء نشر السوريين للصواريخ رد وزير الخارجية إسحق شامير على تساؤلات الصحافيين عما اذا كان المسيحيون قد جرّوا إسرائيل إلى مواجهة مع سوريا بالقول إن «هذه نظرة سطحية إلى الوضع في لبنان».

إن لإسرائيل ثلاثة أهداف في صراعها المستمر مع لبنان: الهدف الأول وهو منع السوريين من الاستيلاء الكامل على لبنان، والثاني منع تصفية القوات المسيحية فيه، والثالث الضرب المتواصل للارهابيين المتمركزين هناك. وهناك واقع يعرفه الجميع وهو ان القوات اللبنانية، التي تشكل غالبية القوات المسيحية المنظمة في لبنان، تقيم علاقة صداقة وتعاون مع إسرائيل. وهذه القوات تمنع السوريين من الاستيلاء على لبنان، بينما القوات الخاضعة للرائد حداد تحول دون استيلاء الإرهابيين على جنوب لبنان. وبهذه الطريقة نشأ وضع من المصالح المشتركة بين المسيحيين في الشمال والجنوب وبين إسرائيل[٣٠].

ومن السهل ان ندرك، في ضوء مثل هذه الآراء المشتركة بين صانعي القرار، بأنه لن تكون هناك أي قوة وازعة عند عرض مخطط الاجتياح. وليس صعبا كذلك ان نرى كيف نُحّيت الاعتراضات على المشروع جانبا، وكيف أن بعض صانعي القرار الأميركيين اعتقدوا أن العملية العسكرية في لبنان هي

(٢٨) مقابلة أجراها راديو إسرائيل مع رئيس الوزراء بيغن في ٢٨ نيسان ١٩٨١، كما نشرت في كتاب Meron Medzini, *Israel's Foreign Relations, Selected Documents 1981-1982*, Vol. 7 (Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs, 1988).

(٢٩) Benziman, *Sharon*, p.230.

(٣٠) مقابلة مع وزير الخارجية شامير في معاريف، ١٥ أيار ١٩٨١.



لمصلحتهم أيضا. فشارون، على الرغم من ذلك، كان قد اوضح الصلة السوفياتية. وبالفعل لم يكن الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ انحرافاً فحسب، بل كان قمة الانحراف؛ ولا يتعلق الأمر بشخص واحد يطبق «فكرة مجنونة»، بل بنخبة تصنع السياسة الخارجية وتميل جماعيا إلى مبدأ التدخل.

## اتفاق وقف النار عام ١٩٨١

يتجلى مبدأ التدخل في السياسة الخارجية الإسرائيلية بوضوح، في مواقف صانعي القرار الاسرائيليين من وقف النار في تموز/يوليو ١٩٨١. فهو قد آذن بأطول فترة من السلام عرفها سكان مستوطنات الجليل الشمالي والمنطقة الأمنية في جنوب لبنان منذ انتقال المقاومة الفلسطينية إلى جنوب لبنان. وقد سبقت هذا الاتفاق حرب استنزاف دامت اسبوعين بين الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يطلقون الصواريخ على شمال إسرائيل، وبين الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي اللذين كانا يقصفان المواقع الفلسطينية. وقد أدت الوساطة الأميركية إلى وضع حد لهذه الفترة، بوقف رسمي لإطلاق النار بين إسرائيل ولبنان، لكنه، في الواقع، كان اتفاقاً بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

ومع ذلك، فإن هذه المرحلة بالضبط سبقت مباشرة الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ للبنان، الذي كان حربا مكتملة الصفات. لذا، فمن الضروري تحليل مدركات مختلف اللاعبين وهم منظمة التحرير الفلسطينية، وإسرائيل، وإلى حد ما الولايات المتحدة الأميركية.

بالنسبة إلى منظمة التحرير الفلسطينية، فقد كان مفهوم الكفاح المسلح ضد إسرائيل مفهوماً مركزياً لاستراتيجية إنشاء دولة فلسطينية. إذ إن المنظمة كانت في حاجة إلى الحفاظ على خطها الثوري لاحتواء مختلف فصائلها. فهذا العمل المسلح من وجهة نظرها، هو الذي أبقى الفلسطينيين على جدول الاعمال الدولي والإقليمي، وأبقى كذلك على منظمة التحرير كلاعب سياسي. وفي ضوء ذلك، يجب أن ننظر إلى وقف النار في العام ١٩٨١، على الرغم من أنه ليس الأول في جنوب لبنان، على أنه حالة شاذة بسبب ديمومته، وبسبب

قدرة عرفات على السيطرة على مختلف فصائل منظمة التحرير، وبسبب مضامينه السياسية بالنسبة إلى هذه المنظمة.

لقد كان بالفعل مؤشراً على أن منظمة التحرير قد تطورت في اتجاه دولة بدائية وحكومة منفى. فقد نجحت في إنشاء بنية تحتية في لبنان وتمكنت من بسط قيادتها على مختلف التنظيمات الفدائية. وهكذا، عززت م.ت.ف. ادعاءها أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، الذي سيكون على ممثل إسرائيل مواجهته في مفاوضات دبلوماسية في نهاية المطاف. لقد حاول الإسرائيليون مقاومة هذا التطور في اتجاه حكومة في المنفى بـ «عملية الليطاني». إذ كانوا يريدون منع الاعتراف بمنظمة التحرير كلاعب سياسي يمكن الاعتماد عليه، ولاسيما أن الولايات المتحدة واوروبا بدتا أكثر تقبلاً لهذا الوضع الجديد. فعندما التقى المفاوض الأميركي، فيليب حبيب، الفلسطينيين حاملا طلبا لوقف النار في العام ١٩٨١، كان ذلك إشارة واضحة إلى أن الولايات المتحدة اعترفت اعترافاً دبلوماسيا فعلياً بمنظمة التحرير، وان المنظمة كانت في وضع يمكنها من إحراز نصر سياسي بقبولها وقف النار. وأما تحليل إسرائيل غير المتروي فكان معناه أن أي مكسب تحرزه منظمة التحرير يساوي خسارة لإسرائيل.

وعلى الرغم من ذلك، فإن إسرائيل وافقت على وقف النار. أما السبب الرئيسي فكان محليا بطبيعته. فقد سبق وقف النار ١٢ يوما من تبادل نيران المدفعية عبر الحدود الشمالية. وما سمي بـ «حرب الاسبوعين» ألقى عبأ ثقيلا جدا على سكان كريات شمونة التي هرب أربعون في المئة من سكانها[٣١]، وعلى غيرها من المستوطنات. وذُكر بالفعل أن خمسة آلاف عائلة هربت من الشمال، ولهذا قررت إسرائيل إزالة الخطر عن الحدود[٣٢].

فالمعلومات الآتية من هذه البلدة الجليلية الشمالية عن عدم صلاحية الملاجئ وعدم القدرة على ممارسة الحد الأدنى من الحياة اليومية، كانت قد

(٣١) Tamir, *A Soldier in Search for Peace*, p.116.

(٣٢) مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.



أعادت الحكومة إلى رشدها. وهذا الأمر، بالإضافة إلى قصف مدينة نهاريا الساحلية، غيّر نظرة اسرائيل الى نفسها على أنها تفتقر الى المناعة. ولهذا، استمع الوزراء باهتمام إلى حجج إيتان وساغي القائلة بأن أي شيء أقل من نصر حاسم على منظمة التحرير سيشكل سابقة غير مرغوب فيها. فأي وقف لإطلاق النار يجري التفاوض عليه سيحرم إسرائيل كما قيل، من خيار اتخاذ إجراءات عقابية في حال قامت فرق الإرهاب بالتسلل أو بإطلاق النار عبر أي نقطة من حدود البلد[٣٣]. وبينما كان الاهتمام الأول هو إزاحة الضغط عن سكان كريات شمونة وضمان أمن الحدود الشمالية، بالموافقة على وقف النار الذي اقترحه حبيب، كانت هناك حاجة إلى التفكير في حل طويل الأمد أكثر.

وقد جرى تعويم اقتراح عملية برية واسعة النطاق، لكنه ما لبث أن أُرجئ عندما وافقت منظمة التحرير على وقف النار[٣٤]. وقد فوجئ حبيب تماما بهذا الوضع التوفيقي، خصوصاً أنه لم يكن هناك أي إصرار على تجميد الوضع القائم في جنوب لبنان لمنع منظمة التحرير من إعادة التسلح. ونظرت حكومة بيغن إلى وقف النار على أنه يحمل في طياته ضرراً، لأنه سيترك إحساسا في إسرائيل بأن مستوطنات الجليل باتت تحت رحمة منظمة التحرير. فقد كانت الهدنة مجرد وقف لإطلاق النار، ولم تكن اتفاق هدنة. وبالفعل كان هناك ادعاء أن وقف النار الذي كان يفترض به أن يكون شاملا ، لم يطبق عمليا إلا على جنوب لبنان. وكان هذا السبب الرئيسي وراء انتهاكه[٣٥]. لكن الأسباب السياسية التي دفعت إسرائيل إلى انتهاك الاتفاق كانت أسباباً مثيرة للاهتمام.

لقد كان دور الولايات المتحدة كوسيط، منسجماً مع السياسات الأميركية المتعلقة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني وبالوضع الإسرائيلي في جنوب لبنان.

(٣٣) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.37.

(٣٤) Zvi Lanir, *Sikunim Be Levanon (Risks in Lebanon)* (Tel Aviv: Jaffee Institute for Strategic Studies, 1982), p.6.

(٣٥) مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

فالولايات المتحدة هي التي كانت تضغط على إسرائيل منذ العام ١٩٧٦ للتوقف عن التدخل الناشط في لبنان، وهي التي فاوضت للانسحاب السوري عندما تم تجاوز «الخطوط الحمر» في النبطية عام ١٩٧٧، وهي التي أجبرت إسرائيل على الانسحاب بعد «عملية الليطاني» عام ١٩٧٨، وهي التي كانت أيضا عرابة قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ الهادف إلى السيطرة على الوضع في جنوب لبنان، كما أنها هي التي عمدت إلى نزع فتيل التوترات التي نشأت بين سوريا وإسرائيل في زحلة، في ربيع ١٩٨١.

وكان العامل الأساسي في هذه المقاربة الخوف من أن تجرّ المواجهة السورية الإسرائيلية الاتحاد السوفياتي إلى جانب السوريين، فيستحيل عندئذٍ على الأميركيين أن يبقوا مسيطرين على الشرق الأوسط، وفي منأى عن الصراع مع الجبابرة. كما كان من شأن حرب استنزاف اسرائيلية فلسطينية طويلة أن تهدد اتفاقات كامب ديفيد التي توسطت الولايات المتحدة بحرص شديد لتحقيقها، من أجل استقرار الشرق الأوسط، مع امكانية أن تلعب هذه الحرب دور العامل المسبب لنشوب حرب عربية إسرائيلية أكبر. لهذا كان من الضروري لمصالح الولايات المتحدة ترتيب وقف لإطلاق النار بين منظمة التحرير وإسرائيل.

لكن تبقى هناك حقيقة أن إسرائيل كانت قد اتخذت قرارا بعملية برية واسعة. ففي أيلول/سبتمبر ١٩٨١، قدّم فيليب حبيب خطة تقضي بأن تسحب منظمة التحرير أسلحتها الثقيلة من جنوب لبنان مقابل التزام إسرائيل وقف طلعاتها الجوية على علو منخفض فوق المنطقة وسحب عناصر جيشها من الحزام الأمني. لكن وزير الدفاع أرييل شارون رد بمخطط بديل كان من وضعه، ينص احد بنوده على إجلاء القوات السورية والفلسطينية من بيروت وشمال لبنان[٣٦]. هذا الرد يثبت فقط أن وقف النار، في ذهن بعض الوزراء الإسرائيليين، لم يكن سوى مرحلة عابرة تمكنهم من التخطيط لحربهم دون الاضطرار إلى التركيز كثيرا على أمن حدود إسرائيل الشمالية. وكان وزراء آخرون يؤمنون بضرورة وقف النار إكراماً لسكان الجليل الشمالي.

(٣٦) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.41.



ويكشف التحليل الأكثر دقة أن هذا الاتفاق بالذات لوقف اطلاق النار كان يحمل في طياته بذور الحرب، إذ إن مضامينه السياسية شكلت الاسباب الكامنة وراء «عملية سلامة الجليل». فقد كانت إسرائيل تشعر بقلق شديد من واقع أن عرفات نجح في إرساء وقف النار واحترامه وفي فرض إرادته على العناصر المتطرفة في منظمة التحرير الفلسطينية. فاذا كانت المنظمة قادرة على فرض «القانون والنظام» على كل فصائلها، فكيف يمكن لاسرائيل أن تتمسك بادعائها أنها تتعامل مع عصابة من القتلة العاصين[٣٧]، فتوقيع اتفاق مع منظمة تعتبرها الحكومة الإسرائيلية «إرهابية»، وضع إسرائيل في موقف ملتبس لأن الاتفاق يمكن أن يفسر بأنه اعتراف سياسي.

ويزداد الامر وضوحا عندما ننظر في تقويم منظمة التحرير للخطوة الإسرائيلية. فقد قال عضو اللجنة التنفيذية في المنظمة شفيق الحوت إنه «عندما وافقت إسرائيل اعتقدنا أن ذلك يعني سياسياً وبصورة غير مباشرة، اعترافا منها بمنظمة التحرير»[٣٨]. فقد اعتبرت هذه الخطوة أول اتفاق مباشر بين إسرائيل ومنظمة التحرير، وكان ذلك تحقيقا لأحد الأهداف السياسية للمنظمة. لأن إسرائيل اعترفت بأنها تواجه فلسطينيين وان عليها التعاطي معهم[٣٩]. والأهم أن هذا الامر يأتي في وقت كانت منظمة التحرير تسعى فيه للحصول على اعتراف دولي بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وبالتالي، فإن التعاطي مع إسرائيل، التي كانت لعقود تنكر عليهم هذه المكانة، كان نجاحاً للفلسطينيين. وفي غضون ذلك، كانت منظمة التحرير قد ثابرت على اعادة تسلحها وتجميع قواتها. وعند هذه النقطة يجدر القول بأنها لم تكن تملك عمليا قدرا كبيرا من الأسلحة. لكن الخوف الذي

(٣٧) Joseph Vashitz, *'Did the Palestinians abet the initiation of the war and if so, why?', New Outlook*, 26:6, 1983, p.26.

(٣٨) مقابلة مع شفيق الحوت كما وردت في كتاب Kirsten E. Schulze, *Israeli Security Policy in South Lebanon: An Analysis of the Forces and Perceptions Shaping the Policy-Making from 1976 to 1985, unpublished* M.Phil thesis, Oxford University, 1992.

(٣٩) كانت غولدا مئير قد نفت وجود الشعب الفلسطيني.

سببته إمكانية إعادة التسلح كان عاملا حاسما، لذلك، وفي ضوء الرضى عن وقف النار، مع مراعاة حالة القلق العامة التي تسود إسرائيل بشأن مستوطنات الجليل، ازداد الشعور بالاستياء من اتفاق وقف اطلاق النار.

وكانت منظمة التحرير تواجه مشكلة تكاد تكون مماثلة. فعلى الرغم من المكاسب السياسية التي حققتها، فقد بقي السؤال عما اذا كان توقيع اتفاق مع إسرائيل ينطوي بالضرورة على اعتراف بهذه الدولة التي كان وجودها مرفوضا رفضاً لا عودة عنه. وهذا أمر، بالإضافة إلى ضرورة وقف الكفاح المسلح، أحدث جيشاناً داخل منظمة التحرير، خصوصا في وسط المجموعات الاكثر تطرفاً، التي لم تشعر بأنها مرغمة على احترام وقف النار. وقد اتهموا القيادة المعتدلة بأنها باعت نفسها للإسرائيليين. كما أن عرفات، كان في نظرهم قد فقد حقه في تمثيل الفلسطينيين. وعلى هذا الحق أن يعود إلى أولئك الذين تمسكوا بفكرة الكفاح المسلح وسيواصلون قصف المستوطنات الإسرائيلية.

وعلى الرغم من كل هذه التوترات، فإن وقف النار صمد سنة تقريباً، حتى انتهكه سلاح الجو الإسرائيلي في ٢١ نيسان/إبريل ١٩٨٢.

### تحدّي القومية الفلسطينية

سعى الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ لتدمير قواعد منظمة التحرير وبنياتها التحتية في لبنان. فقد كان هناك ادعاء يقول بأن م.ت.ف.، بهذه الطريقة، لن يعود في وسعها نفث روح المعارضة لانتهاج الليكود سياسة الضم الزاحف للأراضي المحتلة[٤٠]. لكن الأهداف التي كانت تكمن وراء تدمير منظمة التحرير تذهب إلى أبعد من ذلك بكثير. فما ان يتحقق هذا التدمير حتى تتمكن إسرائيل، وبسهولة، من أن تضم الأراضي دفعة واحدة وتطرد السكان الفلسطينيين إلى الأردن حيث تقام عندئذ، دولة فلسطينية جديدة. وبهذا تتحقق رؤيا إسرائيل الكبرى.

ولن يكون على إسرائيل بعدها، أن تتعاطى مع الحلول التي تطرحها

(٤٠) Frederic Hof, *Galilee Divided* (Boulder: Westview Press 1985), p.97.



منظمة التحرير للنزاع العربي الإسرائيلي، والتي تدعو إلى دولة ديمقراطية على أرض فلسطين يتعايش فيها المسيحيون واليهود والمسلمون بسلام[٤١]. وفي الواقع، فإن لبنان أثبت أن مفهوم تعدد الطوائف محكوم بالفشل. ولم تكن إسرائيل، في ظل الليكود، تريد فعلاً، تجربة مشاركة الأرض نفسها مع الفلسطينيين.

وكان الاجتياح يهدف إلى تدمير منظمة التحرير سياسيا وعسكريا بمحو البنية الفلسطينية التحتية برمتها في كل من بيروت والجنوب. وكان مقرراً لهذا الهدف أن ينفذ بمساعدة القوات اللبنانية التي تم قبولها شريكاً.

وقد اتضح مدلول الاجتياح بالنسبة الى تعاطي إسرائيل مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عندما شرح شارون لماذا كان ضرورياً شن اجتياح شامل بقوله: «كلما كانت الضربة اكبر، وكلما ألحقنا ضرراً أكبر بالبنية التحتية لمنظمة التحرير، اصبح العرب في يهودا والسامرة أكثر استعداداً للتفاوض معنا وإحلال التعايش»[٤٢]. لقد كانت «عملية سلامة الجليل» بالنسبة إليه تهدف إلى اضعاف قوة منظمة التحرير السياسية ـ العسكرية واستقلالها الذاتي الإقليمي والسياسي. لأن منظمة التحرير الخائرة القوى سوف تكون أكثر راديكالية في ظل السيطرة السورية، وستشكل بالنتيجة، خطرا سياسيا أقل على إسرائيل، وبالتالي لن تتعرض إسرائيل لضغوط دولية للتفاوض.

وهكذا أوضح اجتياح ١٩٨٢ مخاوف إسرائيل من الأخطار التي تمثلها حركة فلسطينية مستقلة، خصوصا الحركة التي عززت مكانتها وأمنها منذ تموز/يوليو ١٩٨١، من خلال التوصل إلى عقد اتفاق على وقف النار واحترامه على الحدود الإسرائيلية اللبنانية[٤٣].

أما السبب الآخر لاعتبار منظمة التحرير مصدراً للخطر فهو القدرة التي

(٤١) "La Politique Israëlienne au Liban: Démembrement ou Hégémonie?" *France-Pays Arabe*, No. 170, 1991, pp.13-30.

(٤٢) مقابلة شارون مع مجلة التايمز، ٥ آب ١٩٨٢.

(٤٣) Rex Brynen, 'PLO Policy in Lebanon: Legacies and Lessons', *Journal of Palestine Studies*, 18:2, 1989, p.60.

كانت تمتلكها على الإخلال باستقرار العلاقة العربية الإسرائيلية من خلال سلوكها كعامل مساعد على جر إسرائيل إلى حرب مع سوريا بشروط أقل مؤاتاة لإسرائيل. وبموجب هذا المفهوم، كان هدف منظمة التحرير الرئيسي توطيد موقعها في جنوب لبنان لإيجاد خيار يتيح لها إشعال مواجهة عربية إسرائيلية لنسف أي امكانية لنشوء نظام سلمي بين الطرفين[٤٤]. لكن قدرة منظمة التحرير التأثيرية بدت مبالغاً فيها نظراً إلى قنوات الاتصال بين إسرائيل ودمشق عبر واشنطن. فضلاً عن أن وقف النار أسقط هذه الامكانية مؤقتاً. وعلى الرغم من ذلك، فإن الطريقة التي غالى بها هذا المفهوم في التفكير الأمني الإسرائيلي عام ١٩٨٢، تعكس مبالغة شارون في تقديره للخطر الذي تشكله منظمة التحرير لاجتذاب الدعم لحربه الشاملة. إلا أن قرار شارون الذهاب إلى الحرب، مهما كلف الأمر، قد أضعف الحوار الإسرائيلي مع سوريا.

ومن وجهة نظر أمنية، فقد بدأ الاجتياح رسميا كعملية تهدف إلى ارساء السلام على حدود إسرائيل الشمالية ومستوطنات الجليل. ويتوافق هذا الهدف مع خط الأمن الإسرائيلي المرسوم قبل العام ١٩٨١. ولكن، مع تفحص مفهوم إسرائيل للتهديد الأمني، يتبين أن الاهتمام لم يعد محصورا بجنوب لبنان وان الأمن اعتُبر مهدداً من منطقتين: جنوب لبنان وسوريا.

كان القصف الواسع النطاق لكريات شمونة، الذي سبق وقف النار عام ١٩٨١، قد ترك شعورا بالقلق لدى السكان. وكان ادراك السياسيين أنهم تحت رحمة منظمة التحرير، قد عزز التحول إلى الحل العسكري[٤٥]. لذا، واصلت المؤسسة العسكرية العمل وفقاً لهذه المخططات. وعندما حان وقت ضرب منظمة التحرير، بعد نحو سنة، عُرض الاجتياح على الحكومة على أنه عملية من شأنها استئصال قواعد منظمة التحرير من جنوب لبنان، للتأكد من أنها لن تتمكن مطلقاً من معاودة قصف الجليل.

(٤٤) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.110.

(٤٥) Lanir, *Sikunim Be Levanon (Risks in Lebanon)*, p.6.



لكن، من وجهة نظر الحكومة، لم يكن الفلسطينيون وحدهم يشكلون تهديداً لأمن الحدود الشمالية، بل السوريون أيضا، إذ إن الليكود كان يعتبر أن الوجود العسكري السوري في لبنان مصدر للخطر. وكان يعتقد أن هذا الوجود سيفتح جبهة جديدة ضد إسرائيل، ما يمكّن سوريا من الاندفاع في سهل البقاع وصولاً إلى الجليل[٤٦]. وكان هذا القلق من الفلسطينيين والسوريين هو الذي صاغ العقيدة الاستراتيجية التي قام عليها الاجتياح الإسرائيلي.

## قرار الاجتياح

كان العامل الكامن في أساس قرار إسرائيل اجتياح لبنان هو نظرتها إلى الموارنة كحليف أصغر. لكن لم تكن هناك رؤية واحدة تجمع بين صانعي السياسة الخارجية الإسرائيلية. ويبدو الانقسام ظاهرا عندما ننظر في تقويمات جهازي الاستخبارات الرئيسيين: الموساد والاستخبارات العسكرية. أما المدركات التي شكلها صانعو القرار الرئيسيون وهم وزير الدفاع شارون، ورئيس الأركان إيتان، ورئيس الحكومة بيغن، فقد أضافت بعداً آخر الى هذه الرؤى.

لقد كان الموساد، المكلف رعاية العلاقات مع الكتائب، من أشد مناصري بشير الجميل. وكان رئيس الموساد، اسحق هوفي، هو الذي دعا في الأساس الى تحالف كامل[٤٧]. وكانت الاسباب التي تكمن وراء الدعم الكامل لهذا التحالف، موضع تكهنات في أحيان كثيرة. وقد عزا بعضهم ذلك إلى أعراض نفسية ناتجة عن القدرة المفاجئة للذهاب إلى ما وراء الحدود والتحدث مع أناس كانوا رسميا من العرب لكنهم كانوا في الحقيقة يشبهون الإسرائيليين[٤٨]. إذ إن هناك من كان يقول على نمط تفكير مماثل، انه كلما طال الوقت الذي يمضيه العميل بين مضيفيه، وجد نفسه منجرّاً إلى قبول

(٤٦) Gabriel, *Operation Peace for Galilee*, p.54.

(٤٧) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.367.

(٤٨) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل ابيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

طريقتهم في التفكير. لذلك كان الموساد يعرض على صانعي السياسة الاسرائيليين الصورة نفسها التي كان الموارنة يريدونهم أن يقدموها[٤٩]. لكن آخرين ادّعوا ان الأمر مجرد تطور طبيعي ناتج عن علاقة عمل جيدة[٥٠]. أضف إلى ذلك، وعلى صعيد مفاهيمي، أن الكثيرين في الموساد كانوا ينظرون إلى الموارنة على أنهم فينيقيون[٥١]. ولكن هذه النظرة إذا لم تكن هي الاساس، فإن الاعتقاد بأن «عدو عدوك هو صديقك» كان بمثابة أساس كاف للتحالف. وبعد نشوب أزمة الصواريخ بدأ هوفي يشك في أن الكتائب قد حصلوا على ضمانات من إسرائيل لم يكن على معرفة بها[٥٢]. وعندما عرض مخطط الاجتياح انضم الموساد إلى الاستخبارات العسكرية في معارضة «الاستراتيجية الكبرى».

وكان ضباط الاستخبارات العسكرية، في المقابل، قد أثاروا مرارا وتكرارا مسألة امكانية التعويل على الكتائب، وحذروا من أي تحالف من أي نوع[٥٣]. وعارض رئيس الاستخبارات العسكرية، الجنرال يهوشوا ساغي، علناً اجتياح لبنان، مدّعياً أن «الحليف الصغير مشكوك فيه»[٥٤]. وكان ساغي إبان أزمة زحلة، قد ارتاب بوجود مخطط لجر إسرائيل، وعارض الضربة الجوية التي أوصى بها إيتان، لكن بيغن رفض تقويمه هذا للأمور[٥٥]. وفي وقت لاحق، وفيما كان شارون يحاضر في إحدى جلسات الحكومة عن «استراتيجيته الكبرى» وعن الوصول إلى بيروت، رد ساغي بالقول: «لن يؤدي ذلك الا الى وقوعنا في ورطة»[٥٦]. وقد علق ساغي بما يملكه من مفهوم اكثر وضوحاً وواقعية، بقوله ان الموارنة، حتى ولو أصبح بشير الجميل

(٤٩) مقابلة مع شلومو غازيت، تل ابيب ٢١ تشرين الأول ١٩٩٣.
(٥٠) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٥١) المصدر نفسه.
(٥٢) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.33.
(٥٣) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.367.
(٥٤) Sofer, *Begin*, p.202.
(٥٥) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.33.
(٥٦) المصدر نفسه، ص٤٩.





رئيسا، سيكون عليهم المحافظة على ولائهم للعالم العربي. لأنه، في ما خص الموارنة، لم يكن الإسرائيليون سوى أداة لتطهير لبنان من احد الشرور، وهم لن يقيموا سلاما مع إسرائيل[٥٧]. وفي نيسان/إبريل ١٩٨٢، أرسل ضباط إسرائيليون كبار إلى بيروت لتنسيق الخطط. وبدا ساغي في التقويم الاستخباراتي الذي اعدّه في أيار/مايو كمن كان يتنبأ: ان الصدام مع السوريين لا مناص منه، وأن المسيحيين لن يقدّموا أي مساعدة، وغياب الاجماع داخل الجيش سيتحول إلى مشكلة، وتدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير لن يكون ممكناً بهذه الطريقة[٥٨].

ولكن تحول العلاقات الإسرائيلية المارونية، الى علاقات شخصية، الى حد بعيد، بين أرييل شارون وبشير الجميل، منذ العام ١٩٨١، حجب سوء ظن الاستخبارات العسكرية بالكتائب[٥٩]. وفي مواجهة شارون وإيتان والموساد الذين كانوا يدافعون عن ثقتهم بالموارنة تهمّش تأثير الاستخبارات العسكرية. غير أن بيغن الذي كان عاجزا عن وضع تقويم واقعي وحده، لم يكن ميّالا لتصديق تقويم جهاز «أمان» لأنه كان يتعارض مع مخططاته[٦٠].

لقد عمل رئيس الوزراء بيغن، ووزير الدفاع شارون، ووزير الخارجية شامير، ورئيس الأركان إيتان ضمن نظام أيديولوجي مغلق جعلهم يغفلون مشورة معظم الخبراء. حتى انهم أقنعوا الموارنة بأن نظاماً جديداً بات في متناول اليد. وكانت النظرة لدى صانعي القرار في القوات اللبنانية أن بيغن وشامير وشارون خلقوا جوا أصبح ممكناً فيه اقتلاع منظمة التحرير من لبنان. وقد كانوا على ثقة تامة من وجود قبول أميركي ضمني، وكانوا على ثقة عالية بالنسبة إلى تحقيق الخطط السياسية. فبعد سبعة أعوام من خوض حرب أهلية أصبح الخيار السياسي فجأة خياراً ممكناً، عبر الأميركيين والإسرائيليين[٦١]. وكان الزعماء الإسرائيليون والموارنة قد قرروا، من دون أي اعتبار للواقع

(٥٧) المصدر نفسه، ص٥١.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٥٦.
(٥٩) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.167.
(٦٠) مقابلة مع يوسي أولمرت، تل ابيب ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٦١) مقابلة مع جوزف ابو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

السياسي في لبنان، العمل على تحويل لبنان الى دولة مستقلة تعيش بسلام مع إسرائيل[٦٢]. لقد كان الهدف الرئيسي للحرب إقامة نظام سياسي جديد، وبالفعل، فإن شارون أوضح لمساعديه أن عملية ناجحة في لبنان ستؤمّن، بتقديره، تفوقاً لإسرائيل على مدى السنوات الثلاثين المقبلة، تكون لإسرائيل خلالها حرية لا تقارع، في إقامة الأمر الواقع الذي لا يمكن رده، بما يخدم مصالحها بالشكل الأفضل[٦٣]. واستند شارون في تقويمه، إلى علاقته الشخصية مع بشير الجميل، فكان يرد على الذين كانوا يشيرون الى مواطن ضعف بشير، بحجج تشير الى النضج الذي اكتسبه الزعيم المسيحي وقد شاركه إيتان نظرته هذه إلى الجميل. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٨٢، التقى شارون بشيرا، قبل وقت طويل من عرض مخططاته على الحكومة، وناقش معه فكرة ربط سعيه للرئاسة بعملية إسرائيلية واسعة النطاق[٦٤]، مقترحاً إزالة منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان بمساعدة من القوات اللبنانية، وبعد ذلك يصبح الحل السياسي ممكناً[٦٥]. وكان بشير قد زاره في شباط/فبراير ١٩٨٢ ورد هو الزيارة في آذار/مارس. وعند هذا الحد، قدّم بشير مخططه قائلا: «نتوقع منكم اجتياح لبنان وسنقوم بالتنديد بكم عندما تفعلون. ونتوقع منكم أن تبقوا هنا لمدة ثلاثة أشهر»[٦٦]. وكان إيتان قد أجرى بالفعل التحضيرات لمثل هذا الاجتياح الطويل الأمد. أما الاعلان عن أن «عملية سلامة الجليل» لن تستمر أكثر من ٤٨ ساعة، فإنه تم لأسباب سياسية خالصة[٦٧]. وهكذا شرعت إسرائيل في إعادة لبنان، الديمقراطية الثانية في الشرق الأوسط وأرض الفينيقيين، إلى مكانه الصحيح[٦٨].

وكانت هناك تحذيرات اضافية بشأن الموارنة والأفكار المغلوطة التي يقوم

(٦٢) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.42.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٦٤) مقابلة مع شارون أجرتها أوريانا فالاتشي، واشنطن بوست ٢١ آب ١٩٨٢.

(٦٥) مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٦٦) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.52.

(٦٧) مقابلة مع رفائيل إيتان، القدس ٩ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٦٨) Sofer, *Begin*, p.211.





عليها مخطط الاجتياح، أطلقها قائد المنطقة الشمالية أمير دروري، الذي كان قد أشرف على نقل الأسلحة للكتائب في أواخر السبعينات. وهو لم يثر إمكانية حدوث مشاكل عملانية في اجتياح محدود أو شامل فحسب، بل قال أيضا انه «من غير الوارد مطلقا الاعتماد على المسيحيين. انهم في حالة يرثى لها من وجهة النظر العسكرية. وقدرتهم محصورة بالعمليات الدفاعية ولا يمكن توقع اشتراكهم في حرب متحركة»[٦٩]. كما أن نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري، كان قد حذّر منذ أزمة زحلة، من مغبة التعاون الوثيق[٧٠]. لكن اعتراضات تسيبوري، وهو المعروف بخلافاته الشخصية الطويلة الأمد مع شارون وإيتان، لم تلق آذانا صاغية. لهذا فإنه كان، كلما أثار اعتراضاته، اعتبرها الكثيرون انها مجرد تعبير عن هذا العداء القديم[٧١].

وإذا أعدنا النظر في ما مضى نجد أن انكشاف قادة جيش الدفاع الإسرائيلي، ورؤساء أجهزة الاستخبارات، والأهم منهم، نخبة صانعي القرار الاسرائيليين أمام القيادة المارونية مهد الطريق أمام الموارنة للتأثير في صنع القرار الإسرائيلي على أعلى المستويات[٧٢]. وهكذا ارتكز الاجتياح على فهم مغلوط لتوازن القوى الطائفي في لبنان وقدرة إسرائيل على ترجيح الكفة[٧٣]. فضلاً عن أن الاجتياح ارتكز على سوء تقييم قدرات الكتائب سياسياً وعسكرياً، وقدرة إسرائيل على تحقيق مكاسب سياسية دائمة من خلال استخدام القوة.

## الاستراتيجية الكبرى واجتياح لبنان

كان الأمن هو هدف إسرائيل الرسمي من الحرب. وقد تضمن، بمعناه الأوسع، سلاما مع لبنان، والمسألة الفلسطينية التي تشمل مستقبل الأراضي

(٦٩) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.46.

(٧٠) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.117.

(٧١) مقابلة مع اريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٧٢) Sofer, *Begin*, p.211.

(٧٣) Israel Landers, *Did we fail by taking a false bet?* (Tel Aviv: HaDoar, 1984), p.594.

المحتلة، والحوار الردعي السوري الإسرائيلي، وموقع إسرائيل في الشرق الأوسط. واستنادا إلى ذلك، يمكن إيجاز أهداف «عملية سلامة الجليل» بأنها: (أ) القضاء على كامل الوجود الفلسطيني ونفوذه في لبنان، (ب) إنشاء نظام سياسي جديد في لبنان عن طريق إنشاء حكومة مارونية تكون في الواقع محمية إسرائيلية، (ج) طرد القوات السورية من لبنان، (د) تدمير الشعور القومي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، (هـ) تحرير إسرائيل من صدمات قومية سابقة كتلك الناتجة عن حرب ١٩٧٣[٧٤]. أما أهداف الموارنة فكانت خلق وضع يمكن من بعده إعادة بناء الدولة وعقد اتفاق سلام مع إسرائيل[٧٥].

وكانت الأهداف الإسرائيلية حصيلة الالتزام المعمق حيال المسيحيين اللبنانيين، وتبدل الموقف في مواجهة السوريين. فإسرائيل لم تعد تنظر إلى الدور السوري على أنه مناسب لمصالحها الأمنية، ولهذا وجب انهاء الوجود العسكري السوري. وقد برز مفهوم مفاده ان إسرائيل ما ان تنفذ عملياتها في لبنان، ولكن على نطاق أوسع من الجنوب، حتى تتمكن من سحق الفلسطينيين وابطال تأثير السوريين، وعندها تضع لبنان في أيدي حلفائها الموارنة وتوقع معاهدة سلام. كما أن ذلك سيؤدي، على الصعيد الأمني، إلى وضع ترتيبات أمنية أكثر شمولا من الصيغة المحدودة في جنوب لبنان. وكان الأمر، في شكل من الأشكال، يشبه إحلال حكومة بالواسطة محل ميليشيا بالواسطة، ما يسمح بإنشاء نظام جديد. وأن تسديد ضربة إلى سوريا يمكنه أن يطلق عملية تفكك داخلية لتلك الدولة[٧٦]. ويتضح، من النظر إلى هذه الأهداف الأوسع نطاقاً لخطة شارون الكبرى، أن سلامة الجليل لم تكن في الواقع هي الهدف الرئيسي للحرب. فالهدف الرئيسي، بل الهدف المشترك الماروني الإسرائيلي منها كان التوصل إلى تغيير أساسي في الوضع السياسي الاستراتيجي

(٧٤) Peleg, *Begin's Foreign Policy*, p.151. انظر أيضاً: Eban, "*Personal Witness*", p.604. Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.122.

(٧٥) مقابلة مع جوزف أبو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(٧٦) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.117.



في لبنان الذي يقتضي تدمير أو ابطال مفعول كل العناصر العسكرية التي يمكن أن تمنع انتخاب رئيس للبنان يكون متحالفا مع إسرائيل[٧٧].

كانت هذه الاهداف تتضمن سحق منظمة التحرير الفلسطينية عبر اجتياح شامل كان ذا أهمية حاسمة للتوصل إلى اتفاق حول الحكم الذاتي مع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. إذ إن ما يسمى بسياسات الضم الإسرائيلية قد أدت إلى عكس المرجو منها وأوصلت إلى ما يشبه الانتفاضة على إسرائيل بين تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١ وربيع ١٩٨٢. كما أن فشل الإدارة المدنية في ايصال زعامة فلسطينية مطاوعة اكثر في الضفة الغربية وقطاع غزة، كان له تأثير حاسم في القرار الذي اتخذ عام ١٩٨٢ بتسديد الضربة الى قلب المقاومة الفلسطينية في بيروت[٧٨]. وكان شارون يعتقد أن الزخم الكاسح لهجومه سيمكّن من تحويل الأردن إلى دولة فلسطينية، ما يترك الضفة الغربية وقطاع غزة خاضعين للسيطرة الإسرائيلية الحصرية والدائمة[٧٩].

ويمكن القول جدلاً، من وجهة نظر استراتيجية خالصة، أن دوافع الاجتياح كانت جملة اهتمامات استراتيجية موجبة أكثر من مسألتي الأراضي المحتلة وسلامة الجليل. فقد كان جانب رئيسي من قرار الاجتياح يرتكز على افتراض العسكريين الاسرائيليين أن وضع اسرائيل الاستراتيجي سيتدهور[٨٠]. وبالتالي، فإن إسرائيل كانت تحاول، عن طريق الحرب، خلق محيط دفاعي نهائي[٨١]. وكان هذا يعني ضرورة رسم خطوط دفاعية فضلى، خصوصا إذا كان للسلام المصري الإسرائيلي أن ينهار. ففي حال هجوم مصري وسوري ستكون حدود إسرائيل الشمالية ضعيفة لأنها ستحشد قواتها في الجنوب، ولهذا كانت هناك حاجة إلى جبهة مع دمشق تدفع بسوريا إلى الحذر من القيام بأي عمل ينطوي على مخاطر.

(٧٧) Yaniv, *Dilemmas of Security*, p.115.

(٧٨) Yorke, *Domestic Politics and Regional Security*, p.194.

(٧٩) Eban, *Personal Witness*, p.604.

(٨٠) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.118.

(٨١) David Wurmser, *'Egyptian-Centrism in Israeli Strategic Planning: The Peace for Galilee Operation'*, SAIS Review, 4:2, 1984, p.72.

وكانت خطوط الدفاع الفضلى هذه مرسومة بشكل يتيح تركيز الحرب المقبلة في اضيق مساحة في الجولان والجزء الأسفل من سهل البقاع عوضاً عن المبدأ المعهود القاضي بنقل الحرب إلى داخل الأرض السورية العدوة[٨٢]. وبالفعل، فإن هذه الجبهة الضيقة من شأنها أن تفيد إسرائيل بتقليصها التفوق العددي السوري. لكن هذه الاستراتيجية كانت تدعو أيضاً، إلى إزالة منظمة التحرير من بين إسرائيل وسوريا حتى لا يستغل الفلسطينيون التوترات السورية الإسرائيلية[٨٣]. ومن شأن هذا الأمر أن يلغي المنطقة المحايدة، ويدفع فلول منظمة التحرير الفلسطينية إلى المناطق السورية لمنعها من القيام بمزيد من العمليات.

لم ينظر بيغن إلى حرب ١٩٨٢ على أنها هجومية أو دفاعية بل على أنها وسيلة لخلق شروط سياسية وعسكرية مؤاتية. لقد كانت «حرب خيار» بكل معنى الكلمة، شنت في وقت مناسب لإسرائيل[٨٤]. فقد كانت اسرائيل تريد إعادة ترتيب لبنان بشكل يؤدي الى إزالة كل المناطق المحايدة بينها وبين سوريا[٨٥]. ونشأ الوضع المناسب في الشرق الأوسط لتغيير الميزان الاستراتيجي لمصلحة إسرائيل. اذ كانت مصر قد وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل وكانت إيران والعراق تتحاربان، فيما بقية البلدان العربية منقسمة سياسياً. وكان يمكن لاسرائيل، وفقا لبرنامج شارون، أن تبرز كقوة مهيمنة في «قلب» الشرق الأوسط[٨٦]: فاجتياح لبنان سيحل المشكلة الفلسطينية، لأن القومية الفلسطينية ستزول بتدمير منظمة التحرير الفلسطينية، وسيصبح بالامكان ضم الضفة الغربية وقطاع غزة، وعندها يرحل معظم الفلسطينيين ويندمجون في البلدان العربية الأخرى. كما سيهزم جيش الدفاع الإسرائيلي سوريا، فتؤدي الهزيمة إلى تفككها. أما الأردن فلم يكن بالامكان اعتباره قوة

(٨٢) Levite, *Offense and Defense in Israeli Military Doctrine*, p.49.

(٨٣) Lanir, *Sikunim Be Lebanon (Risks in Lebanon)*, p.1.

(٨٤) Joseph Kraft, *'Milhemet Breira' (War of Choice)*, Ma'ariv, 20 August 1982.

(٨٥) Joseph Maila, *'Liban, Syrie, Israël ou le menage à trois'*, Cahiers de L'Orient, No. 11, p.39.

(٨٦) Evron, *War and Intervention in Lebanon*, p.117.



لأنه كان منخرطاً في صراع مع سكانه الفلسطينيين. في حين أن الحرب العراقية الإيرانية من شأنها أن تشغل البلدين لفترة طويلة من الزمن. وهذا ما سيجعل من إسرائيل القوة الوحيدة المتماسكة والمستقرة في الشرق الأوسط[٨٧].

ويمكن اعتبار توسيع الحرب من غزوة تُغير مسافة الأربعين كيلومترا التي جرى اقرارها في البداية، الى غزوة تقتحم بيروت على أنها تعبير عن التحوّل من عقود من المساعدة السرية للموارنة إلى تحالف كامل معهم. وإذا كان توجيه ضربة قاصمة لمنظمة التحرير كقوة سياسية هو مبرر العملية كلها، فإن العملية ستتطلّب احتلال الجزء الغربي من لبنان وصولاً الى بيروت[٨٨]. وكانت المواجهة مع سوريا استفزازاً متعمداً لتطبيق «الخطة الكبرى» التي وضعها شارون. فقد هاجم الجيش الإسرائيلي القوات السورية في التاسع من حزيران/ يونيو وواصل هجومه أربعة ايام[٨٩]. وكانت ذريعة توسيع الحرب إلى هذا المستوى هي أن المراجعة لوضع إسرائيل الأمني، جرت بناء على أوامر من شارون في العام ١٩٨١، وكانت قد أشارت إلى أن سوريا يحتمل أن تهاجم إسرائيل في أواخر العام ١٩٨٣ أو مطلع العام ١٩٨٤[٩٠]. وهكذا جرى تبرير توسيع الحرب بأسباب وقائية. وقد وافقت الحكومة، أو بالأحرى أذعنت، لعدة أسباب، منها أن شارون كان ينظر إليه بصفته جنرالا قويا، يعجب به الكثيرون ولذلك يصدقونه. أضف إلى ذلك، أن الذين كانوا يشككون بشارون كانوا يصدقون بيغن الذي كان يعتبر أكثر نزاهة[٩١]. إلا أن بيغن نفسه لم يكن على معرفة بخفايا مخططات شارون كلها. وهكذا، ففي البداية لم يُطرح الكثير من الأسئلة، ولكن عندما بدأت الأسئلة تطرح كان قد فات الأوان لوقف الكثير من العمليات[٩٢].

(٨٧) المصدر نفسه.

(٨٨) Yaniv, *Dilemmas of Security*, p.101.

(٨٩) Gabriel, *Operation Peace for Galilee*, p.67.

(٩٠) المصدر نفسه.

(٩١) مقابلة مع اريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٩٢) المصدر نفسه.

كان صنع القرار الإسرائيلي نفسه ناجماً عن عاملين، فمعظم أعضاء الحكومة كانوا يشعرون بأن ليس أمامهم من خيار سوى السير في ركاب الأغلبية. فضلاً عن أن شارون وبعد شن الحرب، كان يدعو الى موقف مفاده «إما لبنان كله أو لا شيء». وعلى الرغم من أن الحكومة كانت تعي جيدا الابهام المحيط بأهداف شارون السياسية، فإن مقاومة اعضائها اضعفها «المنطق الاعظم» لحرب شاملة بالمقارنة مع غزوة محدودة. فقد كانوا متفقين على أن مجرد دفع منظمة التحرير إلى الوراء لن يعالج المشكلة حقيقة[٩٣]. فالسوريون في البقاع، ومن وجهة النظر العسكرية، كانوا يستطيعون منح منظمة التحرير، الملاذ الذي يبقيها قادرة على الوصول منه إلى الجليل. ولهذا كان ينبغي حرمانهم من هذا الملاذ؛ وبالتالي، فإن اشتباكا مع السوريين كان ممكنا.

لكن توسيع أهداف الحرب لم يكن محسوبا جيدا كما بدا في الظاهر. فالفرضيات التي ارتكزت عليها «الخطة الكبرى»، أي التعاون مع الموارنة وقدرات القوة العسكرية، قد بولغ في تقديرها مبالغة فاضحة. وعندما أطلق شارون الحرب عام ١٩٨٢، اثبتت حساباته الاستراتيجية صحتها، إلا أن تفسيره المغلوط للوضع اللبناني حوّل الانتصار العسكري إلى كارثة سياسية لكل من إسرائيل ولبنان[٩٤]. وفي الواقع، فإن الحرب عكست بصدق شخصية شارون ونظرته إلى العالم. لقد كان اعتقاده أن على إسرائيل أن تستخدم القوة العسكرية لتغيير وجه الشرق الأوسط، ولتوسيع هامش أمنها تلافيا لأي تغيير سلبي في المستقبل في ميزان القوى بين إسرائيل وجيرانها[٩٥].

### عدم التعاون الماروني في بيروت

بعدما زار أرييل شارون بيروت سرا، في كانون الثاني/يناير ١٩٨٢، لمناقشة مخططات الاجتياح مع بشير الجميل، غادرها معتقدا أن الكتائب سيتولون احتلال بيروت الغربية والسيطرة عليها[٩٦]. لكن، عندما تبلّغ بشير

(٩٣) Yaniv, *Dilemmas of Security*, p.112.
(٩٤) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.259.
(٩٥) Benziman, *Sharon*, p.266.
(٩٦) Kimche, *The Last Option*, p.144.



الجميل أن العملية على وشك أن تبدأ وطُلب منه أن يأمر رجاله بفتح النار على طول خطوط التماس، وأن يسمح للفرق المقاتلة الإسرائيلية بالنزول في جونيه، رفض الطلبين معا[٩٧]. وكان على هذا وحده أن يكون اشارة واضحة الى التقاعس في المستقبل. ففي ١١ حزيران/يونيو، وبعدما انضم ضابط ارتباط كتائبي الى المظليين الإسرائيليين المتقدمين نحو بيروت، اجتمع شارون وبشير الجميل بهدف تحديد دقيق للمكان الذي ستلتقي فيها القوتان[٩٨]. وحتى هذه الوقت، كان شارون لا يزال يعتقد أن ليس من الضروري أن يقوم جيش الدفاع كذلك باحتلال المدينة. فقد كان ذلك متروكا للكتائب الذين سيحصلون على دعم مدفعي وجوي من الجيش الإسرائيلي. لكن عندما التقت القوتان في بعبدا أوضح بشير لشارون أنه لا يرى الأمور على هذا النحو. إذ إنه لم يكن ينوي تلبية توقعات إسرائيل[٩٩]. وقد جرى شرح تقاعس الكتائب الذي برز على خلفية قتال كثيف، كالآتي:

أولا، انك لا تذهب وتقاتل أخوانك المسلمين لأنهم شركاء في هذا الوطن. وثانيا، هناك الدول العربية ـ فلِكَيْ يصبح المرء رئيسا للجمهورية لا يستطيع الاتكال فقط على الدعم الإسرائيلي.

وعلى الرغم من هذه الرؤية الثاقبة الوجيزة للواقع السياسي اللبناني، فإن القوات الإسرائيلية التقت مع الكتائب في بيروت يوم ١٣ حزيران/يونيو ١٩٨٢[١٠٠]. وفي اليوم التالي، التقى شارون وبشير الجميل، في جونيه. وأعلن بشير أنه على استعداد لمساعدة الجيش الإسرائيلي ولكن دون ان يقاتل. وكان هذا يعني عمليا دعم خطوط التماس وضمان عدم فرار أي من مقاتلي منظمة التحرير إلى طرابلس؛ أما «العمل القذر» فقد تُرك للإسرائيليين[١٠١].

وهكذا، اثبتت التنبؤات السابقة للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية

(٩٧) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.107.
(٩٨) المصدر نفسه، ص١٨٧.
(٩٩) Benziman, *Sharon*, pp.250-251.
(١٠٠) Sofer, *Begin*, p.209.
(١٠١) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.196.

صحتها: فالاتصال مع الموارنة لم يكن ذروة العملية، بل كان بداية حصار طويل. وفي الواقع، فإن الاتصال الجغرافي كان يعتبر الدليل القاطع على فشل تحالف الأقليات[١٠٢]. اذ مهما كان نوع التفاهم بين شارون وبشير الجميل، فإن قائد القوات اللبنانية لم يكن ينوي اقتحام بيروت الغربية، وبقي نشاط قواته العسكري نشاطاً لا يذكر[١٠٣]. فقد أعلن بشير الجميل أمام الرأي العام الماروني: إننا لم ندعم ما يحصل لكن علينا أن نستغله لإنقاذ لبنان. وقد بشّر بالتسامح والتعاون مع الأعداء المسلمين، ومن بينهم الفلسطينيون[١٠٤]، لأنه كان قد وضع الرئاسة نصب عينيه وكان يحتاج الدعم من كل اللبنانيين.

لقد اعتمد كثيرا على واقع أن المسلمين جربوا الفلسطينيين وأن الدروز والشيعة بدلوا رأيهم بالنسبة إلى المحافظة على لبنان. كان المسلمون حقيقة وراء بشير على الرغم من أنه كان القائد العسكري للمسيحيين. فقد غير خطابه متجاوزاً الأحزاب المسيحية. وكان في إمكانك أن تدخل منزل أي مسلم وتجد دعما لبشير لأنه كان يقول ما لا يستطيع المسلمون أن يقولوه علنا ـ أي أنهم يريدون لبنان مستقلا وكانوا يريدون أن يكونوا أحرارا. لقد أحبوا بشيرا لأنه لم يكن يقول «نحن المسيحيين» بل «نحن اللبنانيين»[١٠٥].

مثل هذه التصاريح لم تكن تجد تفهماً كبيراً لدى الجنود الإسرائيليين الذين جاؤوا لمساعدة الموارنة على استرداد سيطرتهم السياسية. فمن وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية، كان على القوات اللبنانية أن تساعد في تحرير بلادها وتعبيد طريقها إلى السلطة. ولكن، من وجهة نظر بشير، فإذا كانت إسرائيل تريد أن تصبح لاعباً إقليمياً وتحقق تغييرات سياسية عبر حملة عسكرية، فعليها أن تدفع الثمن الذي سيتطلبه الاستيلاء على بيروت الغربية[١٠٦]. وبالفعل، فقد أعلنت مصادر كتائبية مسؤولة أن المشكلة الفلسطينية هي «مشكلة

(١٠٢) مقابلة مع يوسي ألفر، تل ابيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

(١٠٣) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.139.

(١٠٤) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.199.

(١٠٥) مقابلة مع فؤاد ابو ناضر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.

(١٠٦) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.139.



إسرائيلية» بما أن إسرائيل هي التي خلقت مشكلة اللاجئين في الدرجة الأولى[١٠٧].

بعد اعلان ترشيحه للرئاسة، دعي بشير الجميل إلى القدس في زيارة آذنت، في نواحٍ عديدة منها، بنقطة تحول في العلاقات بين إسرائيل والموارنة. فمن جَهة أعلن بشير: «أنا لا أخاف أن أقاتل لكنكم ستجدونني في هذه الحال على رأس دولة مسيحية صغيرة، ضمن لبنان مقسم، تتعرض لتهديد مستمر من جيرانها»[١٠٨]. ومن جهة ثانية، قال: «أريد أن آتي إلى القدس كرئيس للبنان وأوقع معاهدة سلام معكم». ولهذا السبب بالذات لم يكن يستطيع التضافر مع إسرائيل في بيروت[١٠٩]. وقد طالب، في الوقت نفسه، بمعاهدة سلام وبضمانات إسرائيلية قاطعة، فيما كان مستمرا في ترشيح نفسه ممتنعاً عن أي تورط كان. وبينما كان موقفه، من وجهة النظر المارونية، منطقياً وثابتاً، شعر الإسرائيليون أنه ينكل بوعده. وبالفعل، ولدى سماعهم ذلك، نصح خبراء وزارة الدفاع الإسرائيلية بوقف دعمه، وألحوا، بدلاً من ذلك، على التمديد لولاية الرئيس الياس سركيس، أو البحث عن مرشح تسوية[١١٠]. لكن شارون أهمل هذه النصيحة وشرع في العمل لجعل بشير حاكما للبنان. وما ان يستقر بشير في منصبه كرئيس للجمهورية حتى يعمد شارون إلى خلق الظروف التي تضعف مقاومته توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل[١١١]. حتى انه ذهب إلى حد شراء الأصوات وتهديد المواطنين اللبنانيين لحملهم على التصويت له[١١٢].

لقد قطف بشير الجميل ثمار التغيير الذي ادخله في خطابه السياسي عندما فاز في الانتخابات. فقد كاد يكون في العلن معاديا لإسرائيل، قائلا انه لا

(١٠٧) *The Guardian*, 3 July, 1982.

(١٠٨) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.200.

(١٠٩) Kimche, *The Last Option*, p.153.

(١١٠) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.231.

(١١١) Benziman, *Sharon*, p.251.

(١١٢) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.231.

يستطيع عقد سلام دون موافقة كل اللبنانيين. لكن شارون وبيغن قررا في ٣٠ آب/ أغسطس، أن الوقت قد حان ليسدد بشير، وقد أصبح رئيسا منتخبا، أول فواتيره. فنقل جوا إلى نهاريا للقاء رئيس الوزراء بيغن الذي بادر على الفور، إلى الضغط من أجل علاقة كاملة ومعلنة تؤدي إلى معاهدة سلام. في حين ان بشيرا كان يريد إبقاء تحالفه مع الإسرائيليين على اساس عملي وغير رسمي[١١٣].

لم يفهم بيغن أن رئيس الجمهورية في لبنان مسيحي في حين ان رئيس الحكومة مسلم. كان يعتقد أن كل شيء مهيأ لسلام مع لبنان لأن هناك اتفاقا معقوداً مع الموارنة ولأن الرئيس ماروني. ولهذا أصرت الحكومة الإسرائيلية على سلام منفرد. لكن بشيرا رفض طالبا من بيغن الانتظار ريثما يتولى مهامه ويصبح لديه إمكانات أفضل[١١٤].

كما أعلن بشير الجميل ان عقد معاهدة سلام متسرع أمر لا مبرر له، فأمهله بيغن حتى نهاية السنة[١١٥]. ثم اقترح بيغن تعيين الرائد حداد قائداً لجنوب لبنان، فرفض بشير الاقتراح لأن حداد كان لا يزال يواجه اتهامات بالخيانة. وعندما جاهر بيغن ان إسرائيل تفكر في الاحتفاظ بالحزام الأمني، عارض بشير ذلك أيضاً، مدعياً أنه يشكل انتهاكاً للسيادة اللبنانية، وان على القوات الإسرائيلية الانسحاب إلى الحدود الدولية[١١٦]. وهكذا كان الاجتماع كله حافلا بالخلافات، فقد اشتكى بيغن من معارضة بشير، وفي المقابل اشتكى بشير من أن بيغن عامله كطفل يقول له ما ينبغي ان يفعل[١١٧]. وبهذا، باتت امكانية الاتكال على الكتائب موضع تشكيك مرة أخرى، وأثيرت إمكانية فتح قنوات لبنانية أخرى.

وكانت الدوائر الأمنية الإسرائيلية تناقش إلى أي مدى يجب دعم بشير

(١١٣) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.144.

(١١٤) مقابلة مع جوزف ابو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.

(١١٥) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.233.

(١١٦) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.382.

(١١٧) المصدر نفسه.



الجميل، وما اذا كان من الأفضل التركيز فقط على جنوب لبنان. حتى ان بعض ضباط القيادة الشمالية اقترحوا الانسحاب لأن إسرائيل اصبحت متورطة أكثر مما يجب، والعمل، تعويضاً على ذلك، على تعزيز قدرات الرائد سعد حداد، وربما أمكن لإسرائيل أيضا أن تخطب ود الشيعة[١١٨]. وكان الأكثر مجاهرة بين الضباط، العقيد أيلي غيفع، الذي أكد أن الخسائر البشرية ستكون كبيرة والمكاسب السياسية لا يُعتد بها. فلا يمكن للمرء أن يفرض حكماً مسيحياً على لبنان، بمجرد احتلال بيروت. اذ ان امراً كهذا يستوجب تأمين التفوق المسيحي على طرابلس وزحلة أيضاً. فضلاً عن أن بشير الجميل يمكن أن يقتل كما حصل للسادات[١١٩]. وستكون النتيجة الوحيدة للاجتياح الإسرائيلي هي التمادي في التورط الذي سيتمخض عن نتيجة غير تلك المتوخاة.

وفي آب/أغسطس، بدأ بشير الجميل يتدخل في مخططات إسرائيل، عندما أعطى أوامره، التي لم تأذن بها إسرائيل، بتطهير مخيم المية ومية للاجئين من كل الفلسطينيين. وارتكب الكتائب خلال هذه العملية تجاوزات كثيرة ضد المدنيين، وقاموا أيضا بتصفية حساب مع الدروز في جبال الشوف. عند هذا الحد حدث تحول طفيف في سياسة إسرائيل التي خففت من اعتمادها على بشير واتجهت إلى حماية أكبر لمصالحها. وكانت النتيجة هي نشر قوات حداد الموالية التي يمكن الاعتماد عليها شمالا حتى الزهراني[١٢٠].

وعلى الرغم من ذلك، فإن النية عموما كانت في تسليم لبنان كله إلى بشير الجميل والى رؤيته للدولة الجديدة. هذه الرؤية التي بثها عبر صوت لبنان في ١٨ حزيران/يونيو ١٩٨٢، كانت «لبناناً جديداً مبنياً على أسس تختلف تماما عن الهيمنة والقذع واللامبالاة واللامسؤولية التي بني عليها لبنان منذ العام ١٩٤٣»[١٢١]. ففي الواقع، كانت رؤيته هيمنة مسيحية تقوم على

(١١٨) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.234.

(١١٩) Benziman, *Sharon*, p.253.

(١٢٠) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.238.

(١٢١) إذاعة صوت لبنان، ١٨ حزيران ١٩٨٢.

تقاليد تاريخية وعلى التحالف مع إسرائيل. وكانت تقضي بأن يستبدل بلبنان القديم الضعيف لبناناً جديداً قوياً بقيادة طائفة مارونية قوية. «وإذا تم لعب الورقة الإسرائيلية في شكل صحيح، فإنها ستؤمن المحافظة على علاقات لبنان مع باقي العالم العربي وهي علاقات مهمة ليس للطوائف الإسلامية، فحسب، بل أيضا لمصالح رجال الأعمال المسيحيين الاقتصادية»[١٢٢]. وفي ١٢ ايلول/سبتمبر ١٩٨٢، اجتمع القائدان بشير وشارون للشروع في الخطوة التالية من المخطط متمسكين برؤية بشير للبنان الكبير المسيحي، ورؤية شارون للبنان المتصالح مع اسرائيل. وبحث الطرفان في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين[١٢٣]. وبعد يومين قتل بشير الجميل.

## فشل الاجتياح

يمكننا أن ننظر إلى فشل الاجتياح على أنه نتيجة لعدد من المفاهيم المغلوطة في الجانب الإسرائيلي، تضاف إليها درجة من خداع النفس في الجانب الماروني. لقد «كان في كل من الجانبين الماروني والإسرائيلي قيادات متورطة عاطفياً انفعالياً وشخصياً؛ شخصياً بما يعني حياتهم السياسية. لقد كانوا أسياد اللعبة مع الكثير من المخادعة والكثير من سوء الفهم وسوء القراءة والانفعالات الشخصية. إذ إن التوقعات كانت كبيرة جداً». ونشأت الشروط المثالية لخداع النفس المتبادل.

المفهوم المغلوط الأول كان يتعلق بقوة مجموعة بشير الجميل في داخل الطائفة المارونية وقوة الطائفة المارونية في لبنان. كان الكثيرون، حتى الاجتياح، ينظرون إلى الموارنة على أنهم الطائفة الكبرى في لبنان. وطبقاً لذلك، كان يُنظر إلى اتفاقية يجري التوصل إليها مع إسرائيل كاتفاقية مدعومة من الأكثرية، والأهم كاتفاقية تكون مسنودة بقوة الرئاسة[١٢٤]. زد على ذلك، أنه كانت هناك نظرة مفادها أن التعامل مع الموارنة يعني التعامل مع

(١٢٢) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.160.
(١٢٣) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.383.
(١٢٤) مقابلة مع أوري لوبراني، تل أبيب ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.



لبنان[١٢٥]. لكن الحقيقة هي أن الموارنة شكلوا ثلث عدد سكان لبنان فقط، وان جماعة بشير شكلت نسبة أقل من ذلك.

أما المفهوم المغلوط الثاني فهو مرتبط ارتباطا مباشرا بالأول ويتعلق بإمكانية الاعتماد على الموارنة كحلفاء. فقد جرى عرض الموارنة على أنهم جماعة يمكن الاعتماد عليها، لكن، كما رأينا، كانت هناك حدود لهذه الصفة. فقد بات للإسرائيليين الذين تعاطوا مباشرة مع الموارنة صلة شخصية وذاتية جدا بمشكلات الموارنة جاوزت الواقع. أضف إلى ذلك، أن غالبية صانعي السياسة كانوا «مأخوذين» بحليفهم الصغير.

وكان هناك، المفهوم المغلوط الثالث، وهو الفشل في فهم أهداف الموارنة. فهم لم يروا في إسرائيل حليفاً استراتيجياً، بل حليفا تكتيكيا. فقد كانت هناك في الواقع مزاعم تقول إن مقاربتهم الأساسية كانت معادية للسامية[١٢٦]. وعلى الرغم من أن هذه المزاعم قابلة للتشكيك، فإن للموارنة نظرة كانت ترتاب بدوافع ونوايا الآخرين، فكانوا يريدون أن تقوم كل من سوريا وإسرائيل بإبطال تأثير الأخرى. لقد كان الموارنة يتوقعون أن تحارب إسرائيل عنهم ـ أن تطرد السوريين، وترحّل الفلسطينيين، وتعطيهم الرئاسة والسلطة. لكن إسرائيل لم تكن تدرك مدى طموحات الموارنة ومدى تضليلهم لأنفسهم. فقد كانت ملتزمة، إيديولوجياً، بالموارنة كـ «حلفاء طبيعيين»، لأنهم، كونهم مسيحيين، فهذا يجعلهم أفضل من المسلمين[١٢٧]. وكانت إسرائيل علاوة على ذلك، تؤمن أنه في إمكانها أن تنشئ في لبنان نظاما ذا غالبية مارونية، وان الموارنة، بمجملهم، كانوا يريدون ذلك[١٢٨].

ويمكن العثور على المفهوم المغلوط الرابع في التفكير الإسرائيلي الخاص بمبدأ المحيط. فالفارق الذي يميز بين مبدأ المحيط وتحالف الأقليات، أي بين

(١٢٥) المصدر نفسه.
(١٢٦) مقابلة مع يوسي الفر، تل ابيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣. مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(١٢٧) مقابلة مع يوسي ألفر، تل ابيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.
(١٢٨) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, pp.258-9.

المحيط بمعناه الجغرافي والمحيط بمعناه الاثني، لم يكن فارقاً واضحاً، ولذلك فشل بعض صانعي القرار الإسرائيليين بأن يدركوا عدم إمكانية الحصول على مستوى من الالتزام من أقليات حليفة مساوٍ لمستوى التزام دول حليفة. وبالفعل، فإن انعدام الفارق في النظرة وفي منهج العمل جعلهم غير قادرين على رؤية اخطار الالتزام العسكري(١٢٩).

وكان المفهوم المغلوط الخامس، امتناع الموارنة عن التعاون خلال الاجتياح، والذي يعكس سوء فهم اعمق بين الكثيرين من الإسرائيليين واللبنانيين المسيحيين. وكان لدى الجانب الإسرائيلي الانطباع أن الموارنة ارادوا من إسرائيل أن تقوم عنهم «بأعمالهم القذرة». وكان المسيحيون يرون إسرائيل مسؤولة في النهاية عن مكانة الفلسطينيين كلاجئين وكل ما نتج عن ذلك من بلايا في لبنان. وبالتالي، اعتقدوا أن من الصواب أن تقوم إسرائيل بعمل ما للتخفيف من هذه البلية(١٣٠).

أما المفهوم المغلوط السادس والأخير الذي ستتم مناقشته فهو الخطأ في صنع القرار. فبدلا من أن يقوم رئيس الحكومة بالتشاور مع مستشاريه ومن ثم الوصول إلى استنتاج، كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورئيس الأركان يتوصلون الى استنتاجات دون استشارات أو دراسة دقيقة للوقائع. فقد ضاعت تماماً الضوابط المتبعة في نظام صنع القرار، وارتقى بعض اللاعبين من المجال الامني، مثل رئيس الأركان والموساد، إلى رتبة صانعي القرار التي لم يكن ينبغي ان تُعطى لهم. أضف إلى ذلك، أن وزير الدفاع شارون، وعوضا عن تمثيله المصالح المدنية في مؤسسة الدفاع، كان يمثل المصالح العسكرية في المؤسسة المدنية. وباختصار، فقد كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورئيس الأركان والموساد، يصنعون قرارات السياسة الخارجية دون أن يراعوا الاعتبارات السياسية، وبالتأكيد، دون أن يشركوا وزارة الخارجية.

(١٢٩) مقابلة مع يوسي الفر، تل ابيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

(١٣٠) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, pp.258-9.



# ٨ الأوهام والخيبات

إنه لمن الصعب الاشارة إلى أي مكاسب سياسية ذات مغزى لتبرير تكلفة التدخل من ناحية الضحايا، والموارد المالية، والمكانة الدولية(١).

فالفترة الممتدة من موت بشير الجميل في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ حتى انسحاب إسرائيل من لبنان بدءا من صيف ١٩٨٤، كانت الخاتمة للمرحلة التي شهدت اقصى حالات التدخل الاسرائيلي في السياسة اللبنانية. كما أن فشل تحويل المكاسب العسكرية إلى انجازات سياسية، قد أثبت أيضاً عبثية استراتيجية شارون الكبرى والفرضيات الخاطئة لكل من تحالف الأقليات ومبدأ التدخل.

وحاول صانعو القرار الإسرائيليون، مع تخندق الجيش الإسرائيلي الراسخ في بيروت وتعاطيه مع حليف ماروني موهن، أن ينتزعوا بعض المكاسب السياسية على الأقل من خلال الاجتياح، فضلاً عن أنهم كانوا في طور مواجهة الحقائق في لبنان: طائفة مارونية منقسمة لم تكن تشكل الأكثرية في البلاد، بالإضافة إلى الشيعة والسنة والدروز الذين يزدادون عداء لإسرائيل. ولقد اتضح مع موت الرئيس المنتخب، بشير الجميل، أن لبنان لن يتبع خطى مصر في إقامة سلام كامل مع إسرائيل. فلبنان، في الواقع، جزء من العالم العربي كما سبق أن كان دائماً، ووجود إسرائيل فيه لم يؤدِّ إلى إبطال تأثير السوريين ولا إلى إعادة تركيب الشرق الأوسط ليصبح منطقة صديقة

(١) Avi Shlaim, *'Israeli Intervention in Internal Arab Politics'*, unpublished paper, p.58.

لإسرائيل. فـ «الانتصار» الإسرائيلي الوحيد الذي يمكن ادعاؤه كان طرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، لكن حتى هذا الأمر مشكوك فيه.

## موت بشير الجميل وانعكاساته

في ١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، قتل بشير الجميل في انفجار مقر حزب الكتائب وماتت معه آمال إسرائيل في الوصول إلى معاهدة سلام. وتوقع الجيش الإسرائيلي حصول أعمال عنف مسيحية إسلامية فتوجه فورا إلى خطوط التماس، بينما قرر شارون المضي في المخططات التي ناقشها قبل ثلاثة أيام مع بشير، أي التخلص من الفي مقاتل فلسطيني «تحولوا إلى مدنيين»[٢]. ولأنه لم يكن مسموحاً للجيش الإسرائيلي أن يدخل المخيمات، فقد طلب ذلك من الجيش اللبناني الذي رفض. فتحول عندها إلى القوات اللبنانية وهو مدرك تماما حال الغضب التي تعتريهم منذ مقتل قائدهم. وفي اليوم نفسه، ابلغ شارون جنرالاته أن الكتائب ستدخل مخيمي اللاجئين في صبرا وشاتيلا بإشراف جيش الدفاع الإسرائيلي[٣]. وأمر رئيس الأركان إيتان الكتائب بالدخول إلى المخيمين قائلا: «إنهم تواقون للثأر وربما سال نهر من الدماء»[٤]. وفي اليوم التالي، تسلم رئيس الاستخبارات العسكرية ساغي ووزير الخارجية شامير تقارير عن قتل مدنيين، لكنهما تجاهلاها. الا انه كان على إسرائيل بعدها، ان تنتظر تلاشي الأصداء المحلية والدولية للأيام الثلاثة لمجزرة سكان المخيمين.

لقد كان موت بشير الجميل نقطة تحول فاصلة في العلاقات الإسرائيلية المارونية. إذ لم يكن هناك زعيم ماروني آخر يجمع بين القدرة على حكم لبنان في تلك المرحلة العصيبة وبين توجه سياسي مقبول من إسرائيل، ناهيك عن توجه موالٍ لإسرائيل[٥]. فاغتياله ترك مؤيديه من دون زعيم، وترك إسرائيل

(٢) Kimche, *The Last Option*, p.159.

(٣) Black and Morris, *Israel's Secret Wars*, p.384.

(٤) Peleg, *Begin's Foreign Policy*, 1977-1983, p.162.

(٥) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.144.



من دون أسس لمخططاتها. وحتى اليوم لا يزال الكثيرون من الموارنة يعتقدون أنه لو لم يمت بشير لكان مصير لبنان والتحالف الماروني الإسرائيلي مختلفاً تماماً. إذ إن لبنان كان سيصبح مكاناً حراً لكل الطوائف، وإن المسلمين والدروز على الرغم من مشقة البداية، كانوا سيقفون وراء بشير خلال عملية السلام مع إسرائيل، وإن خطة بشير التي كانت تقضي بدمج القوات اللبنانية والميليشيات الاخرى في الجيش اللبناني كانت ستؤدي إلى نشوء جيش وطني يخضع لسيطرته[٦].

انتخب شقيقه أمين رئيسا للجمهورية خلفا له. ولم يكن أمين الجميل يملك رؤية مختلفة للبلاد فحسب، بل أخفق أيضا في إثارة حماسة إسرائيل. وكان هدفه توطيد سلطته على كامل لبنان وليس داخل الطائفة المسيحية فقط. ولمساعدته في ذلك، فقد أخلى الجيش الإسرائيلي بيروت، لتحل محله قوة حفظ السلام المتعددة الجنسيات[٧]. لقد كانت إدارة أمين الجميل تشكل، في نواحٍ عديدة منها، عودة إلى النموذج التقليدي اللبناني، أي التحالف بين الرئيس الماروني والزعماء السنة في بيروت. وكان على الرئيس الجميل الذي لم يكن يريد تحالفا مع إسرائيل، أن يقبل بالوجود الإسرائيلي الكثيف في لبنان، مدركا أنه يمكنه استخدامه لمعادلة وجود سوريا ومن بقي من منظمة التحرير الفلسطينية[٨].

كان يفترض أن تكون الحكومة الجديدة حكومة صديقة. ففي مأتم بشير قطع أمين لشارون وعدا بالقول «سأذهب إلى أبعد مما وعد به بشير»[٩]. لكن أعمال أمين جاءت معاكسة. فقد ابلغ الإسرائيليين أنه بصفته «رئيساً» لم يعد في استطاعته الالتقاء بهم بصفة غير رسمية، فضلاً عن أن لبنان لم يكن يريد إجراء مفاوضات حكومية مباشرة. وعندما ازدادت الأمور تدهورا، أوفد أمين أحد أصدقائه المقربين، سرا، إلى إسرائيل لتحديد «ترشيدات اساسية» مع

(٦) مقابلة مع فؤاد ابو ناضر، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٩٥.

(٧) Kimche, *The Last Option*, p.162.

(٨) Rabinovich, *The War for Lebanon*, p.168.

(٩) Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, p.287.

شارون. ووضعت وثيقة بين الطرفين، يفترض، بتصور الحكومة اللبنانية، ان تبقى في درج مقفل كتفاهم سرّي بين الحكومتين، في وقت تستمر فيه المفاوضات الرسمية استنادا إلى قوانين أخرى. لكن هذه المفاوضات السرية وجدت طريقها إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية، ما كاد يؤدي إلى تجميد العلاقات التي كانت قد ساءت عندما اتهم الجميل شارون بأنه تعمد تسريب المعلومات للاساءة الى سمعته. إلا أن الوساطة الأميركية أفضت، في النهاية، الى ترتيب مفاوضات رسمية. وقد ضم الرئيس الجميل الى الوفد المفاوض شخصيات من السنة والشيعة ليتفادى قول المسلمين ان الامر مجرد اتفاق بين إسرائيل والمسيحيين اللبنانيين[١٠]. وفي خلال ذلك، بدأت عملية التطبيع كما ينعكس ذلك في السياحة والتجارة بين البلدين.

بعد موت بشير الجميل، بدأت إسرائيل تكتشف أنه لم يكن يمثل الكتائب تمثيلا كاملا، وأن الكتائب لم تكن تمثل مجمل الطائفة المارونية، وأن الطائفة المارونية لا تتحدث بلسان كل اللبنانيين المسيحيين، وأن المسيحيين اللبنانيين لم يعودوا مطمئنين الى هيمنتهم[١١]. واختفى تماماً الكثير من مسلّمات ستة عقود من تحالف الأقليات. لكن هذا لم يمنع بعض صانعي القرار الإسرائيليين والكثيرين من الموارنة كذلك من التعلق اليائس بوجهة النظر القائلة انه لو لم يحصل اغتيال بشير لكان كل شيء مختلفاً[١٢].

## اتفاق ١٧ أيار/مايو ١٩٨٣

على اثر موت بشير، تبخرت فرصة عقد معاهدة سلام كامل، وتطبيع العلاقات، وطرد السوريين من لبنان. ولكِنْ مؤيدو بشير الموارنة كانوا لا يزالون مستبشرين، إلا أن حلم التحالف هذا مع إسرائيل أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً. إذ كان عليهم هم أيضا أن يواجهوا الحقيقة وهي: الهيمنة السورية وحدود التدخل الإسرائيلي.

(١٠) Kimche, *The Last Option*, p.167.

(١١) Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1985*, p.168.

(١٢) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣.



وسرعان ما اتضح أن أمين الجميل كان مهتماً بالمحافظة على علاقات طيبة مع الدول العربية أكثر من اهتمامه بأن يصبح حليفا لإسرائيل. وبدأ الإسرائيليون يعون أنهم لم يعودوا يتعاملون مع لبنان الذي يمثله الموارنة. فقد بدأوا يدركون، على مضض، أن لبنان يستند إلى ائتلاف طوائف. وأن أمين الجميل، الرئيس الجديد، لم يوافق على حرف واحد دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس الحكومة السني[١٣]. إذ إن الرئيس، أصر إبان مفاوضات اتفاق ١٧ أيار، على الحصول على الدعم الإسلامي لكل شيء - فهو لم يكن يريد أن ينظر إلى الأمر على أنه اتفاق ماروني آخر مع إسرائيل. ولم يكن أمام الفريق الإسرائيلي المفاوض سوى القبول بنتائج المحادثات التي كانت تتضاءل، لأن الضغوط الداخلية في إسرائيل التي نجمت عن استنكار عامة الناس لمجازر صبرا وشاتيلا، جعلت التوصل الى معاهدة تبرر الحرب، امراً فائق الاهمية. وفي هذا السياق عقدت المفاوضات الإسرائيلية اللبنانية، الهادفة إلى تأمين جلاء القوات الإسرائيلية، في خلدة وكريات شمونه.

هذه الاجتماعات التي استغرقت عدة أشهر، من ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢ إلى توقيع المعاهدة في ١٧ أيار/مايو ١٩٨٣، عقدت برعاية الولايات المتحدة وكانت معنية بالترتيبات الأمنية في جنوب لبنان. وكانت إسرائيل قد فقدت الاهتمام بالجزء الشمالي من لبنان مع فشل تحالف الأقليات والتدخل الشامل لأهداف لا يدرك كنهها[١٤]. وكان هذا يعني بالنسبة للإسرائيليين إحلال سيطرتهم على أراض لبنانية لضمان استقرار المستوطنات الحدودية الشمالية وحمايتها. لكن اللبنانيين كانوا يريدون انسحابا إسرائيليا تاما، وكانوا ينظرون إلى ترتيبات الأمن الإسرائيلية، التي كانت تشدد على الفارق بين الحزام الأمني وباقي لبنان، على أنها ترتيبات تؤدي إلى عدم استقرار سياسي في لبنان[١٥].

وطوال فترة المفاوضات كان هناك انصار لوجهتي نظر، في شأن الأمن،

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(١٥) Hof, *Galilee Divided*, p.110.

داخل الحكومة الإسرائيلية. فوجهة النظر الأولى التي دعا اليها حزب العمل، كانت تقضي بأن تنسحب اسرائيل في اسرع وقت ممكن، وأن تضمن حقها في العمل على الأرض اللبنانية لتأمين الأمن في الجليل. أما وجهة النظر الثانية، وهي سياسة الليكود، فكان مفادها أن إسرائيل لا يمكن أن تنسحب دون انسحاب سوري مواز وان من حقها إنشاء «محطة مراقبة» داخل الاراضي اللبنانية. وكان عيب وجهة النظر الثانية في انها تتطلب موافقة سورية وهو أمر لم يكن في استطاعة اللبنانيين أو الأميركيين استحصاله على الرغم من أن الولايات المتحدة ضمنت مرارا عديدة «إقناع السوريين في النهاية»[١٦]. وقد ادّعى ديفيد كيمحي، رئيس الفريق الإسرائيلي المفاوض، أن فيليب حبيب أبلغ الإسرائيليين ألا «يقلقوا في شأن السوريين وأن يتركوا امرهم للأميركيين. وسيرون أنه في خلال ٤٨ ساعة أو في مدة لا تجاوز الأسبوع سيوقعون وسيكون كل شيء على ما يرام»[١٧]. لكن الموافقة السورية لم تتحقق على الإطلاق. وهكذا، فإن إسرائيل، بوقف انسحابها من لبنان على انسحاب سوري مماثل، أعطت سوريا في الواقع سلطة الفيتو على الاتفاق اللبناني الإسرائيلي[١٨].

وبالاضافة الى مقترحات الإسرائيليين الأمنية المختلفة، فإن الشكل الذي اتخذته تلك المحادثات، حدّده واقع أن اللبنانيين لم يكونوا فعلا معنيين بها لأن هذه المفاوضات كانت ستؤدي الى مجافاة بينهم وبين العالم العربي. وفي حين ان الاسرائيليين كانوا يحاولون تطبيع العلاقات، كان لبنان يحاول تقليصها الى ادنى الحدود. وقد كانت التوقعات الإسرائيلية لا تزال تستند إلى فرضية ان لبنان سيكون الدولة الثانية التي توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. لكن كان مفهوما أن معاهدة السلام هذه لن تكون مماثلة لتلك التي وقّعت مع مصر. وكان روفن مرحاف، رئيس مجموعة الاتصال مع لبنان، قد وصف المفاوضات على النحو الآتي:

(١٦) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣. مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(١٧) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(١٨) مقابلة مع جوزف ابو خليل، بيروت ٤ تموز ١٩٩٥.



لقد فهمنا من أنطوان فتال ومن الأميركيين أنه في حال لم تبرم معاهدة سلام كاملة، يمكننا أن نحصل على نسخة محسنة عن اتفاق الهدنة تتضمن عناصر معاهدة سلام. وقد وافقنا على ذلك لأن أي ورقة موقعة مع بلد عربي سيعتبرها الرأي العام الإسرائيلي رصيداً سياسياً. وعلى الرغم من تبليغ الأسد وزير الخارجية شولتز أنه لا يدعم الاتفاق، فإننا وقعناه آملين أن تكافأ جهودنا لأننا أُفهمنا أن سوريا ستذعن لها[١٩].

كانت حصيلة الاختلاف في الأهداف والمواقف بين لبنان وإسرائيل أنها أدت الى إطالة أمد المفاوضات. وكان الضغط للانتهاء منها، وخصوصا من قبل الأميركيين، يزداد باطراد بسبب الهجمات اللبنانية على قوات المارينز في بيروت. ولتثمر المفاوضات، كان لا بُدّ أن يتدخّل، شخصيّاً، وزير الخارجية الأميركي جورج شولتز، الذي عمل على جعل الفريقين يقبلان باقتراح ما، إذ قال للبنانيين إن الولايات المتحدة ستدعمهم ضد السوريين، وقال لإسرائيل إنه سيتولى الاهتمام بالاعتراض السوري، مهدداً اسرائيل، في الوقت نفسه، بتدهور العلاقات الأميركية الإسرائيلية. لكن شولتز لم يكن محيطا بالأسباب التي تدفع الأسد إلى الخشية من السيطرة الإسرائيلية في لبنان ولم يكن يقدّر عمق استياء الأسد مما اعتبره السوريون «خيانة» من واشنطن في شأن وقف النار في ١١ حزيران/ يونيو ١٩٨٢[٢٠]. وصدّق شولتز تصريح وزير الخارجية السوري خدام حول استعداد سوريا للانسحاب من لبنان إذا انسحبت إسرائيل. وعلاوة على ذلك، فقد قيل إنّ شولتز لم يكن يستطيع التصور أن دولة فقيرة من العالم الثالث يقل عدد سكانها عن العشرة ملايين نسمة يمكن أن تتصدى له[٢١].

ولم يلبِّ الاتفاق الذي تم توقيعه متطلبات إسرائيل الأمنية ولا متطلبات لبنان السياسية. فقد أنهى الاتفاق الحرب وضمن احترام السيادة الإقليمية

(١٩) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٢٠) Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East* (London: I.B. Tauris, 1990), p.407.
(٢١) المصدر نفسه.

والاستقلال السياسي للبنان، دون إرساء السلام. وتناول الملحق السري فيه، في شكل أكثر تخصيصا، الترتيبات الأمنية. وجرى تعيين الحدود الجنوبية للمنطقة الأمنية حدوداً دولية بين إسرائيل ولبنان، والأولي حدودا جنوبية. وقسمت المنطقة الأمنية نفسها إلى قسمين: قسم لجيش لبنان الجنوبي التابع لحداد، وآخر لإسرائيل. وسمح لحداد بإنشاء لواء إقليمي بدلاً من حل جيشه كما كان اللبنانيون يطالبون، وسمح لإسرائيل كذلك، ضمنا، بالاحتفاظ بجيش رديف بلباس الجيش اللبناني. وفي اتفاق إضافي، أميركي إسرائيلي، خُوّلت إسرائيل حق الإغارة على لبنان إذا ما ثبت أن الترتيبات الأمنية بمقتضى اتفاق ١٧ أيار/مايو لا تفي بالغرض[٢٢]. وعلى الرغم من أن هذا لم يلب تماماً تطلعات إسرائيل، فإنها ابرمت الاتفاق بسبب العبء الاقتصادي للاحتلال، والأزمة الاقتصادية في إسرائيل، بالإضافة إلى الارتفاع في عدد الإصابات.

ولكن سوريا عمدت في الوقت نفسه، الى تهديد لبنان بتجدد الصراع الأهلي إذا ما أبرم الاتفاق[٢٣]. فقد رأت دمشق أن إسرائيل حصلت على ما تريد من حرب لبنان، أي على صفقة سياسية مع حكومة بيروت، وعلى منظمة تحرير موهنة، وعلى قطاع واسع من الأرض اللبنانية، على حدودها الشمالية، خاضع لسيطرتها المباشرة[٢٤]. وكانت هذه النتيجة هي التي دفعت سوريا إلى الضغط على لبنان للامتناع عن ابرام الاتفاق، وذلك للحيلولة دون نمو النفوذ الإسرائيلي. وفيما كانت حكومة لبنان تناقش إبرام الاتفاق، كانت إسرائيل تبحث عن سياسة متشددة حيال سوريا. وبدأ يتضح لإسرائيل اكثر فأكثر أن لبنان لن يتمكن من الإيفاء بالتزاماته. وفي الخامس من آذار/مارس، وعلى أثر محادثات جرت بين الأسد والجميل، قررت الحكومة اللبنانية إلغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو، تاركة إسرائيل من دون أي مكاسب سياسية.

(٢٢) جواد الباشطي، "حزام أمن من نوع جديد"، فلسطين الثورة كانون الثاني ١٩٨٥، ص٣٦-٣٧.
(٢٣) Yaniv, *Dilemmas of Security*, p.178.
(٢٤) المصدر نفسه.



## البعثة الإسرائيلية في ضبية ومكتب الكتائب في القدس

كانت إحدى نتائج اتفاق ١٧ أيار/مايو هي إنشاء البعثة الإسرائيلية في ضبية. لكن المكتب كان قد فتح منذ ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢، أي قبل بدء المفاوضات الفعلية. لقد كانت مهمة البعثة الأساسية هي تطبيق الاتفاق، لكن ما إن أصبح واضحاً أن سوريا تعارض العلاقات الإسرائيلية اللبنانية على المستوى الحكومي، حتى صارت وظيفة أعضاء البعثة ايجاد مجموعات لبنانية تقيم ارتباطاً معها[٢٥]. إلا أن هذه المهمة راحت تتحول أكثر فأكثر، الى مشكلة.

ووضعت البعثة الإسرائيلية في ضبية في حماية الجيش اللبناني بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من بيروت. لكن هذه الحماية كانت قد شكّلت حدود الاتصال الرسمي. فقد واصل أمين الجميل سياسة الوحدة العربية، محاولاً منع الاتصالات الحميمة بين مجموعات لبنانية والإسرائيليين. وهكذا أصبحت العلاقة مع شريك إسرائيل «في التدخل»، أي جناح بشير الجميل في الكتائب، علاقة مضطربة تدعمها وعود كثيرة وفعل قليل.

وكان تركيب البعثة نفسها تركيباً دبلوماسياً. فقد ضمت ملحقا ثقافيا وضابط ارتباط يرصد الاتصالات اليومية. ووصف رئيس البعثة روفن مرحاف هدف البعثة بأنه «فتح حوار مع عامة اللبنانيين»[٢٦]. لكن هذه الرؤية لعامة الناس كانت محدودة نوعاً ما. فالحوار الرئيسي كان مع الكتائب ومع الأميركيين، لأن البعثة لم تقم اتصالات مع الشيعة والدروز. اذ إن النظرة إلى الموارنة استمرت على أنهم الفئة الأهم في لبنان؛ فهم ما زالوا يحتفظون بالرئاسة، وبالتالي، فإن الكثيرين من صانعي القرار الإسرائيليين وجدوا صعوبة في فهم تقارير كانت ترسلها بعثتهم عن حديث المؤسسة السياسية المارونية حول تعاونها مع المسلمين[٢٧].

(٢٥) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) المصدر نفسه.

لقد كانت البعثة الإسرائيلية في بيروت، وإن وصفت بأنها تكاد تكون سفارة، كانت بعيدة عن ان تكون مؤشراً على تطبيع العلاقات الإسرائيلية اللبنانية[٢٨]. ويمكن فهم وضع الإسرائيليين المتزعزع، على افضل وجه، من خلال النظر إلى الحادث الذي وقع في آذار/مارس ١٩٨٤، عندما ضلّ ثلاثة من حراس الأمن الإسرائيليين طريقهم أثناء توجههم شمالاً واعتقلهم جنود سوريون، وقد جرت مبادلتهم، بعد مفاوضات مكثفة ومركزة، بمئة جندي سوري معتقلين في إسرائيل. كما شهد الشهر نفسه إلغاء البرلمان اللبناني لاتفاق ١٧ أيار/مايو.

وبدأ يتضح أن البعثة ليس عليها سوى ان تنسحب، وان المسألة ما هي إلا مسألة وقت. فقد راحت تزداد صعوبة تحرك الإسرائيليين داخل البلاد، وباتت الحماية التي يؤمنها الجيش اللبناني غير كافية. وبالفعل، فإن الإسرائيليين أصبحوا هدفا وصارت تطلق عليهم النار. وفي تموز/يوليو ١٩٨٤، قررت الحكومة الإسرائيلية إخلاء مكتب ضبية لأنها لم تكن تريد ابقاء بعثتها الدبلوماسية هناك بالإكراه. وكان هذا بمثابة برهان إضافي على فشل التدخل الإسرائيلي في استحصال نتائج سياسية ملموسة.

وفي السنة نفسها، جرت محاولة أخيرة للتمسك بالتحالف الماروني الإسرائيلي عندما قام حزب الكتائب، بمعزل عن اتفاق ١٧ أيار/مايو الذي لم ينص على إقامة بعثة لبنانية في إسرائيل، بافتتاح مكتب في القدس. وكانت هذه الخطوة ترمز، في ناحية من النواحي، إلى سياسة إسرائيل في لبنان، إذ إنها راحت تقارب هذا التحالف مرة أخرى من المستوى الحكومي فيما كان حليفها اللبناني مجرد فئة من طائفة. لكن الإسرائيليين تفادوا هذه المرة اساءة تفسيرهم لهذه الجماعة على أنها هي لبنان.

ولم يكن رئيس المكتب، بيار يزبك، في أي شكل، يمثل الحكومة اللبنانية، لكنه كان يدّعي تمثيل فئة كبيرة داخل هذه الحكومة[٢٩]. وكان القصد من هذا المكتب تعزيز الوجود الماروني، وتحسين صورة القوات

(٢٨) مقابلة مع ديفيد كيمحي، القدس ٧ تشرين الثاني ١٩٩٣.

(٢٩) مقابلة مع روفن مرحاف، القدس ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣.



اللبنانية/الكتائب لدى الرأي العام الإسرائيلي. فقد شعر الموارنة بتآكل مكانتهم لدى الرأي العام بعد صبرا وشاتيلا، وأرادوا تجديد الدعم الشعبي لتجد الحكومة الإسرائيلية سهولة أكبر في دعمهم ببيروت.

لذلك اعلنوا رفضهم لقرار إلغاء اتفاق أيار/مايو عندما افتتحوا مكتبهم في القدس في أيار/مايو ١٩٨٤. وفي حزيران/يونيو وصفوا سياسات أمين الجميل التوفيقية مع سوريا وسياسة المصالحة الوطنية بأنها مجرّد «هرطقة»[٣٠]. لكن الطائفة المارونية كانت أكثر انقساما من ذي قبل، فضلاً عن أن الفئة التي كانت تؤيد مكتب الاتصال أصبحت أقلية في طائفتها. ولهذا لم يكن مستغرباً ان يبقى المكتب مفتوحا مدة نصف سنة فقط قبل أن يقفل هو الآخر ايضاً، في الوقت الذي كانت تسير فيه العلاقات المارونية الإسرائيلية نحو نهايتها الخائبة.

## فتور العلاقات الإسرائيلية ــ المارونية

لقد قررت إسرائيل، في صيف ١٩٨٥، سحب قواتها من لبنان. ولم تكن تملك خطة سياسية في ما يخص العلاقات في وسط الفئات المسيحية والطوائف الأخرى في لبنان. فلقد اكتشفت أن حليفها الرئيسي يشكل أقلية أصغر من الشيعة، وأضعف عسكريا من الدروز. لكن عملية سلامة الجليل كانت لها نتائج مأسوية بالنسبة لمسيحيي لبنان ايضا. فقد خسروا موقعهم السياسي المميز، وبقيت سوريا الحَكَم الذي يقرر مستقبلهم، في حين ان التوازن بين مختلف الطوائف التي تشكل لبنان اختل في غير مصلحتهم. وفي نهاية الامر، خسر الموارنة تحالفهم مع إسرائيل، وبدلا من أن يحكموا لبنان بات عليهم الدفاع عن وجودهم بالذات[٣١]. أضف إلى ذلك، أن الموارنة ولبنان، خسروا صورتهم الطيبة في إسرائيل. فقد كان الجار الشمالي، حتى هذا الوقت، يحتل مكانة خاصة في الثقافة السياسية الإسرائيلية، كما كان المثال للرؤية العبرية الشاملة منذ مطلع العشرينات، التي طورتها الدوائر القريبة من اليمين

(٣٠) Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon*, p.297.

(٣١) Sofer, *Begin*, p.212.

الإصلاحي، وقد مثل، استراتيجيا، الطريق الأسهل لبلوغ الهلال الخصيب[٣٢]. لكن عوضاً من ذلك، وجدت الحكومة الإسرائيلية نفسها، في منتصف العام ١٩٨٥، في شبه صراع، مع أمين الجميل عندما اثنى القائد الماروني علناً على الهجمات الإرهابية التي استهدفت إسرائيل[٣٣].

وظلت الطائفة المارونية منقسمة: فمن جهة، الجبهة اللبنانية التي بقيت على ولائها لأفكار بشير والتي انتقلت الآن قيادتها إلى سمير جعجع وإيلي حبيقة، وهناك، من جهة ثانية، حزب الكتائب بقيادة أمين الجميل وكريم بقرادوني المناصرين لتوجه موالٍ لسوريا. وكان قد اتضح ان هناك حدودا للتحالف مع الموارنة، ولمبدأ التدخل الإسرائيلي بالطبع. ولكن مفهوم تحالف الأقليات لم يحذف من عملية صنع القرار الإسرائيلي. فبالنسبة إلى لبنان، أعيدت صياغته فتحوّل من التركيز على الموارنة إلى علاقات مع كل الطوائف[٣٤]. وفي غياب العلاقات بين الدولتين، انتقل المركز الجغرافي للصلات الجديدة إلى المنطقة الحدودية في جنوب لبنان. إلا أن المحاولات التي بذلت منذ العام ١٩٨٥ فصاعداً، لتطوير علاقة صالحة اكثر للعمل واكثر حميمية، ليس مع موارنة الجنوب فحسب، بل ايضا مع الشيعة، لم تحقق نجاحاً كبيراً. لكن هذه المتابعة من وجهة نظر صنع السياسة، كانت دليلا إلى واقعين: أن التفكير على اساس مبدأ المحيط كان لا يزال في لب صنع القرار الإسرائيلي، وأن التدخل لا يزال الاسلوب الإسرائيلي الغالب لتسيير سياستي إسرائيل الخارجية والدفاعية.

---

(٣٢) Yaacov Shavit, *From Hebrew to Canaanite* (Jerusalem: Domino, 1984), pp.52-3. See also Sharett, *Personal Diary*, Vol II, p.377.

(٣٣) Peleg, *Begin's Foreign Policy*, 1977-1983, p.171.

(٣٤) مقابلة مع أوري لوبراني، تل ابيب ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.



# ٩ المدركات: مفتاح لفهم التحالف

نشأ تحالف الاقليات الاسرائيلي - الماروني كفعل استجابة للمدركات الاولى التي كوّنها الصهاينة والموارنة بعضهم عن بعض، وعن موقعهما في الشرق الأوسط. وقد قامت تلك المدركات على مستويين: الاول وهو الصورة التي كوّنها الموارنة والاسرائيليون عن انفسهم، عن نقاط قوتهم وضعفهم، وعن دورهم كأقلية محاطة بالعرب. والثاني وهو كيفية إدراك الموارنة والاسرائيليين بعضهم لبعض. لكن هذين المستويين لم يكونا قائمين بذاتهما. اذ ان تصور الذات اثر في قرار الموارنة بالدخول في علاقة مع الصهاينة بقدر ما اثر في قرار الصهاينة بالدخول في تحالف مع الموارنة. وبتعبير آخر، فقد كانت كيفية إدراك الموارنة لأنفسهم أمراً مركزياً بالنسبة لقراراتهم، وكانت الصورة التي قدمها الموارنة عن أنفسهم لإسرائيل، استناداً الى إدراكهم لذاتهم، أمراً مركزياً لصنع القرار الاسرائيلي. وينطبق الأمر نفسه على إدراك اسرائيل لذاتها.

لذلك، من الأهمية بمكان ان نتفحّص مدركات الفريقين بعضهما لبعض، ولذاتيهما، لكي نفهم الاتجاهات التي قامت عليها العلاقة الإسرائيلية المارونية ككل، منذ العشرينات وحتى العام ١٩٨٥. أما المسائل المركزية التي ستناقش فهي كيف كانت إسرائيل تنظر إلى دورها وإلى قوتها بالنسبة إلى لبنان، وكيف كانت تنظر إلى لبنان، وأخيراً كيف كانت تنظر إلى الموارنة وإلى التحالف. وعلى نحو مماثل، كيف كان الموارنة يتصورون لبنان وموقع المسيحيين فيه، وكيف كانوا يفهمون إسرائيل والتحالف.

## كيف تنظر إسرائيل إلى نفسها

نظر صانعو القرار الإسرائيليون إلى إسرائيل، من جهة، على أنها دولة محاصرة تحيط بها دول عربية معادية، ومن جهة أخرى، على أنها قوة عسكرية منيعة في الشرق الأوسط. ولهذا لم يكن على إسرائيل أن تحافظ فقط على هويتها ومستقبلها كما توحي صورة «الأمة المعزولة»، بل تولت طوعاً، دور حماية أقليات شرق أوسطية أخرى. فالقوة التي تمتلكها إسرائيل، والتي تكاد تكون في مقام القوة العظمى الإقليمية، ستسمح لها بتأدية دور الحامي. ومع ذلك، فإن هذا التفوق العسكري أدى إلى الايمان بأنها قوة لا تُقهر.

إن هذه النظرة إلى الذات أدت دورا حيويا في صنع القرار الإسرائيلي. بيد أن كل صانع قرار ركز على نواح مختلفة من صورة إسرائيل كأساس لقراره الفردي. ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال تفحّص أبرز وجهتي نظر وأكثرهما تطرفاً في بعض النواحي. فقرار رئيس الوزراء بيغن الدخول في تحالف كامل مع الموارنة كان نتيجة تأثره بشدة برؤيته «الأخلاقية» لإسرائيل، فإسرائيل بالنسبة إليه كانت معزولة وهكذا كان الموارنة. ولأن إسرائيل كانت القوة الاكثر مناعة، وكان تاريخها تاريخا من الاضطهاد والإبادة، كان لزاما عليها منع تكرار مثل هذا التاريخ بالنسبة إلى الموارنة. وبالفعل سوف تبرهن إسرائيل تفوقها الخلقي بإنقاذ الموارنة في وقت كانت فيه الدول الغربية كلها تتعامى عما يحصل. وسوف تعمد إسرائيل بصفتها أمة «أخلاقية»، الى اعادة لبنان إلى وضعه المسيحي الحق. وهي تملك القوة لتحقيق ذلك.

أما قرار وزير الدفاع أرييل شارون الدخول في تحالف كامل مع الموارنة، فقد كان يستند إلى ناحية مختلفة من نواحي نظرة إسرائيل إلى ذاتها. كما ركز على قوة إسرائيل، وعلى أنها لا تقهر. فإسرائيل كانت مكتفية بذاتها وتملك القدرة على تغيير أي وضع لا يحلو لها بالقوة. وبصفتها الشريك الأقوى، فإنها ستنشئ لبناناً مسيحياً تستخدمه بعد ذلك مجازا لإعادة تكوين الشرق الأوسط بحسب رؤية شارون. وسيكون الجيش الإسرائيلي الاداة التي ستستخدمها لهذا التحول، مستندة إلى جنودها الأبطال وقوتها العسكرية الصرف.



ويقف المشاركون الآخرون في صناعة القرار في موقع بين هاتين النظرتين، وغالبا ما كانوا يجمعون بينهما. لكنهم كانوا جميعاً مقتنعين، أو أنهم أقنعوا أنفسهم، بإمكانية تنفيذ عملية ١٩٨٢، وبأن التحالف سيكون مضموناً بسبب القوة التي ترى اسرائيل انها تمتلكها.

## كيف تنظر إسرائيل إلى لبنان

لقد أدت فكرة إسرائيل عن لبنان، ولستة عقود خلت، دوراً مركزياً في صنع القرارات المتعلقة بالجار الشمالي. ومنذ العشرينات فصاعداً لم ينظر إلى لبنان قط على أنه بلد عدو أو معادٍ. بل إن الشعور الأساسي حيال لبنان كان بأنه بلد صديق لإسرائيل صداقة تقل وتزداد سريتها بين الحين والآخر. ففي زمن اليشوف، تعاطى الكثيرون من اللبنانيين علنا مع إسرائيل. وكانت تُعقد الاتفاقات في وقت كان الكثيرون من اللبنانيين يؤيدون إقامة دولة يهودية. وكانت هذه التجربة مع الدعم اللبناني، الذي كان دعماً مارونياً في غالبيته، قد أضفت صدقية على صورة «لبنان الصديق»، التي سادت حتى الثمانينات.

وكان يُنظر إلى لبنان على انه دولة مشابهة كثيراً لإسرائيل. فكانت النظرة الأكثر رومانسية في دائرة اليشوف السياسية، أن لبنان دولة متوسطية تشكل، مثل اليشوف وإسرائيل فيما بعد، رابطاً بين الشرق والغرب. فقد كان يجمع الأفضل من العالمين: الثقافة والفكر الغربيين، واللغة الفرنسية، والمسيحية، والإرث الفينيقي والمطبخ الشرق أوسطي.

وقد استمرت النظرة إلى لبنان، على أنه دولة غير عربية وغير مسلمة ذات إرث فينيقي قديم، حتى ما بعد نشوء إسرائيل، أو في الواقع، حين أصبحت أوجه الشبه بين الدولتين أقوى. فلبنان، مثله مثل إسرائيل، كان محاطاً بعالم عربي مسلم معادٍ. ولديه، مثل إسرائيل، جالية كبيرة في الغرب يمكن الاعتماد عليها من أجل الحصول على الدعم المعنوي.

إلا أن لبنان كان يعتبر أضعف من إسرائيل. فقد كان بن غوريون يعتبر لبنان دائماً، «الحلقة الأضعف في السلسلة العربية» المحيطة بإسرائيل. وبصفته كذلك، فإنه كان مركزاً لعدة محاولات إسرائيلية للعثور على حلفاء. لكن

أصبح هناك تسليم أيضاً، بوجود حدود لصداقة لبنان مع اسرائيل، ينعكس في الادراك الشائع بأن على لبنان ان يكون الدولة الثانية التي توقع سلاماً مع اسرائيل. فلبنان كان على درجة من الضعف لا يستطيع معها ان يكون اول الموقعين على الرغم من أنه يريد السلام فعلاً. ولكن حالما تُقدم دولة أخرى ـ عربية حقيقية ـ على اتخاذ الخطوة الاولى، يستطيع لبنان ان يحذو حذوها. وكان يُعتقد، لسنوات عديدة، ان الاردن سيكون هذه الدولة، الا ان اتفاقات كامب ديفيد بدّلت الموقف بالنسبة الى الاردن لا بالنسبة الى لبنان. ولهذا شرع بيغن على الفور، بخطط السلام مع لبنان بعد عقد اتفاق السلام مع مصر.

واعتبر معظم صانعي القرار الإسرائيليين لبنان بلداً مسيحياً في غالبيته وليس عربياً. إذ إن الطائفة الإسلامية في لبنان كانت تعتبر هامشية مغلوبة على أمرها ومتخلفة سياسياً، مثلها مثل نظيرتها في إسرائيل؛ وكان هذا واقع الحال إلى درجة أن القوى الوحيدة التي تشكل خطرا في لبنان كانت من الغرباء: منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا. وبالتالي، فإن إخراج هاتين القوتين من لبنان كان يعني إزالة العامل الإسلامي «الفعال» ليعود لبنان تلقائياً بلداً مسيحياً خالصاً.

وظهر تقصيرهم في عدم اعتبارهم للمسلمين إبان اجتياح ١٩٨٢، عندما لم تكن هناك سياسة خاصة حيال السكان الشيعة في الجنوب. وهكذا، فقد تجاهلت إسرائيل العامل الإسلامي إلى أن وجدت نفسها متورطة في معارك لم تخطط لها ضد بيروت الغربية المسلمة وضد سكان يزداد عداؤهم لها في جنوب لبنان.

وكانت فكرة إعادة لبنان إلى موقعه الصحيح كبلد مسيحي متحالف مع اسرائيل، قد تمخضت عن عكس النتائج المرجوة. وقد فشلت «عملية سلامة الجليل» لأسباب، منها انها استندت إلى صورة عن لبنان ثبت أنها غير صحيحة، وانها كانت في وجه من وجوهها، انعكاسا لصورة إسرائيل، أو اسقاطاً لهذه الصورة، على لبنان.



## كيف تنظر إسرائيل إلى الموارنة والتحالف

لم يكن ينظر إلى الموارنة على أنهم الفئة المهيمنة ضمن الطائفة المسيحية اللبنانية، فحسب، بل أيضا بصفتهم أكثرية سكان لبنان. كانوا يعتبرون أناساً متماسكين ومتجانسين تمثلهم الكنيسة المارونية والكتائب، فالقوات اللبنانية فيما بعد، بزعامة بشير الجميل.

وكانت هناك أوجه شبه كثيرة بين القومية المارونية والقومية اليهودية. فالقومية هذه كانت تستند إلى صون هويتها الإثنية والدينية في منطقة ذات هوية مغايرة. وقد أصبح ذلك، بمعنى ما، أساسا للتحالف بين الطائفتين. ففي الثلاثينات والأربعينات، نشطت الكنيسة المارونية، كما نشط الصهاينة، في السعي لإيجاد حلفاء يواجهون عداء مماثلا من الغالبية المسلمة.

ونظر الصهاينة، ومن بعدهم الإسرائيليون، إلى الطائفة المارونية على انها مشابهة جداً لليشوف. لقد نظروا إلى الموارنة على أنهم جماعة في محيط شرق أوسطي، غربية في جوهرها، وعلى أنهم ورثة الحضارة الأصلية القديمة للمنطقة، وأقلية قومية واثنية تطمح إلى انشاء دولتها الخاصة. أما الفكرة التي تقول برغبة الموارنة في دولة مثلهم مثل اليهود، فقد عبر عنها المطران مبارك في العريضة التي رفعها إلى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧. ووجدت هذه الفكرة تعبيرا إضافيا في بيانات كتائبية انفصالية، وفي أهداف القوات اللبنانية. لهذا لم يكن مستغرباً أن تكون النظرة الاسرائيلية العامة الى الموارنة بزعامة بشير الجميل، النظرة نفسها الى جماعة ما زالت تسعى الى إنشاء دولة خاصة بها، تكون بمثابة صهيون مارونية صغيرة.

وكانت هناك نظرة لا تقل أهمية عما سبقها، مفادها أن الموارنة لا يعتبرون عربا، وهو مفهوم دعم قرار إسرائيل بإقامة علاقات أوثق مع الموارنة في أواخر السبعينات. وبحسب هذا التعليل العقلي، تكون إسرائيل قد عقدت تحالفا مع مجموعة قومية مجاورة، غير عربية وغير مسلمة، ذات تاريخ مشابه وتجربة مماثلة مع حال التشتت في أنحاء العالم. فضلاً عن أن وجهة النظر الاسرائيلية السائدة كانت ترى أن الموارنة يريدون تحالفا مع إسرائيل لأن في استطاعتها أن تساعدهم على تحقيق التطلعات القومية المارونية. لهذا كان ينظر

أصبح هناك تسليم أيضاً، بوجود حدود لصداقة لبنان مع اسرائيل، ينعكس في الادراك الشائع بأن على لبنان ان يكون الدولة الثانية التي توقع سلاماً مع اسرائيل. فلبنان كان على درجة من الضعف لا يستطيع معها ان يكون اول الموقعين على الرغم من أنه يريد السلام فعلاً. ولكن حالما تُقدم دولة أخرى ـ عربية حقيقية ـ على اتخاذ الخطوة الاولى، يستطيع لبنان ان يحذو حذوها. وكان يُعتقد، لسنوات عديدة، ان الاردن سيكون هذه الدولة، الا ان اتفاقات كامب ديفيد بدّلت الموقف بالنسبة الى الاردن لا بالنسبة الى لبنان. ولهذا شرع بيغن على الفور، بخطط السلام مع لبنان بعد عقد اتفاق السلام مع مصر.

واعتبر معظم صانعي القرار الإسرائيليين لبنان بلداً مسيحياً في غالبيته وليس عربياً. إذ إن الطائفة الإسلامية في لبنان كانت تعتبر هامشية مغلوبة على أمرها ومتخلفة سياسياً، مثلها مثل نظيرتها في إسرائيل؛ وكان هذا واقع الحال إلى درجة أن القوى الوحيدة التي تشكل خطرا في لبنان كانت من الغرباء: منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا. وبالتالي، فإن إخراج هاتين القوتين من لبنان كان يعني إزالة العامل الإسلامي «الفعال» ليعود لبنان تلقائياً بلداً مسيحياً خالصاً.

وظهر تقصيرهم في عدم اعتبارهم للمسلمين إبان اجتياح ١٩٨٢، عندما لم تكن هناك سياسة خاصة حيال السكان الشيعة في الجنوب. وهكذا، فقد تجاهلت إسرائيل العامل الإسلامي إلى أن وجدت نفسها متورطة في معارك لم تخطط لها ضد بيروت الغربية المسلمة وضد سكان يزداد عداؤهم لها في جنوب لبنان.

وكانت فكرة إعادة لبنان إلى موقعه الصحيح كبلد مسيحي متحالف مع اسرائيل، قد تمخضت عن عكس النتائج المرجوة. وقد فشلت «عملية سلامة الجليل» لأسباب، منها انها استندت إلى صورة عن لبنان ثبت أنها غير صحيحة، وانها كانت في وجه من وجوهها، انعكاسا لصورة إسرائيل، أو اسقاطاً لهذه الصورة، على لبنان.



## كيف تنظر إسرائيل إلى الموارنة والتحالف

لم يكن ينظر إلى الموارنة على أنهم الفئة المهيمنة ضمن الطائفة المسيحية اللبنانية، فحسب، بل أيضا بصفتهم أكثرية سكان لبنان. كانوا يعتبرون أناساً متماسكين ومتجانسين تمثلهم الكنيسة المارونية والكتائب، فالقوات اللبنانية فيما بعد، بزعامة بشير الجميل.

وكانت هناك أوجه شبه كثيرة بين القومية المارونية والقومية اليهودية. فالقومية هذه كانت تستند إلى صون هويتها الإثنية والدينية في منطقة ذات هوية مغايرة. وقد أصبح ذلك، بمعنى ما، أساسا للتحالف بين الطائفتين. ففي الثلاثينات والأربعينات، نشطت الكنيسة المارونية، كما نشط الصهاينة، في السعي لإيجاد حلفاء يواجهون عداء مماثلا من الغالبية المسلمة.

ونظر الصهاينة، ومن بعدهم الإسرائيليون، إلى الطائفة المارونية على انها مشابهة جداً لليشوف. لقد نظروا إلى الموارنة على أنهم جماعة في محيط شرق أوسطي، غربية في جوهرها، وعلى أنهم ورثة الحضارة الأصلية القديمة للمنطقة، وأقلية قومية واثنية تطمح إلى انشاء دولتها الخاصة. أما الفكرة التي تقول برغبة الموارنة في دولة مثلهم مثل اليهود، فقد عبر عنها المطران مبارك في العريضة التي رفعها إلى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧. ووجدت هذه الفكرة تعبيرا إضافيا في بيانات كتائبية انفصالية، وفي أهداف القوات اللبنانية. لهذا لم يكن مستغرباً أن تكون النظرة الاسرائيلية العامة الى الموارنة بزعامة بشير الجميل، النظرة نفسها الى جماعة ما زالت تسعى الى إنشاء دولة خاصة بها، تكون بمثابة صهيون مارونية صغيرة.

وكانت هناك نظرة لا تقل أهمية عما سبقها، مفادها أن الموارنة لا يعتبرون عربا، وهو مفهوم دعم قرار إسرائيل بإقامة علاقات أوثق مع الموارنة في أواخر السبعينات. وبحسب هذا التعليل العقلي، تكون إسرائيل قد عقدت تحالفا مع مجموعة قومية مجاورة، غير عربية وغير مسلمة، ذات تاريخ مشابه وتجربة مماثلة مع حال التشتت في أنحاء العالم. فضلاً عن أن وجهة النظر الاسرائيلية السائدة كانت ترى أن الموارنة يريدون تحالفا مع إسرائيل لأن في استطاعتها أن تساعدهم على تحقيق التطلعات القومية المارونية. لهذا كان ينظر

إلى الموارنة على أنهم مستعدون للقيام بدور فعال لمساعدة إسرائيل في تحقيق هذه التطلعات. وعلى أساس هذا المفهوم ووعود بشير الجميل، توقع الاسرائيليون التعاون الماروني خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢.

ويتضح عندما نجمل القول في إدراك إسرائيل لنفسها، وللموارنة، وللبنان، وللتحالف، أن صانعي القرار الإسرائيليين اعتقدوا، في العام ١٩٨٢، أنهم يتعاطون مع لبنان مسيحي يمثله الموارنة بزعامة بشير الجميل، وان هذا اللبنان الماروني تحالف مع إسرائيل لتحقيق استقلاله عن العالم العربي. فاسرائيل، بصفتها قوة عظمى إقليمية، سوف تساعد هذا الطموح من خلال اجتياح لبنان وإزالة القوى المعادية للموارنة والقوى المعادية لإسرائيل. وسوف يعالج الموارنة بيروت لأن مصلحتهم تقتضي مساعدة إسرائيل.

وعندما نتفحص «عملية سلامة الجليل» نجد هذه المدركات شديدة الوضوح. لكن، عندما ينظر المرء في فشل العملية يجد أن هذه المدركات كانت خاطئة جداً أيضاً. ويبقى السؤال الى أي حد كان الإدراك الإسرائيلي للموارنة مرتكزاً على إدراك الموارنة لأنفسهم، وليس على التضليل الماروني لاستدراج إسرائيل إلى داخل لبنان.

## كيف ينظر الموارنة إلى أنفسهم وإلى لبنان

استمد الموارنة ادراكهم لأنفسهم وللبنان مباشرة من تجربتهم التاريخية. لهذا يجب العودة إلى التاريخ الماروني لدى مناقشة مواضيع مثل الاضطهاد والتهديد والملجأ. لقد دأب الموارنة في القرن العشرين، وبصورة متزايدة، على تصوير انفسهم بأنهم شعب يناضل من أجل وجوده كأمة حرة، وأن هذا النضال هو ضد النفوذ الاسلامي «الامبريالي» على المجموعات غير المسلمة[١]. فقد كان ينظر إلى الإسلام على أنه يقولب ذهن المرء بطريقة مشابهة للماركسية[٢].

(١) *Letter from Lebanon*, issue 1, July 1984.

(٢) *Letter from Lebanon*, issue 2, 15 July 1984.



لم تكن الهوية المارونية هوية عربية أو مسلمة، بل كانت العروبة والإسلام، من وجهة نظر الموارنة، سيان[٣]، وكانت العروبة مرادفة للتطهير العرقي[٤]. لقد كانوا ينظرون إلى انفسهم على أنهم ورثة الفينيقيين سكان المدن الساحلية الذين قدموا إلى لبنان منذ أكثر من ستة آلاف سنة. وقد اندمجوا في الثقافة اليونانية ـ الرومانية قبل مجيء المسيحية التي اعتنقوها في النصف الثاني من القرن الأول ليصبحوا بذلك إحدى الأمم المسيحية الأولى. ويحمل الموارنة اليوم مزيجاً من ارث الفينيقيين الأصليين، سكان الجبال الذين حولهم الموارنة إلى المسيحية، ومن ارث الموارنة السوريين الذين هربوا إلى لبنان[٥]. وقد أصبح لديهم، منذ القرن السابع، هوية مميزة ترتكز على الإثنية الآرامية، والثقافة اليونانية ـ الرومانية، والعمومية المسيحية[٦].

وكان تاريخ موارنة لبنان يُعرض كتاريخ التفوق الثقافي المسيحي الذي يشكل مرتبة حضارية أرفع من مرتبة العرب. فالمسلمون أناس ينبغي تفاديهم، مهما كلّف الأمر، ولاسيما الموجودون منهم خارج لبنان. وفي الواقع، فإن إدراك الموارنة لأنفسهم وللعالم الإسلامي اتخذ طابع القطبين «نحن» و«هم»، النقيضين الابيض والأسود. فالمسيحيون كانوا أناساً متحضرين ومتسامحين، أما المسلمون فلا[٧].

ان خلق هذا السياق التعبوي كان واضحا منذ العشرينات، ونتبينه عندما نتفحص التصريحات التي كان يدلي بها أعضاء الإكليروس المسيحي في الفترة نفسها. فأسقف بيروت، وكذلك البطريرك الماروني، على سبيل المثال، اعربا مراراً، عن القلق من أن الطائفة المارونية محاصرة إسلاميا. ويعود هذا الخوف من الإسلام تاريخيا إلى ٦٧٦ ـ ٦٧٧ عندما شكل مسيحيو لبنان، والموارنة

(٣) المصدر نفسه.

(٤) Walid Phares, *Lebanese Christian Nationalism: The Rise and Fall of an Ethnic Resistance* (Boulder: Lynne Rienner, 1994), p.31.

(٥) *Letter from Lebanon*, Issue 6, 15 September 1984.

(٦) Phares, *Lebanese Christian Nationalism*, p.39.

(٧) *Letter from Lebanon*, issue 13, 1 January 1985.

منهم في الأغلب، دولة المردة في الجبال اللبنانية تمرّداً منهم على الإسلام والعرب[8]. ويُنظر إلى تاريخ المردة على أنه ساهم في تكوين هوية قومية منفصلة، وعلى أنه أحد الأسس التي ستبزغ منها الحركة القومية المسيحية اللبنانية لاحقاً.

وشكلت الـ ٦٠٠ سنة من الاحتلال العربي والعثماني حجر الزاوية الآخر للقومية المارونية. فقد كان هذا الاحتلال بمثابة قوة شرعت القومية الإثنية. ففي ذلك الوقت، تولّد لدى الشعوب غير العربية وغير المسلمة توق للاستقلال الذاتي، ما شكّل سابقة للسعي الى تحالفات مع الأقليات[9]. وكثيراً ما جرى تصوير حرب الـ ١٨٦٠، التي جرت بين الموارنة والدروز، على أنها حرب حول مسألة الهوية. إذ إن لبنان كان يُعتبر في النظرة المسيحية الشاملة، والنظرة المارونية بخاصة، وطن الشعب المسيحي.

وجرى تفسير حرب لبنان الأهلية الثانية، في عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، على أساس هذه الخطوط بالذات. فقد كانت اشتعالاً لحرب بدأت عملياً، قبل ١٣ قرنا، بين شعب لبنان المسيحي وكل الذين جاهدوا لحرمانه من طموحاته التاريخية المشروعة[10].

ولم تكن القومية العربية خيارا لكثيرين من الموارنة، ولا سيما أولئك الذين ادّعوا أنهم يمثلون الطائفة. وقد اعتُبرت القومية العربية عقيدة اكتسبت الطابع الاسلامي، على الرغم من المحاولات المسيحية الاولى لعلمنتها. ولم يكن هناك مكان للمسيحيين كقوميين عرب، ولا مكان للمسيحيين في أمة عربية[11]. والتوسيع المنطقي لهذا القول هو أن المسيحيين كانت لهم، وستكون لهم دائما، هوية قومية مستقلة ـ تماما مثل اليهود.

لقد كانت مقاومة المسيحيين اعتماد العربية لغة محكية توكيداً لهذه الهوية.

(٨) Phares, *Lebanese Christian Nationalism*, p.49.

(٩) المصدر نفسه، ص٥١.

(١٠) *Letter from Lebanon*, issue 12, 15 December 1984.

(١١) Phares, *Lebanese Christian Nationalism*, p.19.



ففي الأصل كانوا يتكلمون السريانية ثم عمدوا، وبصورة متزايدة، الى اختيار استخدام لغات «مسيحية»، مثل اللاتينية والإيطالية، والفرنسية بخاصة[12]. وقد استخدمت اللغة استخداماً فعالاً للحفاظ على القيم الثقافية، وعلى إرث لبنان المسيحي[13]. وكان ينظر إلى تعريب التعليم على أنه تهديد لحرية المسيحيين الثقافية[14]. فضلاً عن أن الكنيسة المارونية قامت أيضا بدور كبير للحفاظ على طابع لبنان المسيحي. وبالفعل، فإن جامعة الكسليك التابعة للرهبنة المارونية ادعت أن لبنان كان أمة موحدة لها عناصرها الأساسية ومصيرها الخاص، وهو بالتأكيد ليس عربياً ولا سورياً ولا متعدد الإثنيات[15]. وقد ذهبت الجامعة إلى حد الزعم أن المسلمين اللبنانيين أيضاً ليسوا عرباً.

وأدرج الموارنة اللبنانيون هدفهم القومي الإثني ضمن القومية المسيحية اللبنانية الأوسع. وكانت الحرب العالمية الأولى وانهيار الامبراطورية العثمانية قد هيأا الفرصة للحركات القومية الشرق أوسطية لتحقيق أهدافها التاريخية. وقد أيد معظم الموارنة، في ذلك الوقت، فكرة لبنان الكبير لأنه يوفر لهم مزيدا من الأسواق الاقتصادية. لكن، بقيت هناك أقلية كانت تفضل وجود لبنان صغير مسيحي خالص. وكانت النخبة السياسية السائدة موحدة في الدعوة إلى نظام متعدد الطوائف يحكمه نظام يسيطر عليه المسيحيون في الأساس[16]. وانتشرت القومية المارونية على أساس خطوط مماثلة، لأن معظم الموارنة كانوا لا يزالون يعتبرون أنهم هم ولبنان، وإرثهم وثقافتهم ودينهم،

(١٢) Sami Phares, *'Point de vue d'un Francophile Libanais'*, La Culture Française (Fall 1972), p.16.

(١٣) Salim Abou, *Le Bilinguisme Arabe Français au Liban* (Paris: Edition Laffout, 1962), p162.

(١٤) Kamal Salibi, 'Lebanon under Fuad Shehab', *Middle Eastern Studies*, vol. 2 (1966), pp.211-26.

(١٥) جورج هارون، «يوسف السودا: من اعلام القومية اللبنانية»، الكسليك: جامعة الكسليك ١٩٧٩.

(١٦) David McDowall, *Lebanon: A Conflict of Minorities* (London: Minority Rights Group, 1982), Report No. 61, pp. 10-11.

مهددون جميعاً من الاسلام ومن قدوم القومية العربية. وقد أصبح الكتائب أبرز دعاة ذلك النوع من القومية المارونية التي سميت اللبننة، والتي كانت تنشد حماية لبنان المسيحي ونهج الحياة الرأسمالي[١٧]. وكانت هذه القومية المارونية، في شكلها المتطرف، تعتبر ميثاق ١٩٤٨ تحولا من لبنان الماروني الموالي للغرب إلى جرم يدور في فلك الكتلة العربية[١٨]. وبرزت هذه النظرة من جديد في الثمانينات مع بشير الجميل الذي اعتبر عبارة «الميثاق الوطني» عبارة قذرة.

وفي هذا الإطار اعتبرت انتخابات ١٩٤٣ نكسة لأولئك القوميين الذين كانوا ينشدون دولة مستقلة. إلا أن مناصري الانفصال الإثني القومي المسيحي، من أمثال الأسقف مبارك، كانوا لا يزالون يتمتعون بدعم شعبي واسع. وبدا أن مبارك يعبر عن آمال الموارنة وعن نظرتهم إلى ذاتهم على أنهم غير عرب، وغير مسلمين، يرفضون الميثاق الوطني ويتطلعون إلى إقامة دولتهم.

وكانت رئاسة الجمهورية هي الضمانة الوحيدة التي بقيت للمسيحيين بعد الميثاق الوطني. وكان مفهومهم القائل، إن لبنان لا يزال مسيحيا ما دام رئيسه مسيحيا، ينعكس في الكثير من خطابات بيار الجميل[١٩]. أما المصدر الآخر لحماية طابع لبنان المسيحي فكان الجيش اللبناني والمكتب الثاني. وبفعل مقاومة المسيحيين للعروبة في الستينات، انتقلت معاداة المكتب الثاني للفلسطينيين والسوريين إلى الميليشيات المسيحية. ففي العام ١٩٦٩، دعت الجبهة القومية اللبنانية، علناً، بقيادة سامي فارس، إلى تطبيق حق المسيحيين اللبنانيين في تقرير المصير. وفي العام ١٩٧٨، ادعى المتحدث باسم القوات اللبنانية نعوم فرح أنه، للمرة الأولى منذ القرن الرابع عشر، تمتلك المقاومة المسيحية جيشها النظامي الموحد للمحافظة على الحقوق الأساسية للشعب المسيحي[٢٠]. وفي

(١٧) تاريخ حزب الكتائب، بيروت – دار العمل، ١٩٨٢.
(١٨) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣ - بيروت، النهار ١٩٧٨.
(١٩) Phares, *Lebanese Christian Nationalism*, p.136.
(٢٠) L'Orient Le Jour, 9 July 1980.



وقت لاحق، في الثمانينات، تعززت القومية الاثنية المسيحية، المتمسكة بصورة لبنان المسيحي والسيطرة المارونية، واكتسبت العصمة، بإقدام الرهبانية المارونية والرابطة المارونية وحراس الأرز والكتائب والأحرار، على تشكيل القوات اللبنانية.

وتجلّت المظاهر العملية لـ «توحيد» القوى القومية المسيحية تحت اللواء الماروني في انشاء دولة مصغرة لها جيشها ومحطاتها التلفزيونية والإذاعية، وخط بحري منتظم من جونية الى قبرص، وإدارة مدنية[٢١].

والامر الذي يتضح من كل هذه الاعمال هو أن الموارنة نظروا إلى أنفسهم على أنهم مسيحيون، لبنانيون غير عرب من سلالة فينيقية متفوقة، وذوو توجه غربي. بالإضافة إلى أنهم شعروا بأنهم مضطهدون ومهددون بصفتهم اقلية في الشرق الأوسط، ورأوا في لبنان الملجأ الوحيد لمسيحيي الشرق للهروب من محاولات الإسلام إخضاعهم وتشتيتهم[٢٢]. ولهذا لم يكونوا راغبين في أي اندماج مع الدول العربية. وقد سعوا وراء فكرة خالصة عن كيان الامة اللبنانية تجد انعكاسها في بيانات لحراس الأرز مثل:

تحمل الأمة اللبنانية إرث الحضارة الفينيقية. فلبنان، بجغرافيته، وثقافته، وجوهره يشكل هوية بحد ذاته، ويستحيل دمجه أو هضمه، أو تقسيمه. ولا يمكن تعريف الأمة اللبنانية بالصفة العربية، أو السورية، أو بأي صفة أخرى[٢٣].

## كيف ينظر الموارنة إلى اسرائيل والتحالف

يجب تتبع إدراك الموارنة لإسرائيل وللتحالف بالعودة إلى اليشوف. في العشرينات، كانت الطائفة المارونية في لبنان والطائفة اليهودية في فلسطين تتفاعلان بعضهما مع بعض على مستوى مماثل. وكانت كل منهما تنشد صداقة الأخرى في محيط يسيطر عليه الإسلام. لكن العلاقة بينهما تغيرت مع نشوء

(٢١) Phares, Lebanese Christian Nationalism, p.154.
(٢٢) النهار ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤.
(٢٣) منشورات حراس الأرز، بيروت: حراس الأرز، ١٩٧٧.

دولة إسرائيل، وهذا تغيير ذو مغزى لفكرة الموارنة عن إسرائيل ولما يبغونه من التحالف مع الدولة اليهودية.

لقد كانت العلاقة المبكرة ترتكز على تجربة مشتركة ومصلحة مشتركة في شرق أوسط مسلم. إذ إن الطائفتين كانتا تنشدان موطنا يستند إلى هوية إثنية دينية مميزة. وقد أحرز اليشوف هذا الهدف عندما انشئت إسرائيل بينما واجه الموارنة الاندماج في شرق أوسط عربي مسلم. أما وضع إسرائيل «المحاصر» في المنطقة والدعم الأميركي لها فقد اتاحا لها ان تصبح قوة إقليمية عظمى. وهذه القوة بالذات هي التي خلقت لدى بعض الموارنة مفهوما مؤداه أن تحالفا مع إسرائيل القوية والمقتدرة سيؤدي في النهاية إلى اعطاء الموارنة الموطن الذي حُرموا منه[٢٤]. ووحده التدخل الإسرائيلي في لبنان سيسمح للشعب المسيحي بتحقيق أحلامه بإنشاء دولة منفصلة[٢٥]. وكان موارنة آخرون يعتقدون، دون الذهاب إلى هذا الحد، أن تحالفا مع إسرائيل سيعيد الهيمنة المارونية على لبنان، بالإضافة إلى إخراج الفلسطينيين والسوريين منه. وقد انعكست هذه المدركات في الكثير من تصريحات مسؤولي القوات اللبنانية وفي النشرات الاخبارية الدورية لحزب الكتائب.

واعتُبر التدخل الاسرائيلي في العام ١٩٨٢ حدثاً من شأنه أن يعيد الموارنة إلى الموقع الذي هو من حقهم. وكان الأمر معلماً مهماً للزعماء المسيحيين[٢٦]. فقد ظنت قيادة الكتائب أن «عملية سلامة الجليل» ستمكنهم من زيادة سيطرتهم على جماعاتهم، من جهة، ومن إعادة نفوذهم على البلد كله من جهة أخرى[٢٧].

وكان الادعاء الماروني السائد هو أن وجود المسيحيين يعتمد على وجود القوات اللبنانية، مما يعني ضمناً، انه يعتمد على إسرائيل[٢٨]. وهذا الاعتماد

(٢٤) Phares, *Lebanese Christian Nationalism*, p.155.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) محاضر جلسات مجلس القيادة - بيروت: القوات اللبنانية، ١٩٨٦-١٩٨٧.

(٢٨) *Letter from Lebanon*, issue 2, 15 July 1984.



على إسرائيل للحماية ينعكس في القلق الذي ابداه قائد القوات اللبنانية، فادي افرام، من أن انشغال إسرائيل بانتخابات ١٩٨٤ سيعطي سوريا حرية تحرك كاملة في لبنان، ما سيؤدي بالتالي «إلى متابعة الإرهاب»[٢٩]. أضف إلى ذلك، أنه كان يُنظر إلى التحالف مع إسرائيل على أنه حيوي للتوازن الاستراتيجي حيال سوريا، والاتحاد السوفياتي، وإيران[٣٠]. وقال افرام انه لهذا السبب سعى الموارنة الى إقامة علاقة ودية مع إسرائيل والغرب[٣١].

كان رهان الموارنة في الثمانينات على إقامة علاقات مكشوفة مع إسرائيل رهانا على المستقبل؛ رهاناً سيؤدي نجاحه أو فشله، الى التحديد الجذري لمواقف تتخذها أقليات مشابهة أخرى من مسألة القبول بوجود إسرائيل، لئلا نقول الاعتراف بضرورة وجود إسرائيل كعامل حيوي لبقائها وحريتها.

وكان نجاح هذا الرهان مصلحة اسرائيلية أيضاً، لأن اسرائيل يجب ألا تتصور أن المحافظة الدائمة على حصانتها في هذا الجزء من العالم بواسطة وسائل الردع والدفاع عن النفس وحدها ـ وان كانت تستطيع ذلك ـ بل بواسطة إقامة روابط وتحالفات متينة في الشرق الأوسط مع أولئك الذين يتطلعون طبيعيا الى مثل هذا التحالف.

فالمصلحة للمستقبل البعيد تكمن في اقامة تحالف مع إسرائيل وحولها، وإنشاء محور قوي، يعيد تجميع هذه الأقليات ويزودها بدرجة كافية من الحصانة والاستقرار بما يسمح لها بتنظيم نفسها بطريقة قابلة للحياة في هذه المنطقة العربية المسلمة[٣٢].

في الرابع والعشرين من آب/أغسطس ١٩٨٢، قال بشير الجميل ان الموارنة، وكل اللبنانيين في الحقيقة، يتطلعون إلى حقبة جديدة تُعامل فيها الدول الاخرى في المنطقة معاملة الاصدقاء والجيران ـ ولكن على الاساس المتين للسيادة المتساوية[٣٣]. وعلى أساس هذا الخط في التفكير، أعلن قائد

(٢٩) *Letter from Lebanon*, issue 3, 1 August 1984.

(٣٠) *Letter from Lebanon*, issue 5, 1 September 1984.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) *Letter from Lebanon*, 1 October 1984.

(٣٣) *Letter from Lebanon*, issue 6, 15 September 1984.

القوات اللبنانية، فادي افرام في العام ١٩٨٤، أن موقف الموارنة المبدئي يقوم على أساس إيمانهم بأن لبنان يجب أن يقيم علاقات مع كل من إسرائيل وسوريا. وأن إسرائيل تحبذ علاقات كهذه[٣٤]. وكان اتفاق ١٧ أيار/مايو بين لبنان وإسرائيل اتفاقاً موقعاً بين بلدين على أساس الاحترام المتبادل لسيادة كل منهما.

وقد اعتُبر إلغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو «صدمة سلبية» شديدة[٣٥]. وأعلنت الكتائب في الواقع، أنها عاجزة عن فهم سبب انفراد السلطات اللبنانية بالموافقة على حوار مع سوريا، في وقت رفضت فيه إجراء اتصال مشابه مع إسرائيل[٣٦]. وقد ندد المتحدث باسم القوات اللبنانية، نعوم فرح، بقرار إقفال المكتب الإسرائيلي في ضبية.

وتولى الموارنة في التحالف، اداء دور المستشار «لإسرائيل في الشؤون العربية واللبنانية. وكانت الرسائل الإخبارية الدورية التي ينشرها مكتب الكتائب في القدس تشدد على الأهمية القصوى لاطلاع القارئ على الواقع اللبناني وخصوصا على الوضع الحقيقي للمسيحيين في لبنان»[٣٧].

وبدا هذا الدور جلياً بصفة خاصة عندما حاول المكتب الإسرائيلي في ضبية توسيع علاقاته لتشمل الدروز والشيعة. فقد انتقد الموارنة هذه المقاربة وتنبأوا لها بالفشل. وقدموا أنفسهم في الوقت نفسه لصانعي القرار في إسرائيل على أنهم خبراء في الدروز والشيعة[٣٨]. حتى انهم ذهبوا إلى حد الادعاء أن إسرائيل عاجزة عن فهم المنطقة وأن السياسة الإسرائيلية كانت في الأساس سياسة ساذجة[٣٩].

وهذا الدور الاستشاري الذي عينوا أنفسهم له أدى مهمات عديدة. فقد

---

(٣٤) *Letter from Lebanon*, issue 1, July 1984.

(٣٥) *Letter from Lebanon*, issue 3, 1 August 1984.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) *Letter from Lebanon*, issue 1, July 1984.

(٣٨) *Letter from Lebanon*, issue 4, 15 August 1984.

(٣٩) المصدر نفسه.



شكل وسيلة لضمان المساعدة الإسرائيلية حيث ان الموارنة اضحوا جماعة لا غنى لإسرائيل عنها. وهذا عكس، أكثر من أي شيء آخر، استمرار الاهتمام والحاجة الكتائبية إلى تحالفٍ مع إسرائيل بعد العام ١٩٨٢. أضف إلى ذلك، ان الكتائب كانوا يستطيعون، من خلال تقديم المشورة لصانعي القرار الإسرائيلي، أن يؤثروا في السياسات الإسرائيلية، وفي تصور إسرائيل للبنان وإدراكها للموارنة. وبالنسبة إلى هذا الإدراك، فقد كان تزويد إسرائيل بالمعلومات هو طريقة لترميم الاضرار الناجمة عن عدم التعاون الماروني إبان الاجتياح.

وكان اهتمام الموارنة بتحالف مكشوف مع إسرائيل يستند إلى إدراك الموارنة لقوة إسرائيل. إذ إن من شأن القدرة العسكرية الإسرائيلية أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف الموارنة الإثنية القومية التي ستؤدي في النهاية إلى جعل لبنان بلداً مسيحياً، أو خاضعاً لسيطرة مسيحية. فقد كان يُنظر إلى إسرائيل على أنها تجسيد لنجاح أقلية غير عربية وغير مسلمة لم تحقق استقلالها وسلامتها من التهديد الإسلامي، فحسب، بل ارتقت أيضاً إلى مكانة القوة الإقليمية العظمى. وكانت المصالح المشتركة في الفترة الأولى للعلاقات الصهيونية المارونية فد شكلت أساساً للمساعدة المالية في الخمسينات، والمساعدة العسكرية في الستينات والسبعينات، وأخيراً التحالف المكشوف في الثمانينات.

## مدركات، تصورات، واعتقادات

تفسر مدركات الموارنة والإسرائيليين لذواتهم ولبعضهم كيف تطورت العلاقة في العشرينات إلى تحالف كامل في الثمانينات. وهي أيضاً تلقي الضوء على ماهية توقعات كل لاعب من التحالف وعلى ماهية الاسس التي قامت عليها هذه التوقعات. فقد كانت إسرائيل تبحث عن حليف إقليمي يوقع معها معاهدة سلام ويصبح نقطة انطلاق لهيمنة إسرائيل الإقليمية، في الوقت الذي كان فيه الموارنة يبحثون عن حليف يعيد إليهم سيطرتهم على لبنان. وكان كل من الطرفين يرى في الآخر الجهة القادرة على تحقيق هذه النتائج استنادا إلى قوة كل منهما.

وكان الطرفان يعتقدان بأن اهدافهما متوافقة، وحتى متكاملة. وقد استند هذا الاعتقاد أيضاً، إلى المدركات المتبادلة لما يتوخاه كل طرف من التحالف. غير أن الاجتياح الإسرائيلي للبنان لم يحقق لا أهداف إسرائيل ولا أهداف الموارنة، بل إن الطرفين كانا أسوأ حالاً عقب الاجتياح. فقد استخدمت اسرائيل قدراتها الى اقصى درجة ممكنة، وخسر حزب الليكود الحاكم الغالبية، وعُزل وزير الدفاع شارون من منصبه. أما الموارنة فقد انتقلوا من هدف الهيمنة المسيحية إلى واقع الاندماج في لبنان ذي توجه عربي، وواقع الاحتلال السوري. وكان هذا يعني بالنسبة إلى الكثيرين من الموارنة المتورطين في التحالف النفي من لبنان أو حتى الموت.

لذلك، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو أين الخطأ، ولماذا فشل التحالف؟. ويكمن الجواب في المدركات المتبادلة والتصورات والاعتقادات. لقد كان التحالف المكشوف محكوما بالفشل منذ البداية، لأنه كان يستند، في الجانب الإسرائيلي على الأقل، إلى خطأ بالغ في فهم الموارنة وفهم تضليلهم لأنفسهم، وإلى حكم خاطئ على لبنان، وإلى الاعتقاد الخاطئ بقدرة إسرائيل على تحقيق أهداف سياسية دائمة باستخدام القوة العسكرية.



## خاتمة: ستة عقود من العلاقات الإسرائيلية ـ المارونية

لا يمكن ألا يلاحظ العرب امتناع إسرائيل عن أي محاولة لاستغلال الاحداث العاصفة والضغوط في البلدان العربية لمصلحتها[١].

أظهر تحليل السياسات الإسرائيلية حيال موارنة لبنان من العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٨٤ أن وجهة النظر التقليدية القائلة بأن إسرائيل تميل إلى العزلة هي وجهة نظر خاطئة. وهي لم تكن أيضاً، كما جرى الادعاء غالبا، غير مهتمة بالتدخل في السياسات الداخلية والاقليمية لجيرانها، بل ان الدولة اليهودية، بما في ذلك فترة اليشوف السابقة للدولة، كانت لها علاقات مستمرة مع الموارنة استخدمتها للتأثير في سياسات لبنان الداخلية والإقليمية. لذلك انشأ صانعو السياسة الإسرائيليون مع الموارنة منذ الاتصالات الأولى بهم في فترة اليشوف وما بعدها «تحالفاً طبيعياً» لمواجهة حقيقة عدم وجود علاقات على مستوى الدولة مع لبنان. ولم يشكل الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ انحرافا، كما جرى تصويره، بل ذروة عقود من سياسات التدخل والتحالف مع الاقليات التي انتهجتها اسرائيل حيال لبنان. ويمكن تقسيم سياسات إسرائيل حيال الموارنة إلى أربع مراحل مختلفة. المرحلة الأولى كانت مرحلة اليشوف من العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٤٨، وقد تميزت بإنشاء شبكة اتصالات مع سياسيين عرب بهدف اختراق الدوائر الحاكمة في الدول

(١) Yaacov Herzog, *A Nation that Dwells Alone* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1975), p.73.

المجاورة. وكانت الاتصالات مع الموارنة اتصالات وثيقة، تمحورت حول التعاون الاقتصادي، والإحياء الأيديولوجي للعلاقات الفينيقية ـ الكنعانية القديمة، وأهم من ذلك كان مفهوم تحالف الأقليات في مواجهة الإسلام. وكانت التطورات الأبرز في تلك المرحلة ميثاق التعاون الصهيوني ـ الماروني في العام ١٩٢٠ ومعاهدة الصداقة في العام ١٩٣٦ ومعاهدة العام ١٩٤٦ والمذكرة المارونية للأمم المتحدة في العام ١٩٤٧، التي تدعم تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية مستقلة. وقد وضعت هذه الاتفاقات أسس سياسات إسرائيل اللبنانية التي مفادها أن الموارنة هم «الحلفاء الطبيعيون» لإسرائيل، ويجب الإبقاء على سيطرتهم في لبنان.

وتمتد المرحلة الثانية، من العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٥٨، وتغطي السنوات العشر الأولى لدولة إسرائيل التي كانت الاهم بالنسبة الى وضع السياسات وبناء الإطار التنظيمي لصناعة القرار لمصلحة المؤسسة الدفاعية، وبالتالي لمصلحة القوة العسكرية كحل للمشكلات السياسية أي التدخل في شؤون الدول الاخرى. وفي هذه الفترة، تمحورت اتصالات إسرائيل بالموارنة حول مقترحات عديدة «للجمع بين تمرد ماروني وتدخل إسرائيلي بهدف إعادة تنظيم الشرق الأوسط». وطرح الموارنة خططا في هذا الصدد عام ١٩٤٨، وناقشها دايان وبن غوريون في شكل مركّز عام ١٩٥٤، وأُدرجت في حملة السويس ـ سيناء عام ١٩٥٦، لكن هذه المخططات لم تنفذ مطلقا. الا ان إسرائيل تدخلت في أزمة ١٩٥٨ في لبنان إلى جانب الموارنة من خلال تزويدهم بالمساعدات المالية العسكرية.

اما المرحلة الثالثة، التي تمتد من العام ١٩٥٨ حتى الحرب الأهلية اللبنانية الثانية في العام ١٩٧٥، فتتميز بتحول في الأولويات عند الموارنة وإسرائيل على السواء. فـ «حلفاء» إسرائيل الموارنة أصبحوا أعضاء في الحكومة الشهابية وأخذوا يرسخون قوتهم داخل طائفتهم. في هذا الوقت، تحولت إسرائيل إلى حدودها الجنوبية، وغرقت في حرب استنزاف مع مصر. وعلى الرغم من ذلك، فإن العلاقات استمرت مع الموارنة على أسس سرية، شخصية واستخباراتية بخلاف ما كان من تدخل مكشوف من الدولة الإسرائيلية. إلا



أن حرب ١٩٦٧ وبروز الفلسطينيين كمشكلة للهيمنة المارونية السياسية وللأمن الإسرائيلي على السواء، أخذت تعيد لبنان، ببطء، إلى مركز صنع القرار في اسرائيل.

ويتجلى تحول إسرائيل مجددا إلى حدودها الشمالية في المرحلة الرابعة الممتدة من العام ١٩٧٥ حتى العام ١٩٨٤، والتي تتميز بتطور العلاقة الإسرائيلية المارونية لتصبح تحالفا كاملا. كما أنها تعكس أيضا قمة التدخل الإسرائيلي الذي بدأ بتقديم المساعدة المالية والعسكرية للموارنة إبان الحرب الأهلية الطويلة، ومن ثم «عملية الليطاني» وإقامة الحزام الأمني الإسرائيلي، إلى أن بلغ ذروته في «عملية سلامة الجليل» عام ١٩٨٢. فاجتياح إسرائيل للبنان واحتلالها له، وتدخلها في الانتخابات الرئاسية لضمان انتخاب مرشحها، والضغط للتوصل إلى اتفاق سلام كامل مع لبنان، كلها كانت علامات على هذا التدخل الناشط. إلا أن اغتيال بشير الجميل أدى إلى انهيار «الخطة الكبرى» ونتج عنه اتفاق ١٧ أيار/مايو، الذي كانت الرغبة فيه أقل من الرغبة في تنفيذ المخطط، والذي ألغي في العام ١٩٨٤. وتحول الإسرائيليون والموارنة المثخنون بالجراح بعضهم عن بعض وانتهى «التحالف الطبيعي» بالخيبة.

واذا امعنا النظر في هذه المراحل الأربع، يتضح لنا أنه لا يمكن اعتبار اجتياح ١٩٨٢ انحرافا في صنع القرار الإسرائيلي، أو مجرد ناتج من نتاج طموحات وزير الدفاع أرييل شارون. فالاجتياح، وسياسة إسرائيل ككل حيال الموارنة، أمور يجب النظر اليها على أنها نتاج عوامل مجتمعة سوف نناقشها بالتفصيل، وهي: مفهوم تحالف الأقليات، وعملية صنع قرار السياسة الخارجية في إسرائيل، وتأثير الافكار الأولى في السياسات التي انتهجت فيما بعد، وبعض المفاهيم الإسرائيلية الأساسية الخاطئة عن اللبنانيين ولبنان.

## مفهوم تحالف الأقليات

كان مفهوم إقامة تحالفات مع الأقليات قد سيطر بالفعل على صنع القرار السياسي في اليشوف. فقد كان يُنظر إلى هذه التحالفات على أنها وسيلة

للالتفاف على الاكثرية العربية المعادية، ولإنشاء روابط مع القوى المعارضة ومع أقليات غير عربية وغير مسلمة. وكان في استطاعة الوكالة اليهودية، من خلال تحالفات كهذه، أن تمارس نفوذها لمساعدة أصدقائها وعرقلة تحرك أعدائها، على الرغم من أن اليشوف كان ضعيفا بالاصطلاح العسكري[٢]. وكان لبنان ضمن هذا الاطار، بلداً يتولى دوراً خاصاً لأنه يتألف من أقليات، يكتسب الموارنة من بين هذه الاقليات، أهمية اضافية لأنهم غير مسلمين ولأن بعضهم يذهب إلى حد الإدعاء أنهم ليسوا عربا. ولهذا يصبح من السهل فهم السبب الذي جعل إسرائيل ترى فيهم حلفاء طبيعيين. وهكذا كان الموارنة يريدون «التحالف» الذي صنعه الخبراء العرب في اليشوف بقدر ما كان الصهاينة يريدونه. بل يذهب بعضهم، إلى حد الادعاء أن الموارنة هم الذين اتصلوا باليشوف في العشرينات، ثم طلبوا مساعدة مالية من إسرائيل عام ١٩٥٠، والتمسوا دعمها إبان أزمة ١٩٥٨، وحضّوا بنشاط، انطلاقا من العام ١٩٧٥، فصاعداً، على اقامة علاقة وثيقة أكثر من العلاقة التي كان يريد بعض صانعي القرار الإسرائيلي إلزام أنفسهم بها.

لقد انشئ تحالف الأقليات الإسرائيلي الماروني لمواجهة عدو مشترك. وكان هذا هدفه فعلا منذ العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٨٤. وعلى صعيد عام، لم يتغير العدو المشترك، وكان هذا العدو طيلة الفترة التي جرى تحليلها، المسلم السني العربي. لذلك كان هدف إسرائيل خرق دائرة العداء المحيطة بها، عن طريق استغلال تطلعات الاقلية المارونية في لبنان الى الانفصال والهيمنة[٣].

وتظهر نظرة أكثر دقة للعلاقة الإسرائيلية المارونية أن هذا العدو تغير ومعه تبدل التحالف. وفي الواقع، فقد مر التحالف بثلاث مراحل. في المرحلة الأولى رأى تحالف الأقليات العدو الرئيسي في الإسلام، فقد كان الموارنة يخشون فقدان هويتهم ومكانتهم السياسية المهيمنة في «البحر» الإسلامي المحيط بهم، وكانت مخاوف اليشوف ذات طبيعة مشابهة[٤]. وتحول هذا التحالف في

(٢) Shlaim, *'Israeli Intervention in Internal Arab Politics'*, unpublished paper, p.2.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣.



أوج قوة ناصر في الخمسينات إلى تحالف ضد العروبة. فقد كانت إسرائيل تتخوف دائما من توحد الدول العربية ضدها، وازداد هذا التهديد وشوكا عندما بدأ ناصر في نشر نظرته العروبية «المهيمنة» و«الثورية» التي نتجت عنها الوحدة المصرية السورية ومحاولات لضم لبنان والأردن إليها، ما جعل الموارنة يتخوفون من تأثير العروبة على مكانتهم السياسية في لبنان. إذ إن اللبنانيين الذين ينادون بالعروبة كانوا يطالبون بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة، والاهم، انهم كانوا يطالبون بوضع حد للسيطرة المسيحية على بلد عربي. وجاء التغيير الأخير في تحالف الأقليات مع تدفق اللاجئين الفلسطينيين على لبنان. لقد كان الفلسطينيون يهددون أمن المستوطنات الشمالية في إسرائيل. فضلاً عن أن قدرتهم على إنشاء «دولة داخل الدولة» في لبنان شكلت تهديداً سياسياً لإسرائيل، لأنها عكست بوضوح، توقهم لإنشاء دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما أن الوجود الفلسطيني قد شكّل، بالنسبة إلى الموارنة، تهديدا ديمغرافيا لأنه سيحولهم إلى أقلية واضحة المعالم، مخلا بالوضع القائم الطائفي والعسكري في لبنان. وهكذا أصبح التحالف الإسرائيلي الماروني موجها، منذ السبعينات فصاعداً، ضد الفلسطينيين.

لم يكن مفهوم تحالف الأقليات مجرد سياسة بحد ذاتها، بل كان جزءا من توجه أوسع للسياسة الخارجية الاسرائيلية يمكن وصفه بالتفكير الذي يراعي محيط اسرائيل. هذا التفكير كان بمثابة الرد الإسرائيلي على العزلة الإقليمية، وذلك من خلال إقامة تحالفات مع دول على أطراف محيطها مثل تركيا وإيران وأثيوبيا، وتحالفات مع أقليات في المحيط الاثني والسياسي، بما في ذلك الموارنة. ومن وجهة نظر القرار السياسي، فقد كان يتم التعاطي في شكل متشابه مع المحيطين الإثني والجغرافي، ولم يكن هناك في الواقع، أي تمييز بين مبدأ المحيط ومفهوم تحالف الأقليات[٥]. لكن انعدام التمييز يحمل في طياته بذور الفشل كما يدل على ذلك التحالف الإسرائيلي الماروني. فمعاملة أقلية على أنها دولة يمكنها ان تعمي بصر صانعي القرار عن رؤية خطر الالتزام العسكري، لأنها تحيط الأقلية «بهالة» من الصدقية والقوة والاستقلال.

(٥) مقابلة مع يوسي ألفر، تل أبيب ١٩ تشرين الأول ١٩٩٣.

وتبرز مشاكل إضافية مع تحالف الأقليات عندما يصل الامر الى الالتقاء الجغرافي، فمثل هذا الالتقاء يسير بالتحالف من «الدعم الخارجي» إلى «التعاون الداخلي»، ما يعني المشاركة في نظرة الحليف إلى العالم. وقد اغفل اجتياح ١٩٨٢ هذا الشرك تحديداً، الأمر الذي أضر بإسرائيل.

والسؤال الذي يطرح هو: هل كان تحالف اسرائيل مع الموارنة تحالفاً ناجحاً أم تحالفاً فاشلاً؟ والجواب السهل ينبغي أن يكون ان هذا التحالف كان ناجحاً وفاشلاً على السواء. فهو كان ناجحاً لأنه منح إسرائيل مخرجاً من عزلتها. ففي الواقع، كان الاسرائيليون والموارنة يلتقون على مدى ستة عقود، فيحضرون الاتفاقات ويزودون بعضهم بالمساعدات أو المعلومات. وهذا ما اعطى إسرائيل مدخلاً إلى السياسات الإقليمية واللبنانية الداخلية، وأتاح لها مراقبة القوى المعادية. كما كان ذلك، في ناحية من النواحي، الخطوة الأولى أيضاً، إلى تطبيع العلاقات من خلال كسر الافكار المقولبة والاحكام الاعتباطية. لكن تجربة إسرائيل مع الموارنة تظهر أيضاً حدود مثل هذا التحالف، فهو تحالف ينبغي ألا يعتبر ابداً تحالفاً مساوياً للعلاقات بين الدول. اذ يمكن استخدامه لضرب توازن قوى محلية وإقليمية، ولكن ليس لقلب حكم عربي وإعادة تنظيم الشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل.

ولم تتخل سياسة إسرائيل الخارجية، منذ تجربتها في العام ١٩٨٢، عن مفهوم تحالف الأقليات، وان كانت نقطة التركيز قد تغيرت. فبدل التحالف مع طرف واحد في بلد مجزأ مثل لبنان، تحاول إسرائيل الآن إقامة علاقات مع كل الأقليات. بالإضافة إلى أن صانعي القرار الاسرائيليين اصبحوا أكثر حذرا في ما يتعلق بأي شكل من أشكال التدخل في لبنان باستثناء جنوبه. فقد تراجعت أهمية العلاقات مع الموارنة، منذ العام ١٩٨٥، مع تراجع الوضع السياسي لهذه الطائفة في لبنان(٦).

## صناعة قرار السياسة الخارجية في إسرائيل

أدى قرار العرب رفض تقسيم فلسطين في العام ١٩٤٧، وإقامة دولة

(٦) مقابلة مع مصدر في وزارة الخارجية، القدس ٢٨ تشرين الأول ١٩٩٣.



إسرائيل في العام ١٩٤٨، الى وضع الأمن في رأس قائمة صنع القرار. وبينما كانت الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية، في فترة اليشوف، تحاول أن تؤثر في مواقف العرب لاعتقادها أنه لا يزال في إمكانها تفادي الحرب، وجدت الدولة اليهودية الجديدة نفسها بعد العام ١٩٤٨ في حالة «الحرب الساكنة». ولهذا، كان الأمن القومي مركزيا للسياسة الدفاعية، وللسياسة الخارجية أيضا. ولأن التشديد كان على الأمن، فمن السهل معرفة سبب اتجاه المؤسسة الدفاعية إلى السيطرة على صنع قرار السياسة الخارجية.

وبالفعل، فقد كان هناك قبول عام من الرأي العام الإسرائيلي ومن السياسيين على السواء بوجوب ان تلعب مؤسسة الدفاع مثل هذا الدور الفعال. وكان بن غوريون، وهو أول رئيس للحكومة ووزير للدفاع، قد وضع أسس بنية صنع القرار هذه، واختصرها بعبارات مخزية كان مفادها ان دور وزارة الخارجية ليس صنع السياسة الخارجية، فحسب، بل شرح هذه السياسة للعالم. وكان هذا الموقف متفشياً في وسط النخبة صانعة القرار، ويدعمه الاعتقاد أن حرب ١٩٤٨ اثبتت أن القوة العسكرية أكثر فعالية من الدبلوماسية. ولهذا، فإن ما نتج مع انشاء دولة إسرائيل كان تحالفا بين بن غوريون ووزارة الدفاع والموساد والأجهزة الاستخباراتية الاخرى في مواجهة وزارة الخارجية ووزيرها شاريت. وقيل إن انعدام توازن القوى بين المجموعتين بلغ حداً جعل الغلبة للمؤسسة الدفاعية نتيجة لا مفر منها(٧).

لم يعدّل خلفاء بن غوريون هذا الانعدام في التوازن في عملية صنع القرار، وفي الواقع، فإن الهوة كانت تتسع باستمرار بين وزارة الخارجية ومؤسسة الدفاع مع التطور الاحترافي لأجهزة الأمن، ومع توسع المؤسسة العسكرية في مساق حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣، كنتيجة لهذه الحروب نفسها. لقد كان الأمن في قمة جدول الأعمال، وتحت ستار الأمن القومي كانت المؤسسة الدفاعية تتدخل في المجال المدني لصنع السياسة الخارجية.

وتشكل سياسات إسرائيل الخارجية حيال لبنان والموارنة مثالا واضحا على

(٧) Shlaim, 'Israeli Intervention in Internal Arab Politics', unpublished paper, p.11.

ذلك. فالضغوط من أجل تحالف أقوى، وخطط تحويل لبنان دولة مسيحية
أتت في معظم الأحيان من المؤسسة الدفاعية. فبن غوريون وضع «إعادة
تكوين لبنان» في رأس الأولويات وربط هذا المخطط بحملة السويس -
سيناء. وعشية الحرب الأهلية اللبنانية الأولى، في العام ١٩٥٨، اتُخذ قرار
بتزويد الكتائب بالسلاح ليتمكن الموارنة من الدفاع عن سيطرتهم السياسية.
ولكن، بعد الحرب تراجع مستوى اهتمام إسرائيل والموارنة بتحالف كامل.
ومع ذلك، فقد استمرت اللقاءات بين الموفدين لمناقشة الوضع في المشرق.
فضلاً عن أن الموساد أصبح له دور في الابقاء على الصلات القائمة واقامة
صلات جديدة بهدف جمع المعلومات الاستخباراتية. وهكذا، عندما دعت
الحاجة إلى تحالف أقوى في العام ١٩٧٥، أسندت الى الموساد والاستخبارات
العسكرية مسؤولية التحالف، بينما كان الجيش يقوم باتصالات يومية مع
المسيحيين في جنوب لبنان. وفي النهاية، وضع وزير الدفاع أربيل شارون
ورئيس أركانه رفائيل إيتان، في العام ١٩٨٢، خطط الاجتياح لحل كل
مشكلات السياسة الخارجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط. وقد أقصيت
وزارة الخارجية في معظم الأحيان عن عملية صنع القرارات، ولم تكن على
اطلاع، في الغالب، على ما يتخذ منها.

## تأثير الأفكار السابقة في السياسات اللاحقة

في معرض النظر في سياسة إسرائيل اللبنانية لا يمكن للمرء إلا أن
يلاحظ أن مخطط شارون للعام ١٩٨٢ يتشابه تشابها لافتا مع خطط بن
غوريون لعامي ١٩٥٤ و١٩٥٦. لقد كان لبنان في نظر بن غوريون دولة
مسيحية ومن «واجب» إسرائيل أن تعيده إلى هذه المكانة. كما كان ينظر إلى
الموارنة على أنهم «حلفاء طبيعيون» يماثلون الاسرائيليين في الرأي. أضف إلى
ذلك، أن النظرة إلى لبنان كانت تنطلق من موقع الخبير الاستراتيجي الكبير.
ولذلك كان إنشاء لبنان المسيحي الخطوة الأولى والضرورية لخرق الحصار
ولإحاطة إسرائيل بدول صديقة. فقد كان لبنان يُعتبر مفتاحاً لإعادة التنظيم
الجغرافي الاستراتيجي للشرق الأوسط، وأما الموارنة فكانوا يعتبرون مفتاحاً
للبنان.



كان شارون يشاطر بن غوريون معظم آرائه في لبنان والموارنة لأنه قارب
الساحة اللبنانية من موقع الخبير الاستراتيجي الكبير نفسه. وأراد كما يظهر
من «خطته الكبرى» الكامنة وراء «عملية سلامة الجليل»، أن يستخدم تحالف
إسرائيل مع الموارنة وسيلة لضمان هيمنة إسرائيل على لبنان، وفي الواقع، على
المشرق كله. لقد كان مخططه يتضمن إنشاء دولة مسيحية تكون على سلام مع
إسرائيل. وكان يجب سحق الفلسطينيين عسكريا في لبنان، ولاسيما
الفلسطينيين في الأراضي التي تحتلها إسرائيل، وحرمانهم قواعدهم السياسية.
فرسمت خطط لنقل الفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة إلى الأردن، بحيث
يتحول الأردن دولة فلسطينية يستحيل عندئذٍ منازعة إسرائيل حقها في
الأراضي المحتلة. كما كان على القوات الإسرائيلية أن تقاتل السوريين في
لبنان فتلحق بهم هزيمة نكراء تخرجهم من المعادلة، ما يجعل السلام الخيار
الوحيد للدولة المستضعفة. وكما الأمر مع بن غوريون، كان لبنان مفتاح
شارون لإعادة تنظيم الشرق الأوسط، وكان الموارنة مفتاح إعادة تنظيم لبنان.

وكان هذان الاستراتيجيان الكبيران قد ركزا مخططاتهما على الافكار
المغلوطة الأساسية نفسها. فهما لم يدركا أن المسيحيين لم يكونوا الغالبية في
لبنان، وان الكتائب لم يكونوا يمثلون المسيحيين، وان لبنان كان من الضعف
بحيث لم يكن في استطاعته أن يتصرف باستقلال عن العالم العربي، وان
الموارنة كانوا حلفاء على درجة من الضعف لا يستطيعون معها أن يفوا بوعد
او قضاء مهمة. أضف إلى ذلك، أن كلاً من بن غوريون وشارون كان يتمتع
بشخصية قوية ويركن بشدّة إلى العسكر لتحقيق مكاسب سياسية، ويخلق
الوقائع على الأرض، ضارباً عرض الحائط بالواقع المتمثل في أن نتيجة تحويل
الانتصارات العسكرية إلى مكاسب سياسية دائمة كانت أقل من طيبة. وكان
الاثنان في الحقيقة، يريان في الدبلوماسية والدبلوماسيين أدوات ضعيفة وغير
فعالة، وكانا يتجهان إلى إقصائهما عن صنع القرار.

ومع ذلك، لم تكن مخططات شارون للاجتياح هي وحدها التي تأثرت ببن
غوريون؛ فترتيبات المنطقة الأمنية التي وضعها رابين و«استكملها» بيغن كانت
تحمل ايضا شبها كبيرا بمقترحات دايان للعام ١٩٥٤، الذي كان قد اقترح

البحث عن ضابط في الجيش اللبناني إما أن يكون ملتزما تحالف الأقليات على أرضية أيديولوجية أو أن يكون شراؤه ممكناً، وجَعْلَ هذا الضابط يعكف على حماية مصالح إسرائيل في لبنان. وفي العام ١٩٧٦، عمل رابين على تنمية العلاقات مع مسيحيي جنوب لبنان من خلال سياسة «الجدار الطيب». وقد تحولت هذه المجموعة من المسيحيين، في عهد بيغن، جيشا بالوكالة بقيادة الرائد سعد حداد الذي تولى إلى جانب قيادة جيش لبنان الجنوبي، الدفاع عن المنطقة الأمنية التي شكلت منطقة عازلة لحماية إسرائيل. وهكذا وجدت إسرائيل ضابطا في الجيش اللبناني مستعدا لقتال الفلسطينيين من أجل إسرائيل.

وهذان المثلان هما أبرز الامثلة على كيفية تأثير الأفكار الاولى في السياسات اللاحقة. اما المفاهيم التي سادت الفترة الأولى للعلاقات المارونية الإسرائيلية واستمرت على ما هي عليه في المرحلة اللاحقة، فكانت أقل بروزاً. ومن بين هذه المفاهيم أن الموارنة أناس يمكن الاعتماد عليهم، وانهم ليسوا عربا «في الحقيقة»، بالاضافة الى اساءة الفهم للحقائق الديمغرافية في لبنان، والاعتقاد أن لبنان سيكون الدولة الثانية التي توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. لكن المؤسسة الدفاعية، منذ أيام بن غوريون، كانت لها نظرتها الخاصة بالنسبة لإمكانية الاعتماد على الموارنة. اذ إنها كانت تعتبرهم مستقلين، وطائفة قوية كانت لها ميليشيا على مستوى متدنٍ منذ انشاء الكتائب في العام ١٩٣٦. ولكن اذا كان بن غوريون وجد في هذا التنظيم الناشىء ما يفي بحاجات مخططاته في العام ١٩٥٤ فكيف بدا هذا التنظيم لشارون في العام ١٩٨٢، بعدما تدربت القوات الكتائبية في إسرائيل، ووحدت الموارنة تحت لوائها وخضعت لقيادة رجل لا يقل بطشاً عن شارون. ويمكننا ان نعزو هذا المفهوم في جزء منه، إلى نقص في الحقائق المعروفة عن الموارنة والكتائب، وإلى تعليل صانعي القرار الإسرائيليين انفسهم بالآمال. ومع ذلك، فإن ما دعم هذا المفهوم أيضا كان استمرار العلاقات الإسرائيلية المارونية نفسها. وغالبا ما كان افتراض صانعي القرار الذين جاؤوا فيما بعد، ان اربعين وخمسين أو ستين سنة من الصلات، تكفي ليتبيّنوا ان الكتائب تنظيم لا يمكن التعويل عليه.



وتتصل الفكرة الثانية، اتصالاً وثيقاً بالمفهوم اعلاه، وهذه الفكرة التي تعود اصولها إلى العشرينات والثلاثينات، تقول ان الموارنة ليسوا عربا. ففي سنوات اليشوف الأولى هذه، كان المفكرون الموارنة يعودون إلى أصولهم الفينيقية ويدّعون أن الموارنة ليسوا مسيحيين عربا، بل فينيقيون وأنهم ليسوا شرق أوسطيين، بل مشرقيون. ونشأت في الوقت نفسه في اليشوف حركة فكرية مماثلة هي الكنعانيون. وقد اعتبر الكنعانيون الموارنة متساوين معهم وطالبوا بقوة بتحالف رأوا فيه احياء للروابط التاريخية بين الفينيقيين واليهود أيام سليمان الملك. ولم يتبن صانعو القرار في إسرائيل بالضرورة هذه الافكار لكنهم تأثروا بها إلى حد أن الكثيرين منهم اعتقدوا أن الموارنة لم يكونوا «في الحقيقة» عربا. وفي العام ١٩٥٨، تعزز هذا المفهوم من جراء الصراع الطائفي الذي واجه فيه الموارنة العروبة، وأيده بنشاط أيضا سياسيون مثل عضو الكنيست جابوتينسكي الذي راح يدعو في الستينات لتحالف مع الموارنة غير العرب. وليس من الصعب ان نفهم، بعد الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، التي أدت الى ظهور المارونية السياسية في لبنان مرة أخرى، لماذا كان صانعو القرار ينظرون اليهم في السبعينات والثمانينات، كمسيحيين وكفينيقيين وليس كعرب «في الحقيقة».

وكانت للأفكار المتعلقة بتركيبة لبنان الديمغرافية، جذروها ايضا في فترة اليشوف. فقد كان ينظر إلى الموارنة على أنهم الطائفة الكبرى في لبنان، ويملكون علاوة على ذلك، منصب الرئاسة القوي. وحتى لو كان ذلك صحيحا للفترة التي اعقبت مباشرة استقلال لبنان، فإن الحقائق الديمغرافية تبدلت بسرعة ورجحت الميزان لمصلحة الطائفة المسلمة التي كانت نسب الولادة فيها أكبر. لكن إسرائيل استمرت في النظر إلى لبنان على أنه مسيحي، يشكل فيه الموارنة الغالبية ويمسكون بالرئاسة القوية. ولم ير معظم صانعي القرار أن للبنان نظاما سياسيا يرتكز على الائتلافات والمساومة، ولم تكن هناك بالتأكيد، في المفهوم المطلق، رئاسة قوية ومستقلة. ويمكن رد جزء من هذه النظرة إلى النقص في المعلومات عن لبنان لدى صانعي القرار، وإلى تجاهل هذه المعلومات، عندما تتوافر، لأنها لم تكن تتماشى مع السياسات المقررة. ولكن يمكن كذلك رد جزء من هذه النظرة الخاطئة إلى الموارنة الذين لم

يدركوا مدى التدهور في وضعهم حيث لم يجر أي احصاء للسكان منذ العام ١٩٥١. فقد واصلوا، بالفعل، تقديم انفسهم على انهم الطائفة الغالبة في لبنان، سواء أكان ذلك بفعل سوء فهمهم للموقف، أم أنهم تعمدوا تقديم صورة مخالفة للواقع لكسب الدعم الإسرائيلي.

وأخيرا، فإن الفكرة الرابعة، التي أثرت في صنع القرار، كانت الاعتقاد أن لبنان سيكون الدولة الثانية التي توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. وظهرت هذه الفكرة في السنوات الأولى من نشوء إسرائيل، وكان يفترض بالأردن أن يكون الدولة الأولى. وقد نمت هذه الفكرة في الستينات، وأخذت أبعادا جديدة في أواخر السبعينات على أثر كامب ديفيد حيث تم توقيع اتفاق سلام مع مصر. فقد كانت مصر، وليس الأردن، هي التي عبدت الطريق أمام توجه إسرائيل صوب الشمال. وكان بيغن مؤمناً بأنه يستطيع مواصلة مساره لصنع السلام، وكانت الحرب، بنظره، وسيلة مشروعة لإحراز معاهدة سلام ثانية[٨]. وفي حين أن طريقته المتبعة لإحراز السلام مع لبنان كانت موضع شك واعتراض الرأي العام والسياسيين في إسرائيل، فإن المبدأ الذي كانت تستند إليه، والقائل إن لبنان سيكون الدولة الثانية التي توقع معاهدة سلام، لم يكن موضع شك إلا بعد فترة أطول.

وباختصار، فقد بات واضحاً تماماً أن الافكار التي برزت في فترة اليشوف وفي سنوات تكوّن صنع القرار الإسرائيلي، كان لها تأثيرها في السياسات اللاحقة. فهي عبدت الطريق أمام تمتين أواصر تحالف الأقليات مفترضة أن لبنان ليس هو فقط من سيبادر الى اغتنام فرصة السلام مع إسرائيل، بل إن إسرائيل تستطيع أيضا تسريع العملية عبر التدخل لإعادة تركيب لبنان دولة مسيحية. ويمكن، بالفعل، رسم خط مباشر بين الحجج التي ساقها كل من بن غوريون ودايان لصالح التدخل في نقاش عامي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ وبين سياسات التدخل التي طبقها كل من بيغن وشارون في العام ١٩٨٢[٩].

(٨) مقابلة مع أريه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.
(٩) Shlaim, 'Israeli Intervention in Internal Arab Politics', unpublished paper, p.57.



## مبدأ التدخل

قبل كل شيء، تميزت علاقات إسرائيل مع الموارنة، بالتدخل مستخدمة الموارنة وسيلة للتأثير في سياسات لبنان الداخلية والإقليمية. ويمكن العودة مباشرة بالميل الى التدخل الكامن في سياسة إسرائيل الخارجية إلى سياسة اليشوف التدخلية. في ذلك الوقت، أقيمت شبكات اتصالات مع عدة سياسيين عرب كوسيلة للتغلغل في الدوائر الحاكمة للبلدان المجاورة. وبالفعل، فقد حصل عدد كبير من السياسيين العرب، في السلطة وخارجها، على مدفوعات نقدية واغراءات مادية من الوكالة اليهودية في مقابل معلومات وخدمات يؤدونها[١٠]. وبعد إنشاء دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨، أدى ادراك إسرائيل بأنها دولة معزولة، بل تحاصرها دول عدوة، إلى اعلاء شأن السياسة السابقة للوكالة اليهودية الى المرتبة التي هي الحل من أجل إخراج إسرائيل من عزلتها. وهكذا فقد أقيمت علاقات مع زعماء عرب ومع مجموعات معارضة ومع أقليات لمواجهة «رفض العلاقات» على مستوى الدول، وبصفة خاصة لإبقاء العرب في حال من عدم التوازن والانقسام. وسعى صانعو القرار الاسرائيليون، من خلال هذه العلاقات، بدءا من بن غوريون، إلى دعم أقليات، مثل الموارنة، بطريقة تخدم مصالح إسرائيل في تبديل العلاقات بينها وبين الدول العربية.

كان النقاش بين بن غوريون وشاريت ذا أهمية كبرى لتطور مبدأ التدخل الإسرائيلي، إذ إن نتيجته رجحت كفة التدخل الناشط على كفة الامتناع النسبي عن التدخل. ويجب القول،عند هذا الحد، إن شاريت لم يدع إلى عدم التدخل في شكل مطلق، بل انه طالب بإقامة صلات تشكل خطوة في اتجاه العلاقات الدبلوماسية في مواجهة مقاربة بن غوريون التي أصبح فيها التدخل العسكري غاية في ذاتها. وقد ابرز النقاش بين بن غوريون وشاريت، اواسط الخمسينات، اتجاهين متعارضين في السياسة الخارجية الإسرائيلية. فكان شاريت أكثر حذراً وواقعية في ما يتعلق بالفوائد الناجمة عن التدخل، أما بن غوريون فكان يؤمن بفائدة القوة العسكرية ويدعو الى التدخل المباشر في

(١٠) Rubenstein, 'Zionist Attitudes in the Arab-Jewish Dispute to 1936', pp.130-1.

السياسات الداخلية للدول العربية المجاورة. لقد كان بن غوريون الشخصية الأقوى في هذا النقاش، تدعمه المؤسسة الدفاعية وأجهزة الامن، التي جعلها افتقارها النسبي للحنكة السياسية وقصورها في فهم الشرق الأوسط، وبخاصة لبنان، تميل إلى البحث عن حلول سريعة للمشكلات السياسية المعقدة[١١]. وبهذا شكلت المناقشة اساسا للتدخل لبنية صنع القرار في المستقبل، كما ناقشنا سابقاً.

وغالباً ما تمكن شاريت من كبح حماسة بن غوريون للتدخل في الخمسينات. ولهذا، لم تطبق في النهاية، أي خطة من خطط إعادة تركيب لبنان. وفي الستينات وأوائل السبعينات، كانت سياسة إسرائيل حيال لبنان ذات طابع أقل تدخلاً، وتعكس تأثراً أكبر بمقاربة شاريت الداعية إلى المحافظة على الصلات من اجل تحصيل المعلومات دون تدخل فعال لفرض هيمنة إسرائيل على المنطقة. وقد نتج ذلك عن اولويات إسرائيل التي ركزت على جارتها الجنوبية مصر، أكثر مما نتج عن أي جهد مقصود لفهم لبنان وتقويم مكاسب التدخل المباشر وأفخاخه. وبالفعل، فإن سياسات إسرائيل في أواخر السبعينات وبدايات الثمانينات، تظهر ان قليلاً من التفكير خصص لمثل هذا الفهم للبنان وللموارنة. وفي ظل قيادة بيغن وشارون، اعتُبر التدخل العسكري المباشر مرة أخرى، حلاً لكل المسائل، وبمعنى قريب جداً من مفهوم بن غوريون. وكان يمكن، في خلال ولاية بيغن الثانية، تنفيذ كل مخططات التدخل دون معارضة تذكر. وقد نشأت عن تماثل بيغن وشارون وإيتان وشامير في الرأي المتطرف، حالة من الوحدة دون أن يتخللها أي مظهر من مظاهر المقاومة. فغابت العوامل الرادعة المشابهة للتأثير الذي كان يمارسه شاريت على بن غوريون. وهكذا أحييت مخططات بن غوريون ودايان في الخمسينات، وطبقت كجزء من استراتيجية شارون الكبرى لإعادة تركيب الشرق الأوسط. وكان الاجتياح الإسرائيلي للبنان، في العام ١٩٨٢، الذي يرتكز على استخدام الموارنة كوسيلة للهيمنة الإسرائيلية، ذروة التدخل

(١١) Shlaim, 'Israeli Intervention in Internal Arab Politics', unpublished paper, p.57.



الإسرائيلي في السياسة العربية الداخلية، كما كان أيضا تحقيقا لأقوال تنبؤية جاءت في مذكرات شاريت:

ان الافتقار الى الجدية الذي أظهرته المؤسسة العسكرية ... في كامل مقاربتها لشؤون الدول المجاورة، وبخاصة وضع لبنان الداخلي والخارجي، هو، بكل بساطة، كان أمراً مرعباً. وقد رأيت بوضوح كيف أن هؤلاء الذين انقذوا البلاد ببطولتهم وجرأتهم ... يمكنهم إنزال الكارثة بها إذا اطلق لهم العنان في الأوقات العادية[١٢].

وبهذا، يمكننا ملاحظة كيف أن مبدأ التدخل كان سمة ثابتة في سياسة إسرائيل الخارجية حيال لبنان والموارنة منذ زمن اليشوف. ويمكننا وفقاً لذلك، اختصار سياسة إسرائيل اللبنانية، وسياستها الإقليمية بالتأكيد، بأنها:

التورط الناشط والتدخل في السياسات العربية، والميل إلى الانحياز في الصراعات العربية الداخلية، والعربية ـ العربية، والمحاولات شبه المسعورة لتغيير مسار الأحداث في المنطقة، والنزوع إلى استغلال القوى العربية، المبتعدة عن المركز، في السعي إلى السيطرة الإقليمية[١٣].

## التصورات الخاطئة

ان المراحل الأربع كلها لعلاقات إسرائيل بالموارنة، وجوانب التدخل الإسرائيلي كافة في لبنان، كانت ترتكز على مجموعة مشتركة من التصورات الخاطئة انتهت من جرائها إلى الفشل. وأبرز هذه التصورات أن في لبنان أكثرية مسيحية، وأن موقع رئاسة الجمهورية هو موقع قوي، وأن الموارنة يريدون إقامة دولة مسيحية، وأن الفئة المارونية التي تتصل بإسرائيل تمثل كل الموارنة، وأن الموارنة يمكن الركون إليهم، وأخيرا وليس آخرا، ان المكاسب العسكرية يمكن ان تُترجم الى مكاسب سياسية.

وفي زمن اليشوف كانت الفكرة القائلة بأن لبنان بلد مسيحي مقبولة على

(١٢) Sharett, Yoman Ishi *(Personal Diary)*, Vol. IV, p.996.

(١٣) Shlaim, 'Israeli Intervention in Internal Arab Politics', unpublished paper, p.56.

نطاق واسع، باستثناء أولئك الاعضاء في الوكالة اليهودية الذين درسوا، في الواقع، لبنان بالتفصيل. وقد أغفل المسلمون بصفتهم أقلية مغلوبة على أمرها، ولا يعتد بها. وكان هذا الوصف غير الدقيق للبنان، كبلد مسيحي، هو بالضبط ما دفع بن غوريون إلى الاعتقاد أن لبنان هو الحلقة الأضعف في السلسلة العربية، وأنه يمكن ان يصبح حليفاً بمساعدة من إسرائيل. وقد تبنى معظم صانعي القرار الاسرائيليين الذين خلفوا بن غوريون هذا الفهم المغلوط للبنان كبلد مسيحي. وكان من شأن تحليل الحقائق الديمغرافية اللبنانية تحليلا نقديا، أن يظهر صحة العكس منذ الحرب الأهلية اللبنانية الأولى التي كان يجب أن تكون بمثابة إشارة تحذير. لكن القادة الإسرائيليين لم يدركوا إلا في الحرب الأهلية اللبنانية الثانية عام ١٩٧٥، أن الميزان قد اختل، ولكنهم اعتقدوا أن بالامكان تقويم الوضع بسهولة بمساعدة من إسرائيل، وبإخراج الفلسطينيين المسلمين من لبنان.

وكانت الافكار المغلوطة عن قوة الطائفة المسيحية في لبنان ترتكز، في معظمها، على الفهم الخاطئ لقوة الرئاسة. فخلال المراحل الأربع، كان ينظر إلى وجوب ان يكون رئيس لبنان مارونيا على انه انعكاس لتفوق الموارنة. وكان الاعتقاد السائد أن الرئيس اللبناني هو الصانع الرئيسي للسياسة الخارجية، وأنه إذا قرر إقامة علاقات مع إسرائيل ستكون الجمهورية اللبنانية كلها، عمليا، جزءا من هذه العلاقة. وقد أدت الاتصالات الودية مع الرؤساء إميل إده في العام ١٩٣٦، وكميل شمعون في العام ١٩٥٨، والرئيس المنتخب بشير الجميل في العام ١٩٨٢، إلى دعم هذا الاعتقاد. وفي الحقيقة، فقد كان فهم بيغن للدستور اللبناني أنه دستور يعطي الموارنة في لبنان مكانة غير قابلة للمنازعة[١٤].

لكن تحليلا أكثر دقة لمنصب الرئيس في النظام السياسي اللبناني يظهر أن الرئاسة ليست موقعا قويا في شكل مطلق. والحق، ان الرئيس لا يمكنه تشكيل حكومة دون الائتلاف مع الشريك السني الممثل برئيس الحكومة، كما

(١٤) مقابلة مع أرييه ناعور، القدس ٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.



لا يمكنه تمرير قرارات رئيسية للسياسة الخارجية دون مراعاة الرأي العام اللبناني. وقد انعكست نقاط الضعف هذه في الأزمة الرئاسية عام ١٩٥٢، وفي أزمة ١٩٥٨، عندما اضطر كميل شمعون للتراجع لمصلحة مرشح أقل موالاة للغرب، وكذلك في السبعينات في عهد سليمان فرنجية الذي تمكن من الاحتفاظ بزمام الامور من خلال تحالف قوي مع الزعماء السنة التقليديين. لكن وحدها، حكومة فؤاد شهاب العسكرية، دعمت أوهام القوة والاستقلال، فساهمت إلى حد بعيد في تفكك لبنان، كما ادعى بعضهم. لذلك، وبدل أن تكون الرئاسة قوية ومستقلة مثلما تصورها الكثيرون من صانعي القرار الإسرائيليين، كانت منصباً يتمتع بقوة نسبية لكنها ليست كافية لتحمّل تحالف مع إسرائيل كما أظهرت التجربة مع بشير الجميل ومع شقيقه أمين من بعده.

وهناك مفهوم خاطئ آخر، يتصل اتصالاً مباشراً بما اوردناه اعلاه، ومفاده أن الموارنة، ككل، يريدون دولة مسيحية. فقد خُدع صانعو القرار الإسرائيليون بكلام الموارنة على التحالف وتخطيط الثورات كتعبير عن توقهم لإنشاء دولة خاصة بهم. وفي فترة الانتداب الفرنسي، عندما كانت حدود دولة لبنان المستقبلية لا تزال قيد الدرس، رفض الموارنة خيار لبنان الصغير وقرروا ضم المناطق الإسلامية الداخلية لجعل الدولة الجديدة قابلة للحياة اقتصاديا. وكان النظام السياسي اللبناني نفسه، فضلا عن أفكار الفينيقية الرومانسية، سببا للدخول في علاقات وتحالفات فضفاضة مع اسرائيل. فالنظام اللبناني وُضع في شكل لا يسمح لأي طائفة بتشكيل الغالبية المطلقة. ولهذا، قامت كل طائفة لبنانية، تقريبا، بعقد تحالفات مع قوى خارجية لدعم مكانتها. ولم تكن هذه التحالفات تهدف إلى إطاحة النظام اللبناني الدقيق التوازن، بل إلى اعطاء الطائفة القوة الكافية للسيطرة على هذا النظام دون تقويضه. لذلك كان ينبغي ان يكون الدعم الإسرائيلي كافياً لتأمين سيطرة الموارنة، ولم يكن المقصود منه إقامة تعاون مكشوف، أو وجود إسرائيلي في لبنان. وحتى العام ١٩٨٢، كانت إسرائيل تؤدي بالضبط هذه الوظيفة للموارنة، لكنها اجتاحت لبنان، بعدما استدرجها بشير الجميل الذي كان

يبعث برسائل متباينة، وبعدما ساقها أرييل شارون وفي ذهنه مخططات أكبر، لتجد أن الموارنة غير مستعدين للقتال لاستعادة سلطتهم، بل كانوا يتنكرون أيضاً، لخطط السلام ويأتلفون مع المسلمين.

والمفهوم الخاطئ الرابع الذي سيناقش هو مفهوم إسرائيل أن الموارنة الذين تتعامل معهم يمثلون في الواقع الطائفة المارونية كلها. ويمكن العودة بهذا المفهوم الخاطئ الى الوراء، وصولاً الى مرحلة اليشوف، عندما سارعت القيادة الى صرف النظر عن الادلة على وجود فئات مارونية مختلفة. ولم يكن من الصعب معرفة مصدر هذا المفهوم، لأن الوكالة اليهودية كانت قد وقعت معاهدة مع الكنيسة المارونية. وكانت الكنيسة المارونية، بالطبع، مثلها مثل المؤسسات الدينية الأخرى، تدّعي انها تتكلم باسم كل أعضائها. ويمكن بسهولة قبول مثل هذه السلطة الدينية. أضف إلى ذلك، أن الكتائب، في خلال كل مراحل تحالف الأقليات، كانت تؤيد الادعاء القائل بأن الفئة الموالية لإسرائيل تمثل الموارنة. وبالنسبة الى صانعي القرار الإسرائيليين فقد كان هذا مناسباً تماماً لخططهم، ولم يعيروا الكثير من الانتباه للتفاصيل، وتجاهلوا في الغالب التحذيرات لأنهم، وباستثناء رابين، كانوا يفتقرون الى فهم الحقائق السياسية في لبنان.

وكانت مقاربتهم من الموارنة وإمكانية الركون اليهم كحلفاء، مقاربة مماثلة. فالتحذيرات التي أطلقها شاريت في زمن اليشوف وفي الخمسينات، والتي أطلقتها أيضا في وقت لاحق وزارة الخارجية والاستخبارات العسكرية،اعتُبرت تحذيرات في غير محلها. فقد كان يُنظر إلى الموارنة على أنهم يمكن الركون إليهم، لأنهم دعموا، منذ اليشوف، اهداف الصهيونيين إلى إقامة دولة، مقدمين العرائض في هذا الخصوص إلى البعثة الإنكلو ـ أميركية، ومن ثم إلى الأمم المتحدة، واستمروا في علاقاتهم مع إسرائيل في مواجهة العداوة العربية. واذا تجاهلنا الحقيقة بأن إسرائيل كانت تخدم أيضا حاجات الموارنة، نجد ان هذه العلاقة كانت، بمعنى ما، دليلاً على امكانية الركون إلى الموارنة. أضف إلى ذلك، أن الموساد، الذي كان مسؤولاً عن هذه العلاقات، قرر انهم يمكن الوثوق بهم، وقدمهم إلى صانعي القرار الاسرائيليين بصفتهم





مؤتمنين. وقد يكون مردّ مثل هذا المفهوم، كما أسلفنا القول سابقاً، إلى مبالغة عملاء الموساد الميدانيين في التماثل مع وضع مضيفيهم العصيب.

وأخيرا، فإن المفهوم الخاطئ الأخير الذي سيناقش هو اعتقاد إسرائيل أن المكاسب العسكرية يمكن تحويلها إلى مكاسب سياسية. وكان هذا الاعتقاد جزءا أساسيا من مقاربة بن غوريون للشرق الأوسط كمنطقة. فقد كان مقتنعا بأن العرب يستجيبون للقوة فقط، وبأن حرب ١٩٤٨ أظهرت أن القوة العسكرية حققت في بضعة أشهر أكثر مما حققته الدبلوماسية في العقود السابقة. وقد تمأسست هذه النظرة في عهد بن غوريون كرئيس للحكومة، واعتمد عليها خلفاؤه اعتمادا شديدا كوسيلة للتعاطي مع الدول المجاورة في غياب علاقات مباشرة مع هذه الدول. وفي أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، كانت وجهة النظر هذه أساسا لسياسات الأمر الواقع التي انتهجها بيغن وشارون وإيتان. وبالفعل، فإن شارون كان مقتنعا بأن المكاسب العسكرية التي أحرزت خلال عملية سلامة الجليل سوف تُسفر عن نتائج سياسية كاسحة. ولو انه نظر ملياً في محاولات إسرائيل السابقة تحويل المكاسب العسكرية الى مكاسب سياسية، لأدرك أن إسرائيل لم تتوفق كثيرا على الإطلاق.

بالإضافة إلى هذه العوامل، فقد تأثرت سياسة إسرائيل حيال الموارنة ايضا بالمنافسة بين الجبارين في الشرق الأوسط. فعندما أنشئت دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨ كان صانعو السياسة الخارجية الإسرائيليون يدعون إلى موقف حيادي غير منحاز علناً، لا الى الغرب ولا الى الكتلة السوفياتية الطالعة. لكن هذا الموقف لم يكن ممكنا التمسك به بالنسبة إلى دولة تحتاج مساعدة مادية ومالية للبقاء. وهكذا، فإن إسرائيل مع نشوب الحرب الكورية انحازت، بوضوح، إلى المعسكر الغربي.

وقد أدت الولايات المتحدة دوراً مهماً حيال الموارنة، حيث إن كاهناً مارونياً أميركياً لبنانياً رتّب أول لقاء مع الكتائب. فقد كان المغتربون الموارنة في الولايات المتحدة ميالين دائماً لتأييد الصهاينة واشتركوا بفعالية في الدعوة لتحالف أقليات إسرائيلي ماروني. كما أدّى اليهود الأميركيون، أيضاً، وكذلك

المنظمات اليهودية، مثل مجلس الطوارئ الاميركي الصهيوني، دورا في تعزيز تحالف الأقليات عبر إقامة اتصالات على الأراضي الأميركية، وعبر تمرير الرسائل للإسرائيليين.

ويصبح الدور الأميركي أكثر وضوحا عندما ننظر في التعاون الأميركي الإسرائيلي إبان الحرب الأهلية اللبنانية الأولى عام ١٩٥٨. لقد كانت الحكومتان تعتبران أن هدفهما الأول هو المحافظة على وضع السيطرة المارونية القائم في لبنان. وقد تولت الولايات المتحدة، بصفتها الشريك الأكبر، التدخل العسكري المباشر بإنزال المارينز في بيروت، أما إسرائيل، بصفتها الشريك الأصغر، فقد زودت الكتائب بمساعدة عسكرية عبر مرجعيون. وينبغي لنا أن ننظر إلى الاهتمام الأميركي في دعم تحالف الأقليات الإسرائيلي الماروني، وبالتالي التدخل الإسرائيلي في الشؤون السياسية اللبنانية الداخلية، من زاوية الحرب الباردة. وتبعا لذلك اعتُبرت إسرائيل والموارنة، إضافة إلى الأردن والعراق، قوى موالية للغرب تقاتل ضد الجمهورية العربية المتحدة المدعومة من الاتحاد السوفياتي، والتي كانت أميركا تعتبر أنها تهدد هيمنتها في المنطقة.

وأصبحت اسرائيل ضمن منظور الحرب الباردة العالمي، حليفا استراتيجيا، وحازت الدعم في السنوات اللاحقة كذلك. وبالفعل، فإن الولايات المتحدة، أعطت، في شكل غير رسمي، الضوء الأخضر لإسرائيل للقيام بعمليات في لبنان خلال السبعينات، ولاجتياح ١٩٨٢. زد على ذلك، أن تدخلا عسكريا أميركيا في بيروت أعقب عملية سلامة الجليل، لإعادة السيطرة المارونية الى ما كانت عليه، كما حدث عام ١٩٥٨. إلا أن الإسرائيليين والأميركيين قد فشلوا على السواء.

وفي النتيجة، أظهر تحليل علاقات إسرائيل بالموارنة من العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٨٤، بوضوح، أن اسرائيل كان لها مصلحة حيوية في الاحتفاظ باتصالات سرية مع الموارنة ومع المجموعات المعارضة في الشرق الأوسط. فضلا عن أن هذه الأقليات كانت لها مصلحة أيضاً، في اقامة علاقات مع إسرائيل. وبالتالي لم تكن إسرائيل في عزلة تامة عن جيرانها كما ترتأي التحليلات التقليدية.



لقد حافظ الطرفان على صلاتهم عبر اتصالات علنية وسرية داخل لبنان، لكنها كانت، في الغالب، اتصالات عبر بلدان ثالثة مثل الولايات المتحدة أو فرنسا. وقد اعتُبر تحالف الأقليات الذي برز بعد الاتصالات الأولى مع الموارنة، وسيلة تستطيع إسرائيل من خلالها أن تؤثر في سياسات لبنان الداخلية والإقليمية. وقد راودت العديد من صانعي القرار الإسرائيليين، المهتمين بالإبقاء على السيطرة المارونية القائمة على الأقل، فكرة التدخل لمصلحة الموارنة إلى حد تحويل لبنان دولة مسيحية تقيم سلاما مع إسرائيل. وقد قُدم الدعم للموارنة ليعملوا بدورهم، على جعل لبنان بلداً ودوداً أكثر، وليتمكنوا من محاربة العروبة التي كانت عدو إسرائيل الأول في الخمسينات والستينات. وفي المرحلة اللاحقة، زودت إسرائيل حلفاءها الموارنة، في الشمال وفي الجنوب، بالسلاح ليحاربوا الفلسطينيين نيابة عنها. وغني عن القول انه كانت للموارنة أيضا مصلحة كبيرة في محاربة هؤلاء الأعداء جميعا، لكنهم، أي الموارنة، لم يكونوا قادرين على القيام بذلك بفعالية لولا الدعم الإسرائيلي العسكري والمالي.

وهكذا يتضح أن سياسات إسرائيل حيال الموارنة ولبنان كانت سياسات تعتمد على التدخل، ولم تكن دفاعية خالصة. وبالفعل، يتضح من خلال النظر في الفترة الزمنية كلها الممتدة من العام ١٩٢٠ حتى العام ١٩٨٢، أن التدخل ازداد وانتقل من السر إلى العلن، ومن السياسة إلى العسكر، وذلك كله سعياً وراء هدف إسرائيلي واحد غالب على كل ما عداه هو: الهيمنة على المشرق.

# جدول بالاختصارات

| | |
|---|---|
| CZA | Central Zionist Archives |
| DFPI | Documents of the Foreign Policy of Israel |
| FBIS | Foreign Broadcasting Information Service |
| NARA | National Archives and Records Administration |
| PRO | Public Record Office |

# المصادر والمراجع

## دور المحفوظات


الأرشيف الصهيوني المركزي ـ CZA

الدائرة السياسية، الوكالة اليهودية ـ S25

المنظمة الصهيونية/ الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ـ Z4

أرشيف دولة اسرائيل، القدس ـ ISA

وزارة الخارجية

ادارة المحفوظات والوثائق الوطنية في واشنطن ـ NARA

الملفات الخاصة بلبنان

الاستخبارات العسكرية G-2

وكالة الاستخبارات المركزية

وزارة الخارجية

ملفات بيروت المركزية المتفرقة، ١٩٣٠ ـ ٤٩

ملفات بيروت الاقليمية المتفرقة، ١٩٣٠ ـ ٤٩

مكتب الخدمات الاستراتيجية

مكتب السجلات العامة، لندن

وزارة الخارجية

أرشيف الأمم المتحدة، نيويورك

أرشيف صحيفة «الحياة»، لندن.




## المصادر الأساسية المنشورة


Israel State Archives, Documents on the Foreign Policy of Israel, Vol. 3, Rosenthal and Yemima (eds) (Jerusalem: State of Israel 1983).

Israel State Archives, *Documents on the Foreign Policy of Israel, Armistice Negotiations with the Arab States December 1948-July* 1949, companion Volume III, Rosenthal and Yemima (eds) (Jerusalem State of Israel, 1983).

Letter From Lebanon، نشرة اخبارية دورية من مكتب الكتائب في القدس، ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥.

*Marines in Lebanon 1958*, History and Museum Division, Headquarters, US Marine Corps, 1983.

Marine Corps, *Intervention in the Internal Affairs of a Foreign Country to assure a Friendly Government* (Washington, DC: Marine Corps Historical Center, 1958).

منشورات حراس الأرز، بيروت ١٩٧٧.

Medzini, Meron, *Israel's Foreign Relations, Documents 1979-1980* (Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs, 1984).

Medzini. Meron, *Israel's Foreign Relations, Documents 1981-1982* (Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs, 1988).

محاضر جلسات مجلس القيادة، القوات اللبنانية، بيروت ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧.

تاريخ حزب الكتائب، منشورات دار العمل، بيروت ١٩٨٢.


## الصحف


النهار (لبنان)

اجيبشين غازيت (مصر)

فايننشال تايمز (المملكة المتحدة)

انترناشيونال هيرالد تريبيون (الولايات المتحدة)

جيروزاليم بوست (إسرائيل)

لوريان لوجور (لبنان)

معاريف (إسرائيل)

نيويورك تايمز (الولايات المتحدة)

بالستاين بوست (فلسطين تحت الانتداب البريطاني)

بالستاين ريفيو (فلسطين تحت الانتداب البريطاني)

الغارديان (المملكة المتحدة)

تايمس (المملكة المتحدة)
واشنطن بوست (الولايات المتحدة)

## لائحة بالاشخاص الذين أجريت معهم المقابلات

**جوزف أبو خليل** (٤ تموز ١٩٩٥): رئيس تحرير جريدة العمل الكتائبية، أقام أول اتصالات كتائبية مع إسرائيل في ١٩٧٦.

**فؤاد أبو ناضر** (٢٨ حزيران ١٩٩٥): مسؤول العمليات العسكرية في القوات اللبنانية بقيادة بشير الجميل، أصبح قائدا لهذه القوات في ١٩٨٤.

**يوسي الفر** (١٩ تشرين الأول ١٩٩٣): ضابط في الموساد (في الستينات والسبعينات)؛ باحث في مركز جافي للدراسات الاستراتيجية.

**رفائيل إيتان** (٩ تشرين الثاني ١٩٩٣): قائد الجبهة الشمالية (١٩٧٤ ـ ١٩٧٧)؛ رئيس الأركان (١٩٧٧ ـ ١٩٨٢).

**شلومو غازيت** (٢١ تشرين الأول ١٩٩٣): رئيس الاستخبارات العسكرية (١٩٧٤ ـ ١٩٧٩)؛ باحث رئيسي منتسب، مركز جافي للدراسات الاستراتيجية (منذ العام ١٩٨٨).

**مردخاي غور** (٨ تشرين الثاني ١٩٩٣): قائد الجبهة الشمالية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٢)؛ رئيس الأركان (١٩٧٤ ـ ١٩٧٧).

**ديفيد كيمحي** (٧ تشرين الثاني ١٩٩٣): ضابط في الموساد (أواخر الخمسينات حتى ١٩٨٢)؛ مدير عام وزارة الخارجية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٧)؛ كبير المفاوضين في اتفاق ١٧ أيار (١٩٨٣)

**أوري لوبراني** (١٠ تشرين الثاني ١٩٩٣): منسّق الأنشطة في لبنان، وزارة الدفاع (منذ العام ١٩٨٣).

**روفن مرحاف** (٤ تشرين الثاني ١٩٩٣): ضابط في موساد (أوائل الستينات حتى ١٩٨٣)؛ «سفير» في لبنان (١٩٨٣ ـ ١٩٨٤).

**أريبه ناعور** (٣ تشرين الثاني ١٩٩٣): سكرتير الحكومة (١٩٧٧ ـ ١٩٨٢).

**يوسي أولمرت** (٩ تشرين الثاني ١٩٩٣): قسم لبنان في مركز دايان (في الثمانينات).

**يعقوب شيموني** (٢٧ تشرين الأول ١٩٩٣): وكيل رئيس دائرة شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩)؛ مساعد مدير عام الخارجية (١٩٦٨ ـ ١٩٧٦).

**موشي زاك** (٢١ تشرين الأول ١٩٩٣): صحافي في معاريف (منذ العام ١٩٣٩).

**إيال زيسر** (٩ تشرين الثاني ١٩٩٣): قسم لبنان في مركز دايان (منذ العام ١٩٩٢).

### مصادر ثانوية

جوزف ابو خليل، «قصة الموارنة في الحرب»، منشورات شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٩٠.



جواد الباشطي، «حزام أمن من نوع جديد»، فلسطين الثورة، كانون الثاني ١٩٨٥.

باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، النهار، بيروت ١٩٧٨.

جورج هارون، يوسف السودا: علم القومية اللبنانية، جامعة الكسليك، ١٩٧٩.

Abou, Salim, *Le Bilinguisme Arabe Français au Liban* (Paris: Edition Laffont, 1962).

Alamuddin, Sheikh Najib, *Turmoil: The Druzes, Lebanon and the Arab-Israeli* Conflict (London: Quartet Books, 1993).

Allon Yigal, *The Shield of David: The Story of the Israeli Armed Forces* (New York: Random House, 1970).

Amir, Aharon, Levanon: *Eretz, 'Am, Milchama (Lebanon: Country, People, War)* (Tel Aviv: Hadar, 1970).

Bailey, Sydney, *Four Arab-Israeli Wars and the Peace Process* (London: Macmillan Press, 1990).

Bar Zohar, Michael, *Ben Gurion* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1977).

Bar Zohar, Michael, 'Ben Gurion and the Policy of the Periphery', in Itamar Rabinovich and Yehuda Reinharz (eds), *Israel in the Middle East* (Oxford: Oxford University Press, 1984).

Ben Gurion, David, *Hazon Ve Derekh (Vision and Way)* (Tel Aviv: Ayanot, 1958).

Ben Gurion, David, 'Israel's Security and her International Position before and after the Sinai Campaign', *Government Yearbook 5720* (Jerusalem: State of Israel, 1959/60).

Ben Gurion, David, *Yoman HaMilhama (War Diary 1948-1949)* (Tel Aviv: Ministry of Defense, 1982).

Benziman, Uzi, *Sharon: An Israeli Caesar* (London: Robson Books, 1987).

Black, Ian, *Zionism and the Arabs 1936-1939* (London: Garland Publishing, 1986).

Black, Ian and Caplan, Neil, 'Israel and Lebanon: Origins of a Relationship', *The Jerusalem Quarterly*, No. 27, Spring 1983.

Black Ian and Morris, Benny, *Israel's Secret Wars* (London: Hamish Hamilton, 1991).

Brecher, Michael, *The Foreign Policy System of Israel* (London: Oxford University Press, 1972).

Brynen, Rex, 'PLO Policy in Lebanon: Legacies and Lessons', *Journal for Palestine Studies*, 18:2, 1989.

Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, Vol. 1 (London: Frank Cass, 1983).

Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, Vol. 2, (London: Frank Cass, 1986).

Cobban, Helena, *The Making of Modern Lebanon* (London: Hutchinson, 1985).

Cohen, A.H., *Israel and the Arab World* (New York: W.H. Allen, 1970).

Dayan, Moshe, *Story of My Life* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1976).

Dromi, Uri, 'The Double-Edged Sword: Reflections on Israel's Use of Military Force', *The Jerusalem Quarterly*, No. 48, Fall 1988.

Eban, Abba, *My Country: The Story of Modern Israel* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1972).

Eban, Abba, *An Autobiography* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1977).

Eban, Abba, *Personal Witness: Israel through my Eyes* (London: Jonathan Cape, 1992).

Edelman, Maurice, *Ben Gurion: A Political Biography* (London: Hodder & Stoughton, 1964).

Eitan, Rafael, *Sipur Shel Hayal (Story of a Soldier)* (Tel Aviv: Maariv, 1985).

Elath, Eliahu, *Zionism and the Arabs* (Tel Aviv: Dvir, 1974).

Eveland, Wilbur Crane, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East* (New York: W.W. Norton & Company, 1980).

Evron, Yair, *The Middle East: Nations, Super-Powers and Wars* (London: Elek, 1973).

Evron, Yair, *War and Intervention in Lebanon* (London: Croom Helm, 1987).

Eytan, Walter, *The First Ten Years* (New York: Simon & Schuster, 1958).

Falk, Richard, 'The Beirut Raid and the Law of Retaliation', in John Norton Moore (ed.), *The Arab-Israeli Conflict, Vol II: Readings* (New Jersey: Princeton University Press, 1974).

Fares, Sami, 'Point de Vue d'un Francophile Libanais', *La Culture Française* (Fall 1972).

Gabriel, Richard, *Operation Peace for Galilee* (New York: Hill & Wang, 1984).

Golan, Matti, *Shimon Peres* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1982).

Goldmann, Nahum, *The Autobiography of Nahum Goldmann: Sixty Years of Jewish Life* (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1969).

Haddad, William, 'Christian-Arab Attitudes towards the Arab-Israel Conflict', *Muslim World*, 65:2, 1977.

Hamizrahi, Beate, *The Emergence of the South Lebanon Security Belt* (New York: Praeger Publishers, 1988).

Hanf, Theodor, *Coexistence in Wartime Lebanon: Decline of a State and Rise of a Nation* (London: I.B. Tauris, 1993).

Harik, Iliya, *Politics and Change in a Traditional Society: Lebanon 1711-1845* (Princeton: Princeton University Press, 1968).

Harkabi, Yehoshafat, *Arab Strategies and Israel's Responses* (New York: The Free Press, 1977).

Herzog, Yaacov, *A People that Dwells Alone: Speeches and Writings* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1975).

Hof, Frederic, *Galilee Divided* (Boulder: Westview Press, 1985).

Horowtiz, Dan, 'Israel's War in Lebanon: New Patterns of Strategic Thinking in Civil-Military Relations', in Moshe Lissak (eds), *Israeli Society and its Defense Establishment* (London: Frank Cass, 1984).

Horowitz, Dan, 'The Israeli concept of national security', in Avner Yaniv (eds), *National Security and Democracy in Israel* (London: Lynne Riemer, 1993).



Hudson, Michael, *The Precarious Republic: Political Modernization of Lebanon* (Boulder: Westview Press, 1985).

Kimche, David, *The Last Option* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1991).

Klein, Menachem, *Prakim Be Yahasei Israel Ve HaAravim Bein HaShanim 1957-1967 (Chapters in the Relations of Israel and the Arabs between the Years 1957-1967)* (Jerusalem: Hebrew University Press, 1986).

Kliemann, Aaron, 'Zionist Diplomacy and Israeli Foreign Policy', *The Jerusalem Quarterly*, No. 11, Spring 1979.

Kliemann, Aaron, *Israel and the World after 40 Years* (New York: Pergamon-Brassey's International Defense Publisher, 1990).

Kraft, Joseph, 'Milhemet Breira' (War of Choice), *Maariv*, 20 August 1982.

'La Politique Israëlienne au Liban: Démembrement ou Hégémonie?', *France-Pays Arabes*, No. 170, 1991.

Landers, Israel, *Did we Fail by Taking a False Bet?* (Tel Aviv: HaDoar, 1984).

Lanir, Zvi, *Sikunim Be Levanon (Risks in Lebanon)* (Tel Aviv: Jaffee Institute for Strategic Studies, 1982).

Lau-Lavi, Naphtali, *Moshe Dayan: A Biography* (London: Vallentine, Mitchell, 1968).

Levite, Ariel, *Offense and Defense in Israeli Military Doctrine* (Boulder: Westview Press, 1989).

Lissak, Moshe, (eds), *Israeli Society and its Defense Establishment* (London: Frank Cass, 1984).

Louis, William and Owen, Roger, *Suez* 1956: *The Crisis and its Consequences* (Oxford: Clarendon Paperbacks, 1989).

Luciani, Giacomo and Salame, Ghassan, *The Politics of Arab Integration* (London: Croom Helm, 1988).

Lukacs, Yehuda, *The Israeli-Palestinian Conflict: A Documentary Record, 1967-1990* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

Lustik, Ian, 'Israel's Arab Minority in the Begin Era', in Robert Freedman (eds), *Israel in the Begin Era* (New York: Praeger, 1982).

Mann, Peggy, *Golda: The Life of Israel's Prime Minister* (London: Vallentine, Mitchell, 1972).

Maila, Joseph, 'Liban, Syrie, Israël ou le ménage à trois', *Cahiers de L'Orient*, No. 11, 1988.

McDowell, David, *Lebanon: A Conflict of Minorities* (London: Minority Rights Group, 1982), Report 61.

McDowell, David, *Palestine and Israel: The Uprising and Beyond* (London: I.B. Tauris, 1989).

Morris, Benny, 'The Phalange Connection', *The Jerusalem Post*, 1 July 1983.

Morris, Benny, 'Israel and the Lebanese Phalange: The Birth of a Relationship, 1948-1951', *Studies in Zionism*, Vol. 5, No. 1, 1984.

Noble, Iris, *Israel's Golda Meir* (Folkestone: Bailey Brothers & Swinfen, 1974).

O'Neill, Bard, *Armed Struggle in Palestine: A Political-Military Analysis* (Boulder: Westview Press, 1978).

Owen, Roger (eds), *Essays on the Crisis in Lebanon* (London: Ithaca Press, 1979).

Payne, Ronald, *Mossad: Israel's Most Secret Service* (London: Bantam Press, 1990).

Peled, Mattiyahu, 'The Political Role of Israel's Army', *Middle East International*, 7 January 1983.

Peleg, Ilan, *Begin's Foreign Policy, 1977-1983: Israel's Move to the Right* (New York: Greenwood Press, 1987).

Peri, Yoram, *Between Battles and Ballots: Israeli Military in Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983).

Peri, Yoram, 'Coexistence or Hegemony? Shifts in the Israeli Security Concept', in Dan Caspi, Abraham Diskin and Emanuel Gutmann (eds), *The Roots of Begin's Success: The 1981 Israeli Elections* (London: Croom Helm, 1984).

Perlmutter, Amos, *Military and Politics in Israel, 1948-1967* (London: Frank Cass, 1969).

Perlmutter, Amos, *Politics and the Military in Israel, 1967-1977* (London: Frank Cass, 1978).

Phares, Walid, *Lebanese Christian Nationalism: The Rise and Fall of an Ethnic Resistance* (Boulder: Lynne Rienner, 1994).

Porath, Yehoshua, 'History of Friendship', *The Jerusalem Post*, 22 May 1981.

Prittie, Terence, *Eshkol of Israel: The Man and the Nation* (London: Museum Press, 1969).

Rabin, Yitzhak, *The Rabin Memoirs* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1978).

Rabinovich, Itamar, *The War for Lebanon, 1970-1985*, revised edition (New York: Cornell University Press, 1985).

Rabinovich, Itamar and Reinharz, Yehuda (eds), *Israel in the Middle East* (Oxford: Oxford University Press, 1984).

Rafeal, Gideon, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1981).

Roberts, Samuel, *Survival or Hegemony? The Foundations of Israeli Foreign Policy* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1973).

Rubin, Barry, *The Arab States and the Palestinian Conflict* (Syracuse: Syracuse University Press, 1981).

Rubinstein, Eliyakim, 'Zionist Attitudes in the Arab-Israeli Dispute to 1936', *The Jerusalem Quarterly*, No. 22, Winter, 1982.

Safran, Nadav, *Israel: The Embattled Ally* (Cambridge: Belknap Press, 1978).

Salibi, Kamal, 'Lebanon under Fuad Shehab', *Middle Eastern Studies*, vol.2 (1966).

Salibi, Kamal, *Crossroads to Civil War, 1958-1976* (London: Ithaca Press, 1976).





Sasson, Eliahu, *Ba Derekh el HaShalom (On the Road to Peace)* (Tel Aviv: Am Oved, 1978).

Schiff, Zeev, *A History of the Israeli Army* (London: Sidgwick & Jackson, 1987).

Schiff, Zeev and Ya'ari, Ehud, *Israel's Lebanon War* (London: George Allen & Unwin, 1984).

Seale, Patrick, *The Struggle for Syria* (Oxford: Oxford University Press, 1965).

Seale, Patrick, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East* (London: I.B. Tauris, 1990).

Seliktar, Ofira, *New Zionism and the Foreign Policy System of Israel* (London: Croom Helm, 1986).

Sharett, Moshe, *Yoman Ishi (Personal Diary)*, 8 volumes (Tel Aviv: Sifriyat Maariv, 1978).

Shavit, Yaacov, *From Hebrew to Canaanite* (Jerusalem: Domino, 1984).

Shemesh, Moshe and Troen, Selwyn, Ilan (eds), *The Suez-Sinai Crisis 1956: Retrospective and Reappraisal* (London: Frank Cass, 1990).

Shetreet, Shimon, 'The Gray Area of War Powers: The case of Israel', *The Jerusalem Quarterly*, No. 45, Winter, 1988.

Shiffer, Shimon, *Kadoor Sheleg: Sodot Milhemet Levanon (Snowball: Secrets of the Lebanon War)* (Tel Aviv: Edanim/Yediot Ahronot, 1984).

Shlaim, Avi, 'Conflicting Approaches to Israel's relations with the Arabs: Ben Gurion and Sharett, 1953-1956', *The Middle East Journal*, Vol. 37, No. 2, Spring 1983.

Shlaim, Avi, *Collusion across the Jordan: King Abdallah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine* (Oxford: Clarendon Press, 1988).

Shlaim, Avi, 'Israeli Interference in Internal Arab Affairs: The Case of Lebanon', in Giacomo Luciani and Ghassan Salame (eds), *The Politics of Arab Integration* (London: Croom Helm, 1988).

Slater, Robert, *Rabin of Israel* (London: Robson Books, 1977).

Sobel, Lester, (ed.) *Israel and the Arabs: The October 1973 War* (New York: Facts on File, 1974).

Sofer, Sasson, *Begin: An Anatomy of Leadership* (Oxford: Basil Blackwell, 1988).

Sprinzak, Ehud, *The Ascendance of Israel's Radical Right* (Oxford: Oxford University Press, 1991).

St. John, Robert, *Eban* (London: W.H. Allen, 1973).

Tamir, Avraham, *A Soldier in Search of Peace* (New York: Harper & Row, 1988).

Vashitz, Joseph, 'Did the Palestinians abet the initiation of the war and if so, why?', *New Outlook*, 26:6, 1983.

Wald, Emanuel, *The Wald Report: The Decline of Israeli National Security since 1967* (Boulder: Westview Press, 1992).

Weinberger, Naomi, *Syrian Intervention in Lebanon* (London: Oxford University Press, 1986).

Wurmser, David, 'Egyptian-Centrism in Israeli Strategic Planning: The Peace for Galilee Operation', *SAIS Review*, 4:2, 1984.

Yaniv, Avner, *Dilemmas of Security: Politics, Strategy and the Israeli Experience in Lebanon* (Oxford: Oxford University Press, 1987).

Yaniv, Avner, 'A Question of Survival: The Military and Politics under Siege', in Avner Yaniv (ed.), *National Security and Democracy in Israel* (London: Lynne Rienner, 1993).

Yaniv, Avner (ed.), *National Security and Democracy in Israel* (London: Lynne Rienner, 1993).

Yorke, Valerie, *Domestic Politics and Regional Security: Jordan, Syria and Israel* (London: Gower for the International Institute for Strategic Studies, 1988).

Zittrain Eisenberg, Laura, 'Desperate Diplomacy: The Zionist-Maronite Treaty of 1946', *Studies in Zionism*, Vol. 13, No. 2, 1992.

Zittrain Eisenberg, Laura, *My Enemy's Enemy: Lebanon in the Early Zionist Imagination 1900-1948* (Detroit: Wayne State University Press, 1994).

Zweig, Ronald (ed.), *David Ben Gurion: Politics and Leadership in Israel* (London: Frank Cass, 1991).

## مواد غير منشورة

Attié, Caroline, 'President Chamoun and the Crisis of 1958', paper given a conference on 1958 in Texas, September 1992.

Ovendale, Ritchie, 'Britain and the Anglo-American invasion of Jordan and Lebanon in 1958', unpublished paper.

Reinich, Jacques, *Bashir Gemayel Ve Tkufato (Bashir Gemayel and his Era)*, unpublished PhD thesis, Tel Aviv University, 1988.

Schulze, Kirsten E., *Israeli Security Policy in South Lebanon: An Analysis of the Forces and Perceptions Shaping the Policy-Making from 1976 to 1984*, unpublished MPhil thesis, Oxford University, 1992.

Shlaim, Avi, 'Israeli Intervention in Internal Arab Politics', unpublished paper.

# ديبلوماسيّة إسرائيل السرية في لُبنان

## ١٩٤٨ - ١٩٨٤




تتناول كيرستين شولتزه في هذا الكتاب، تطور العلاقة بين اسرائيل وبعض قادة الموارنة في لبنان، منذ نشوء الدولة العبرية في فلسطين عام ١٩٤٨، والتي تحولت من السرّ الى العلن، لتبلغ ذروتها باجتياح إسرائيل للبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢.

وفي تناولها لهذه العلاقة المثيرة للجدل، تركّز شولتزه على تطور السياسة التي انتهجتها اسرائيل حيال الموارنة، والتي سعت من خلالها الى كسب حليف في الجوار المغلق عليها، عبر تحالف أقليات ضد العالم العربي، الإسلامي بغالبيته الساحقة؛ فتحلّل هذا التحالف غير المُنجز ضمن سياق النزاع العربي - الاسرائيلي، كجزءٍ من صراع الدول الكبرى في الشرق الأوسط، وتبيّن كيف أتاح هذا التحالف لاسرائيل التدخل الفاعل والدائم في السياسة اللبنانية؛ وتتتبّع شولتزه أطوار هذه العلاقة وأوجه سياسة التدخل الاسرائيلية، التي تأسست على جملة مفاهيم مغلوطة للبنان ولوضع الطائفة المارونية ومصالحها وتطلعاتها، وعلى المفهوم المغلوط للمكاسب العسكرية، كمدخل يفضي الى مكاسب سياسية، ذلك المفهوم الذي بنى عليه مؤسسو دولة اسرائيل مقاربتهم العالم العربي بأسره، واعتمده من تولوا بعدهم قيادتها.

ويشكل هذا الكتاب عملاً متمماً لمؤلَّف لورا إيزنبرغ «عدوّ عدوّي» عن لبنان في مخيلة الصهيونيين الأوائل، الذي كان أول دراسة جامعة للسياسة الصهيونية تجاه لبنان قبل إقامة دولة اسرائيل، والذي احتوى عرضاً موثقاً مفصلاً للعلاقات التي أقامها الصهاينة مع بعض قيادات الموارنة في لبنان خلال الفترة الواقعة بين ١٩٠٠ و١٩٤٨.

ان المؤلفة كيرستين شولتزه هي أستاذة محاضرة في مادة التاريخ الدولي، في كلية لندن للعلوم السياسية والاقتصادية، وكانت قد شغلت، سابقاً، منصب أستاذة محاضرة في مادة العلوم السياسية في جامعة كوينز، في بلفاست. لها دراسات عديدة حول لبنان، وسياسة اسرائيل الخارجية والأمنية، وحول عملية السلام في الشرق الأوسط.